تاريخ أوروبا المعاصر



د. عبد التواب أحمد سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ اوروبا المعاصر

940.561

سعيد عبد التواب احمد

تاريخ اوروبا المعاصر/عبد التواب احمد سعيد

عمان - دار الفكر ناشرون وموزعون 2009

ر.أ.: /2009/6/2967

الواصفات: /تاريخ اوروبا/ /اوروبا/ /العصر الحديث

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الطبعة الأولى، 2010 - 1430

دار الفكر
ناشرون وموزعون

www.daralfiker.com

المملكة الأردنية الهاشمية - عمّان

ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحجيري

هاتف: 4621938 6 962+ فاكس: 4654761 6 962+

ص.ب: 183520 عمان 11118 الأردن

بريد الكتروني: info@daralfiker.com

بريد المبيعات: sales@daralfiker.com

ISBN: 978-9957-07-704-4

تاريخ اوروبا المعاصر

د. عبد التواب احمد سعيد

الطبعة الأولى
1430-2010

دار الفكر
ناشرون وموزعون

المحتويات

مقدمة

يقوم التاريخ بوظيفة هامة وهي اعادة الماضي وخلقه على ضوء الفكر المعاصر. والتاريخ في ضوء ذلك يمثل حركة الزمان الحضارية من خلال متابعة حركة وفعل الشعوب.. واساس ذلك كله (الفكر) وتاريخ الفكر الذي صنعه الرجال ولايصنع نفسه، والتاريخ ليس مجرد حقائق مسجلة عن الحوادث انما هو أفكار البشر وفيها أحلامهم، وانفعالاتهم، ومثلهم العليا، وآمالهم مما يجعل التاريخ بمثابة الحياة منذ بدأ الانسان نشاطه على كوكب الارض.

من هنا فان دراسة النشاط الانساني واجب المؤرخ في أي موقع كان ذلك النشاط في وطننا العربي أو عالمنا الاسلامي او غيرهما من مواقع.

ولعل من اهم الحقب التاريخية بعد الحقبتين العربية والاسلامية هي الحقبه الاوربية الحديثة التي صارت واقعيا تاريخ العالم بسبب ماشهدته اوربا من تطورات مذهلة في مجالات الحياة كافه والتاثير الاوربي الواسع على حياة الانسان في كل مكان وخاصة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

لقد شهدت اوربا حربين عالميتين اثرا بشكل كبيرعلى العالم اجمع بما في ذلك بلداننا العربية ،كما شهدت اوربا ايضا ثورتين صناعيتين خلال قرنين اثرتا بنتائجهما الواسعة المدى على مجمل حياة البشرية ونحن نشهد اليوم ثورة علمية هي نتاج العقل الغربي الاوربي خاصة اذ اصبح العلم واخبار العالم بين يدي أي فرد خلال دقائق بواسطة الانترنيت، وصار بامكان أي فرد الاتصال باخر في آخر هذا العالم خلال دقائق او أقل بواسطة الهاتف الخلوي (الموبايل) وغير ذلك من سبل العلم القادم الينا منهم مما يستوجب التعرف الى تاريخ اوربا الحديث لكي ندرك ماحدث من أجل التواصل الانساني الحضاري .

هذا الكتاب أضعه بين أيدي طلبتنا الاعزاء وحاولت قدر الاستطاعة استخدام اسلوب مبسط وعلمي دقيق وموضوعي أمين اعتمادا على عدد محدود من المراجع لكنها هامة ورئيسية مؤملا ان يحتوي مادة مفيدة وجديدة لعله يجد طريقه الى المكتبه العربية ضمن مؤلفات عديده حول تاريخ اوربا، راجيا التوفيق من الله مؤملا رضاه تعالى اولا ودائما ومنه التوفيق سبحانه...

1

الفصل الأول

التحول القومي وأثره في احتدام العلاقات بين شعوب أوروبا

اوربا قبل الحرب العالمية الأولى

شهدت اوربا أحداثا هامة جداً، وتطورات سريعة وخطيرة فيما بين 1870-1914 عندما نشبت الحرب العالمية الاولى، فالتوجه القومي تسبب في احتدام النزاع بين شعوب اوربا مؤثراً سلبا على العلاقات بين دول اوربا، كما ان التطور السريع للجيوش الاوربية وخاصة في مجال التسلح، هدد السلام وجعل الحاجه ماسة الى منظمة سلام عالمية تمنح البشر املا في السلام ومنع الحرب والنزاع بين الدول وشعوبها فيما كانت أوربا منشغلة في معظمها بتوسيع نفوذها وسيطرتها وسطوتها من خلال حركة الاستعمار واستغلال خبرات الشعوب الفقيرة والضعيفة ومحاولة طمس ثقافاتها ودينها كما حدث مع العالم الاسلامي عامة والعالم العربي خاصة...

وفي تلك الفترة نشأت تحالفات وتكتلات سياسية وعسكرية بين دول في اوربا ضد دول اخرى جلبت عدم الاستقرار السياسي لها وعجلت في تصاعد التوتروالثقة بالتحالفات مما أدى الى نشوب الحرب العالمية عام 1914م ...

القومية:

تطورت المشاعر القومية في أوربا خلال القرن التاسع عشر فكانت القومية العصرية أكثر قوة وتأثيراً وقدر لها ان تحكم بعدئذ دولاً وشعوبا أوربية عديدة مثل ايطاليا وبولندا وايرلندا والمانيا، كما قدر للقومية ان تنهي الامبراطورية النمساوية مثلما انهت الامبراطورية العثمانية، وفي هذا الطور من القومية نجد اشكالاً بشرية تتماثل وتتكرر في دول اوربية خلال ذلك القرن وبدايات القرن العشرين، وتخللتها اعمال وحشية قام بها القوميون ضد بعضهم في سلسلة طويلة الحلقات من الملاحم التي رسخت في النهاية اركان مبدأ القومية في ايطاليا والمانيا وفرنسا والبلقان وروسيا وتركيا وامبراطورية النمسا وغيرها وأصبح واضحاً في اوربا نوع من الهيجان لفكرة القومية بدعوى التقدم للفكر الغربي واحترام النفس وكتابة صفحة جديدة في تاريخ اوربا تمتاز بانتصار المثالية التي تدعولها القومية مثلما تدعو للروح الوطنية المنظمة ومصالح الوطن السياسية القوية مثلما تمتاز تلك القومية في تلك الفترة باهوائها الجامحة

وجيوشها الجرارة المسلحة بالاسلحة الفتاكة، وحروبها المجيدة بحسب اعتقاد اصحاب القوميات والمؤمنين بها كثيراً حيث هددت السلام بشكل مستمر.. وهكذا كانت القومية في اوربا بمثابة حركة عظمى من حركات الروح الانسانية التي جلبت لشعوب اوربا ثم العالم اخطارا مستمرة مخيفة، اضافة الى حالة القمع للقوميات في بلدان اوربا المختلفة مثل قمع النمسا للقوميات غير الالمانية وقمع روسيا للقوميات غير الروسية وهكذا في انحاء اخرى من اوربا.

لقد كانت هناك معايير ذاتية نظمت الرؤية الاوربية للقوميات خلال القرن التاسع عشر شكلت مجموعة احكام حول رؤية كل قومية اوربية للاخرى وبالتالي رؤية اوربا للعالم غير الاوربي من خلال العرق، والدين، والثقافة، والاخلاق، ووضعية العلوم والتكنولوجيا والنظام السياسي او الانظمة السياسية غير الاوربية... وانتقلت عدوى القومية من اوربا الغربية الى منطقتي البلقان والشرق الاوسط حيث البّت تلك القوميات ضد بعضها في منازعات لامخرج منها ادت احيانا الى مجازر جماعية وتهجير قسري للسكان كما حدث بين الترك واليونانيين او الارمن والاتراك او بين البلغار وغيرهم، وكانت تلك الخصومات تزداد حدة بتشجيع من الاوربيين أيضا بسبب خلافاتهم، ومنافساتهم، ومطامحهم المتناقضة، وانتشر نموذج الدولة القومية الاوربية في كل مكان من العالم.

في اوربا كان التطور القومي المتأجج عنوان الحركات السياسية التي حصلت في أيطاليا والمانيا بشكل خاص وهي الحركات التي صدمت الاوربيين في حدوثها وآثارها البعيدة المدى.

كان الايطاليون راغبين في توحيد بلادهم وتخليصها من السيطرة النمساوية بعد سنوات من القمع والعداوة والمخاوف والمخاطر التي تعرض لها الايطاليون مثلهم مثل الشعوب البلقانية وسلك الايطاليون طرقا عدة للوصول الى أمانيهم القومية الكاملة وحققوها بعد نضال سياسي وفكري وعسكري وبدعم من جهات اوربية مثل فرنسا وصارت ايطاليا موحدة عام 1870 فيما قام الالمان بجهد كبير لتحقيق اتحادهم اتحاداً قوميا قويا وساعد انتصار القوميين في أيطاليا على احياء الآمال في انشاء الاتحاد الالماني حيث شهدت المانيا تطورات متلاحقة لعبت فيها القومية والتفاخر الالماني الواضح بالمانيا وتاريخها لعبت دوراً بارزا في نمو ذلك الشعور الفياض وتقويته حين قيض الظرف الذي عاشته المانيا شخصية بسمارك الذي قاتل ضد الدنمارك والنمسا وفرنسا في الاعوام 1863 و 1866 ثم العام 1870 ضد فرنسا وسط حماس

قومي شديد حين تم اعلان الوحدة وقيام الامبراطورية الالمانية من باريس عام 1871 بعد احتلالها من الالمان الذين شعروا بالفخر والثقة العالية بالنفس بلاحدود حتى تصوروا عن خطأ او صواب الاشيء مستحيل امام بطولاتهم، وراحوا بعد الوحدة بتقوية بلادهم وربطها بتحالفات سياسية وعسكرية مع اقتصاد قوي وصولا الى هدف المواجهة الكبرى التي حدثت عام 1914.

في النمسا التي انظمت معها المجر (هنغاريا) كان هناك خليط من الاجناس غير المتآلفة والتي تعرضت دوما للقمع العنصري ولانكار الوجود ومانيجم عنه من شعور بالكراهية والاحباط وانتظار الفرص للعمل المضاد للدولة المسيطرة (النمسا)، وهكذا كانت هناك قوميات بولندية، وجيكية، وروتينية، وصربية، وكرواتية، ورومانية، وسلوفينية، ومجرية، والمانية، وكانت تلك القوميات مرتبطة (دينيا) غير ان الاحتكاك زاد فيما بينها، وعلى سبيل المثال فان اهالي كرواتيا انزعجوا بسبب ارغامهم على استخدام اللغة المجرية رسميا، وفي منطقة اخرى فان السلاف في الدولة ارادوا اقامة دولة تضمهم مع بعض بقيادة صربيا (يوغسلافيا سابقا) حيث اشتدت حالة البغضاء والكراهية لصربيا من قبل النمساويين والمجريين معتبرين صربيا عدوا يجب وقفه، وكانت صربيا دولة مستقلة، رات فيها النمسا دولة قتلة وسفاحين متامرين حتى بدأ نوع من التهييج للنفوس بعد عام 1908 حين ضمت النمسا اليها منطقتي البوسنة والهرسك، وبدأ اذكاء شديد للقومية الوطنية في اماكن عدة ضد الاتراك عندما وقفت دول البلقان متحدة ضد الدولة العثمانية وقامت الحرب عام 1912 بين الطرفين وتكونت العصبة البلقانية التي بسببها تزعزع السلام واركانه في اوربا.. وكل ذلك ادى الى التوتر الشديد فالصدام بين النمسا وصربيا التي كانت قوميتها فعلا خطرة عام 1914 عام الحرب والتي اندلعت لاسباب منها عمق الصراع القومي في اوربا كما ذكرنا اذ نجد ان القوميات تصادمت مصالحها جدا وتجذرت الفكرة القومية حتى صارت مذهبا سياسيا في اوربا ومالذلك من نتائج سيئة على القارة وشعوبها ذلك ان الراي العام مال الى الحرب متشجعا بالقومية التي ساقته سوقا الى الصراع من خلال القوميات الشرسة والعدوانية والمختلفة، فقد كان في اوربا عام 1914 دول مستقلة يصل عددها الى (25) دولة كانت ترفض اية سلطة دولية باصدار قرارات ملزمة لها، وصارت كل دولة ذات سيادة تشعر بقوتها وصلابتها فانها تعتقد انها تستطيع تحقيق اهدافها بالقوة، وصارت شعوب اوربية تؤمن بالقومية ترى ان مجموعتها متفرقة في عدة دول اوربية مع

انها من عنصر واحد وهي تريد تحقيق وحدتها القومية بالحرب ولم تجد قوميات اوربا عام 1914 انها حققت اهدافها بسبب العقبات التي كانت تمثلها قوة النمسا وقوة روسيا .. وظن الجميع دولاً وشعوبا كبيرها وصغيرها ان الحرب اذا قامت فانهم سيحققون اهدافهم بتاييد مواطنيهم المتحمسين لقوميتهم وللحرب وبدعم قوي من الدعاية لكل امة ثم بقوة الدول ذات السيادة القومية القوية بتحالفها مع دول اخرى سياسيا وعسكريا حتى صار التحالف مسببا ودافعا للنزاع بعد سباق التسلح.

2

الفصل الثاني

سباق التسلح والحاجة لوجود منظمات سلام عالمية

اهتم الأوربيون (وخاصة الدول الكبرى منها) بتسليح جيوشهم بشكل واسع استعدادا ليوم كان يبدو انه قادم إلى أوربا حيث يشتعل الصراع وتنجم عنه حرب ضروس تحتاج إلى معدات عسكرية هائلة مع ذخيرتها العظيمة وبما يؤمن للبلاد ديمومة المقاومة أو استمرار الهجوم.. وقد تطور التسلح الأوربي باستمرار وساعدت الحروب التي خاضتها دول أوروبية ضد بعضها بالقرن التاسع عشر إلى مزيد من التقدم في مجال التسليح استعدادا لحروب قادمة، وهكذا فان حروب نابليون الشهيرة أصبحت قديمة في اساليبها وأسلحتها عن اسلوب وأسلحة حرب القرم عام 1855 بين روسيا وكل من فرنسا وبريطانيا، ثم أصبحت تلك الحرب متخلفة في أسلحتها قياسا للحروب التي دخلها الألمان ضد النمساويين والفرنسيين في 1866 ثم في 1870، وأخيرا صار واضحا أن حرب السبعين (1870) لم تكن شيئا أمام الحرب العظمى التي دامت أربع سنوات (1914-1918) بسبب قوة نيران القوى المتحاربة حتى صار مايحتاجه الجيش من ذخيرة في يوم واحد من الحرب يعدل ماكانت تحتاجه الجيوش السابقة في الحروب من ذخيرة في شهر أو أكثر مع مايعني ذلك من خسائر بشرية كبيرة ورصد أموال هائلة للصناعات الحربية لتطويرها واستخدامها بشكل يؤمن النصر للجيش المحارب مثلما حصل عام 1905 خلال الحرب الروسية اليابانية بانتصار اليابان على روسيا، وهو مانبه القادة الروس والاوربيين المتحالفين معهم بعدئذ إلى ضعف التسلح والتدريب الروسيان في وقت كانت فيه فرنسا تأمل أن تكون روسيا بوضع عسكري ممتاز لمواجهة المانيا مثلا وبما يستنزفها في قتال قد ينشأ في الشرق مع قتال أخر تقوم به في الغرب ضد فرنسا، واستوجب هذا التطور وتلك الأحداث زيادة التسلح للدول الأوربية مع قيام سباق للتسلح بينها وكان ذلك سببا هاما للتوتر في العلاقات الدولية ومظهرا هاما لذلك التوتر.

لقد زادت كميات الأسلحة لدى الدول مثلما ارتفعت وتيرة السباق في التسلح بشكل خطير خاصة في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر والسنوات التي سبقت نشوب الحرب العالمية الأولى، حتى أن إحصائيات حول ذلك أشارت إلى تخصيصات مالية هائلة للجيوش وخاصة في المانيا بين حرب السبعين وحتى الحرب الأولى حيث زادت نفقاتها العسكرية إلى ثلاثة أضعاف عما كانت سابقا، وكذلك الحال في بريطانيا، وزادت ضعفين في فرنسا، فيما مثلت الميزانية العسكرية لروسيا ثلث الميزانية العامة للسنوات التي سبقت الحرب العظمى

(1941) وعانت ايطاليا من زيادة النفقات العسكرية أيضاً بشكل كبير نظراً للمتطلبات الاستعمارية في أفريقيا خاصة، وصارت أراضي الدول الاوربية الكبرى مليئة بالثكنات العسكرية، والملاجئ، والقلاع المليئة بأدوات القتل والتدمير من مدافع وقذائف مختلفة وقنابل الهدم، مثلما صارت شعوب أوربا تعاني من نظام الخدمة العسكرية بحيث يتدرب على السلاح والحرب والقتل ملايين الشباب.

كان أحد منظري الحروب في بروسيا (المانيا) قد كتب عن الحرب مؤلفا ضخما مذكرا بان الحرب ليست لعبة أو رياضة دولية انما هي عمل من أعمال العنف الشديد القاسي لاتعرف الرحمة، غير أن الدول الاوربية زعمت أن التسلح والسباق فيه انما هو من أجل السلام ولمنع الحرب اذ انه سيؤدي إلى (توازن الرعب) وفي رأي أخر ان أي حرص على السلام يستدعي العمل للاستعداد للحرب، وصار ذلك الرأي برنامج عمل ساحر للقادة في الدول الاوربية مما دفعهم إلى مزيد من التسلح والسباق فيه بشكل سافر ومحموم وخاصة في كل من المانيا وبريطانيا اذ ان كلا منهما عملت على تقوية سلاحها البحري، وجاءت البداية من المانيا التي بدأ فيها بعض ساستها وقادتها اضافة إلى امبراطورها اولا وهو وليم الثاني (1888-1918)، يتحدثون عن مكان لالمانيا تحت الشمس وضرورة ان يكون لالمانيا سلاح بحري فعال ينافس السلاح البحري البريطاني على أساس ان بريطانيا تمكنت من سيطرتها على اجزاء كبيرة من العالم من خلال سيطرتها وقوتها في البحار.

واتخذت القيادة الالمانية قرارا أواخر القرن التاسع عشر بانشاء اسطول حربي قادر على القيام بعمليات في بحر الشمال (الواقع بين المانيا وبريطانيا).. واسس ذلك الاسطول الادميرال فون (تربيتز) الذي كان له رأي أيده الامبراطور ومفاده ان التقدم الذي شهدته المانيا في كافة المجالات وخاصة الاقتصادية سيؤدي حتما إلى الاحتكاك مع بريطانيا ومنافستها تجاريا واستعماريا وانه لاجل اعتراف بريطانيا بمصالح المانيا فلابد من انشاء اسطول تجاري وحربي قادر على مجابهة الاسطول البريطاني.. وصدرت في المانيا قوانين اصدرتها الحكومة في الاعوام 1900 و 1907 و 1912 وهي كلها لاجل الارتقاء بالسلاح البحري مما اقلق بريطانيا حقا وهي التي ظلت لسنوات طويلة (سيدة البحار) بلا منازع لامتلاكها اقوى اسطول حربي في العالم.. ومع التطور في السياسة الحربية البحرية الالمانية كان على بريطانيا ان تجاري المانيا في التسلح وزيادة عدد السفن البحرية البريطانية.

يشير مؤرخ اوربي إلى المانيا في تلك الفترة فيصفها بانها (دولة مؤلفة من جند وموظفين) ومجتمع تسيطر عليه طبقة حربية، وبرلمان يوافق دوما على زيادة ميزانية الجيش وامبراطور جسور ونشيط وذو مواهب فذة مع حماس وطني وشغف شديد بالبحر والسيادة عليه إلى جانب غروره وعنجهيته.. يقابله ساسة انكليز لايتركون الامور بلا مراقبة دائمة وخاصة ما يتعلق بأمنهم الذي تقوم على رعايته القوة البحرية وهكذا تم اعداد الاسطول لامكانية النزول في نضال حربي شرس ضد القوة البحرية الالمانية في بحر الشمال بقيادة ادميرال البحر الانكليزي جون فيشرSir Gohn Fisher وبلغ تركيز قوة الاسطول البريطاني في بحر الشمال ان ثمانين في المائة 80% من مدافع الاسطول كانت مصوبة إلى السواحل الالمانية وتم وضع خطط لتعاون الاسطول والجيش معا قبل ان تبدأ بريطانيا بصناعة الطائرات الحربية إلى جانب تحديد متطلبات الجيش اذا وقعت حرب.

في العودة إلى المانيا مطلع القرن العشرين فانها كانت اهم دولة في اوربا لثبات اهدافها، ونظام شعبها، وقوة جيشها وصار العلم الالماني يرى في كل ميناء ولم يكن لها ند في القوة الحربية البرية والبحرية ماعدا بريطانيا، وكان التوجه الالماني واضح هجوميا حتى ان الامبراطور الالماني خطب في عدد من جنود البحر الالمان متوجهين مع سفنهم إلى الصين بداية القرن العشرين فحذرهم بانهم سيواجهون عدوا محتالا وحسن التسليح وان عليهم ان يهزموه ولايرحموه ولاياخذوا اسرى منه بل يقتلوه، غير ان الذي تحدى المانيا هو بريطانيا التي أرادت بان تكون قوتها البحرية موازية لقوة دولتين بعدها فرفضت المانيا ذلك مما جعل أجواء اوربا مثقلة بالشكوك والخوف والتوتر بالعلاقات الدولية الاوربية بداية القرن العشرين بسبب سباق التسلح البحري الحربي بين بريطانيا والمانيا وفرنسا واليابان اضافة لسباق التسلح البري لدى جميع الاطراف فغذى ذلك لدى الرأي العام حالة هياج عظيم، وكان ذلك خطرا على السلام مع تكلفته المالية القاسية على الناس بسبب الاعباء المالية المترتبة على بناء الجيوش وتسليحها مما استدعى اقناع الناس بوجوب ذلك النشاط لكي يستعدو للحرب، لكن ذلك كله لم يمنع محاولة البعض من تخفيف حدة التوتر حيث بذلت محاولات لتحديد التسلح باتفاق دولي دون اتفاق الاطراف على ذلك، ودعت روسيا القيصرية الدول الاوربية إلى عقد مؤتمر للسلام في لاهاي (هولندا) لهذا الغرض، وعقد المؤتمر دون أن يتوصل إلى أية نتيجة مهمة اذ رفضت بريطانيا أي مساس بقوتها المتفوقة في البحار كما رفضت المانيا تحديد قوتها البرية، وعقد مؤتمر لاهاي

الثاني عام 1907 بهدف الحد من التسلح دونما نتيجة أيضا، وعدا ذلك حاولت بريطانيا تخفيف أعباء التسلح لضغط الميزانية العسكرية من خلال الاتفاق مع المانيا حول القوة البحرية للدولتين في السنوات 1907- 1908 ثم في 1912 لكن محاولاتها فشلت بسبب اشتراط المانيا على بريطانيا ان تقف على الحياد في حالة نشوب حرب بين المانيا ودولة اخرى في اوربا في مقابل موافقة المانيا على الحد من التسلح البحري علما بانها كانت سائرة بخطى متسارعة لتقوية اسطولها كما مر بنا.

لاشك ان سباق التسلح كان مظهرا مؤذيا للعالم ادى إلى نشوب نزاعات مسلحة وحروب دموية في كل مكان حتى صار من الاهمية بمكان وضع حد للخوف والتهديد والرعب والوحشية المتأتية من الحروب من خلال العمل لاقامة منظمة ترعى السلام وتمنع الحروب بل من الواجب الاخلاقي والانساني والعملي والوطني لكل انسان في أي مكان من عالمنا: ان يعمل من اجل وضع الاموال في خدمة الانسان مدنيا بتاسيس مستشفيات وبناء مدارس وجسور وعمارات سكنية وجامعات وطرق لا في شراء وتكديس الاسلحة ودخول حروب تدمر كل شيء وتجعل المواطن محروما من احتياجاته وضروراته اليومية وعايشنا في وطننا العربي الحديث أمثلة حية من ذلك مثلما قرأنا وسمعنا عما حصل للاتحاد السوفيتي بسبب كثرة التسلح، وعدم الاهتمام الكافي بالاقتصاد المدني مما أدى إلى سقوطه.

ان سباق التسلح أوائل القرن العشرين جلب للبشرية كارثة الحرب العالمية الاولى فصارت الحاجة ماسة لايجاد منظمة سلام عالمية وعقد مؤتمرات دولية لاجل نزع الاسلحة ومنع سباق التسلح فكانت منظمة عصبة الامم التي دعا لها الرئيس الامريكي (ويلسن) للوصول من خلالها إلى السلام.

وكانت اوربا خلال القرن التاسع عشر قد حاولت تاسيس سلام يقوم على التضامن الاوربي المعتمد على تظافرها واتحاد قواها لمنع الحرب فيما بينها ومن ثم منع الحرب في باقي اوربا كما كانت دول رئيسية في اوربا قد عقدت مؤتمرات عدة لاجل السلام خلال القرن التاسع عشر مثل مؤتمر فينا وقام الاوربيون بعده بعقد لقاءات عدة بين زعمائهم في روسيا وبريطانيا والنمسا والمانيا (بروسيا) لكنهم لم يصلوا إلى درجة اقامة عصبة أمم وانما أقاموا تحالفا رباعيا عرف بالمحفل الاوربي وتمكن القادة ومن جاء بعدهم، ان يحققوا سلاما شبه دائم لمدة

100 عام كاملة 1815-1914، فيما عدا حروب محدودة الزمان والمكان حدثت خلال ذلك ولم يكن في استطاعة الدول الاوربية الكبرى الوصول إلى صياغة قضية السلام الاوربي افضل من المحفل الاوربي لكن الذي حصل ان السلام الذي اقامه هؤلاء لم يكن قائما على العدل والمساواة بين جميع دول اوربا، فقد ظلت الدول العظمى مسيطرة عمليا على شعوب عدة داخل وخارج اوربا مانعة عنها الحرية حيث كانت النمسا مسيطرة على اجزاء هامة في البلقان وبريطانيا وروسيا وفرنسا مسيطرة على اجزاء هائلة خارج بلدانهم ضمن الحركة المعروفة بالاستعمار وخاصة في البلاد الاسلامية الواقعة في شمال افريقيا وفي المشرق العربي وجنوب روسيا فيما يعرف بآسيا الوسطى.

3

الفصل الثالث

التوجه الاستعماري الاوروبي نحو العالم والبعد الديني لهذا التوجه

تعددت مفاهيم الاستعمار وتفرعت وربما تناقضت ايضا في نظر الكثيرين في اوربا سواء كانوا مؤرخين او مصلحين او فلاسفة او رجال اقتصاد او رجال دين وحتى رجال نظريات علمية، غير انه مهما تعددت الاراء بشأن مفهوم الاستعمار واسبابه فان المفهوم يستند الى أمرين او عنصرين اساسيين متداخلين في كل زمان ومكان وهما المقومات الاقتصادية والمقومات غير الاقتصادية، غير انه في البداية لابد من التنويه الى وجود فرق بين الاستيطان من حيث الفحوى والغاية والاسلوب، وبين الاستعمار والامبريالية، ذلك ان الاستيطان لايهدف الى السيطرة والاستعباد واظهار شعور التفوق الذي تعززه القناعات الثقافية والسياسية والدينية والعرقية مثال ذلك ماكان يعتقده بعض الالمان من انهم يمثلون العرق الآري النقي لان الالمان متفوقون على غيرهم في اشياء كثيرة، ومثلما شعر اوربيون عديدون بان نظرية دارون القائمة على اساس ان هناك صراع من اجل البقاء وان البقاء للأفضل.. وان الافضل هو الاقوى.. وبما ان اوربا اقوى من غيرها فمن حقها السيطرة على بلاد كثيرة في افريقيا واسيا واستراليا وامريكا الشمالية والجنوبية.

ان الاستيطان انما هو خروج الى بلاد اخرى للخلاص من اوضاع صعبة جدا يعيشها اناس راغبون في تبديل اوضاعهم وازماتهم الحياتية او الدينية الصعبة الحل، ولايلجأ اصحاب هذا الامر الى العنف والقوة بصورة عامة ولاتوجد علاقة بين المستوطن والدولة او البلد الذي يذهب اليه فلا تقوم علاقة عداء او شعور بالهيمنة والاخضاع بالقوة من اجل التوسع والمجد والاستقلال عكس الاستعمار الذي يقوم على اساس علاقة بين امة او شعب او دولة مع امة اخرى او شعب اخر يراد استعباده واستغلاله واخضاعه بانواع القوة حتى ليشعر بها الناس في البلاد المستعمرة في كل حياتهم وخاصة الجانب الاقتصادي اضافة الى الجوانب الثقافية والدينية.

تعود جذور الاستعمار الحديث الى سبعينيات القرن التاسع عشر (1870 ومابعدها) وجاء ذلك التطور في اعقاب استقرار الثورة الصناعية تماما والتي بدأت في الربع الاخير من القرن الثامن عشر في بريطانيا حيث اخذت الدول الاوربية بسياسة الحماية والاستغلال وتعزيز المواقف في ظل نظام سياسي دولي عرف بالتوازن الدولي وتوازن القوى.

كانت المستعمرات من اسباب الصراعات الرئيسية بين الدول الاوربية المستعمرة، وكانت السياسات الخارجية لمعظم الدول الاوربية الكبرى تحرص على تأمين سيادتها على مستعمراتها، والاستحواذ على خيرات تلك المستعمرات وجعلها خاضعة للصناعة في كل بلد اوربي مساهم بالاستعمار.

لقد كان واضحا ان الاستغلال بالمعنى الاقتصادي اضافة الى الاخضاع القسري بالمعنى الانساني والحضاري هما سمتا الاستعمار الحديث اما غير ذلك فلاصحة له ولايمكن تبريره او قبوله مثل الزعم بان الرجل الابيض وجد نفسه امام اختبار حضاري بسبب تقدمه وتخلف غيره من الملونين فاندفع بعامل رفيع المستوى ليبسط ماحققه من علم وتقدم على باقي اجزاء العالم فكان ذلك (عبئا) على الرجل الابيض ارهقه وتطلب منه تضحيات جسيمة حتى ان رئيسا لوزارة بريطانية اعتبر المستعمرات (لعينه) لانها تمثل طوقا في رقبة بلاده ناسيا الفوائد الهائلة التي جنتها بريطانيا خاصة من المستعمرات في افريقيا وآسيا.. وهكذا فان هذا الزعم انما هو تغليف لنزعة توسعية تبحث عن المجد بثمن رخيص، مثلما تبحث عن الذهب الاصفر ثم الاسود (النفط) حيث الاستغلال لايعرف اية قيود او موانع في البلاد التي تعرضت للاستعمار، ولم يكن ادعاء عبء الرجل الابيض الا تأطيرا لتوسعه الاستعماري الاستغلالي وهو تأطير أريد منه دفع الشبهات عن ذلك العمل العدواني واضفاء مسحة اخلاقية على سلوكه تكون حجة اخرى لمزيد من التوسع، كما ان الانتصارات التي حققها الاوربيون خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر في مختلف المجالات وخاصة العسكرية والعلمية وقوتهم الاقتصادية دفعتهم الى الخارج لمزيد من القوة والجبروت، بل ان تلك الانتصارات لها جذر ابعد من ذلك ومثال على هذا ان اخراج المسلمين من الاندلس (اسبانيا) دفع الاسبان الى المغرب ثم الى جنوب افريقيا لاستخدام طريق للتجارة يؤدي الى اضعاف العرب والمسلمين اقتصاديا، ثم الوصول الى الارض الجديدة (اميركا) والاندفاع بقوة العدوان وحق القوة نحو بلدان افريقيا الفقيرة والضعيفة والزاخرة بالخيرات من كل نوع، وكذا الاندفاع الى أقصى أسيا حيث أصبحت الاقاليم الافريقية والآسيوية (مصالح قومية) للدول الاوربية وكانت مستعدة للحرب من اجل حماية تلك المصالح حتى اصبح معروفا في اوربا ان الدولة التي تستعمر هي الاكثر رخاء من غيرها وانها تبني دعائم مستقبلها بما تدره المستعمرات من اموال على الدولة التي تستعمر.

لم يكن الاستعمار من دون ارضية (فكرية) ودينية ايضا فقد استرشدت الدول الاوربية التي انتهجت اسلوب الاستعمار بافكار قدمها ساسة وفلاسفة غربيون، وكان الاتجاه واحدا رغم

تعدد مايطرحه الاوربيون او ماطرحوه حول الاستعمار وسياساتهم نحو المستعمرات ومن ذلك سياسة (الحكم غير المباشر) حيث حكمت بريطانيا الهند بهذا الاسلوب المقنّع للحكم والسيطرة وفعلت روسيا ذلك عندما اوكلت الحكم في المناطق الاسلامية الآسيوية الى حكام متنفذين من الذين يحملون اسماء اسلامية كما قامت فرنسا بمحاولة فرنسة الجزائريين ونشر الثقافة الفرنسية وكأن ذلك مهمة حضارية تاريخية انسانية، فيما كانت وراء ذلك أهداف اخرى متلازمة على رأسها تقوية الرأسمالية القائمة على الربح والاحتكار والانانية حتى صار الاستعمار شر من الشرور تنافست فيه الدول الصناعية الكبرى وحاربت بعضها من اجل تقاسم العالم فيما بينها خاصة عندما تصادمت مصالحها كما سنشير الى ذلك.

كانت التجارة مبررا للاستعمار فحيث ماكان يرفع علم اوربي تقوم التجارة ويبدأ المستثمرون نشاطهم لاجل جني الارباح ولكي يعززوا وجودهم ويزيدوا ارباحهم كانوا يطلبون من بلدانهم الحماية العسكرية والدبلوماسية لخلق اوضاع تخدم التجارة الاوربية، ووصل الامر احيانا الى اتحاد دول اوربية استعمارية ضد دولة بعيدة مثل الصين كان الصراع قائما على اسواقها الكبيرة، وكانت اليابان تنافس الاوربيين على اسواق الصين كما ان بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة عملت على منع روسيا من ان يكون لها نفوذ اقتصادي في الصين، كذلك كانت الحاجة ماسة في الدول الصناعية للمواد الاولية الخام الموجودة في المستعمرات حيث اراد المستعمرون ان يستحوذوا على تلك المواد لاستغلالها فقط واستخدموا اسلوبا بغيضا قاسيا في نهب تلك المواد وخاصة المعادن بما في ذلك النفط، واساس ذلك ان الشعوب المتخلفة لا ذات لها وهي غير مؤهلة لكي تكون في نفس المقام الذي عليه دول الاستعمار التي تعمل لاجل (تثقيف) تلك الشعوب المتخلفة كما عبر عن ذلك احد قادة الاستعمار في بريطانيا (جوزيف تشمبرلن) وان الشعوب المتخلفة يجب الا تعارض لانها بلاذات وبلاحضارة، واستطاع الاوربي بصناعاته المتطورة وآلته الحربية المتقدمة ونظامه الاداري القوي مع قوته من ان يقنع نفسه اولا ثم اقناع الشعوب الاخرى غير الاوربية بانه (متفوق) عليها ليس فرديا بل الامة كلها متفوقة فاصبحت مهمتها ان تستعمر غيرها.

بهذا الاسلوب وهذا الرأي اخذت الدول الاوربية الكبرى طريقها نحو العدوان مع شعور طاغي بالفخر والثقة والغرور والتفوق نجم عنها غطرسة وعنجهية مقيتة وصار بامكان عدة سفن بريطانيا فقط ان تفتح مدنا بل بلادا من خلال اطلاق عدة قذائف على الموانئ مثل عدن.

لقد شهد القرن التاسع عشر توسعا كبيرا في حركة الاستعمار وشمل بلادا كثيرة في افريقيا اضافة الى محاولة الهجوم على العالم الاسلامي ايضا حيث كان الحافز الاجتماعي الديني للاستعمار غاية اضافة الى كونه وسيلة لتحقيق الهدف باختراق دول الاسلام.

في منتصف القرن التاسع عشر بدأت حملة استعمارية جديدة اذ اعتمدت فرنسا القوة العسكرية بشكل كبير لغرض السيطرة الفرنسية على اجزاء من مناطق افريقيا الغربية وان جوبهت بمقاومة باسلة في الجزائر ومن بعدها في (داهومي) البلد الافريقي من قبل الحاج عمر ومعه (احمدو سيفو) حتى نهاية القرن حين احتل الفرنسيون اجزاء اخرى من افريقيا الاسلامية واصطدموا بالمصالح التوسعية الانكليزية حيث كان الصراع قائما بينهما على شمال وشمال شرق افريقيا في مصر والسودان واثيوبيا (الحبشة) وانتهى باحتلال الانكليز لمصر والسودان في 1882 فيما احتلت فرنسا تونس وتمكنت من اسكات المقاومة الجزائرية مؤقتا ثم مد نفوذها الى مراكش فيما كان تقاسم افريقيا بين الدول الاوربية قائما بعملية سريعة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر وضمن ترتيبات دبلوماسية وسياسية وعسكرية متأثرة بالاوضاع في اوربا نفسها، حيث تقلص النشاط الهولندي والبرتغالي والدانماركي فيما كانت المانيا وايطاليا تتطلعان الى التوسع بعد ان تم لهما الاتحاد في كل منهما لكن الدور الأبرز في العملية الاستعمارية كان للبريطانيين بما يمتلكوه من قوة صناعية وبحرية قبل ان تتمكن المانيا من تهديد المصالح البريطانية في اعقاب انتهاء حكم بسمارك، اواخر القرن التاسع عشر وبعدما حقق الاقتصاد الالماني طفرة واسعة، وبعدما انتهى حكم بسمارك الذي لم يكن متحمسا للاستعمار مع تشجيعه لفرنسا للاستعمار لاشغالها خارج اوربا وعن محاولة الانتقام من هزيمتها عام 1870، وبناء على ذلك فان الامبراطور وليم الثاني الالماني اخذ يتبع سياسة عالمية مفادها ان المانيا دولة قوية ولها حاجات اقتصادية فيجب الاتبقى غير مهتمة بما يحصل في العالم من تطورات، بل يجب ان يكون لها حصة في النفوذ الذي تمارسه اوربا في العالم (وكأن العالم ارض بلا بشر ليتقاسمها اولئك الاوربيون علنا) ولهذا يجب ان يكون لالمانيا مكان تحت الشمس وهو التعبير الذي صار سائدا في اوربا بعدئذ، مما اوجد قلقا لدى فرنسا على مستعمراتها ومصالحها، كما اوجد توترا في بريطانيا ضد المانيا رغم ان اسرتها المالكة كانت قريبة منها عائليا، لكن بريطانيا كانت تستعمر بلدانا تمتد من استراليا الى مصر ومن مصر الى جنوب افريقيا، وكانت دولة مهابة لاتتدخل في اوربا الااذا وجدت ان مصالحها مهددة، ولقد

انزعجت من فرنسا ايضا بسبب مضايقة الاخيرة لها استعماريا في افريقيا حيث ارادت بريطانيا اقامة محور من المستعمرات يمتد من القاهرة الى راس الرجاء الصالح فيما اخذت المانيا تمد نفوذها الى الخليج العربي عبر الدولة العثمانية من خلال المشروع المعروف سكة حديد برلين - بغداد، فيما كانت بريطانيا تملك نفوذا هناك بل وتريد توسيعه الى ايران التي كان لروسيا ايضا مطامع فيها وفي الخليج.. وهكذا كان التنافس الاوربي الشديد على الاحتلال والاستعمار والنهب سمة من سمات بداية القرن العشرين ولم يكن الاقتصاد سببا وحيدا لذلك التنافس بل كانت هناك متطلبات اخرى منها هيبة الدولة التي تقوم بالاستعمار وتفاخرها بما تمتلكه من مستعمرات تماما مثل رجال المال والاعمال وكبار اصحاب الشركات والمصانع في اوربا الذين (يتفاخرون) بما يملكونه من ثروات طائلة بغض النظر عن اخلاقية او عدم اخلاقية طرق امتلاكهم وكسبهم لتلك الاموال.

وبالرغم من عدوانية الدول التي استعمرت العالم فان هناك من كان يفتخر بهذا العدوان وخاصة في بريطانيا وفرنسا حتى نجد مؤرخا بريطانيا مرموقا يكتب عما اسماه (جهود) قادة الاستعمار في فتحهم الكبير للقارة الافريقية للعالم وتخليصها مما يصفه بـ (مخالب قناصي الرقيق العرب وآثامهم) مذكرا بان (حملة انكلترا الصليبية ضد الاسترقاق تعد من بين الصفحات الثلاث او الاربع الناصعة البياض في تاريخ الدول والشعوب) ولم تكن تلك الا حجة واهية لتبرير الاحتلال وتحقيق الاطماع في اقاصي الارض الممتد من ماليزيا شرقا الى نايجيريا وجنوب افريقيا غربا لكي تصبح بريطانيا بلدا لاتغيب عنه الشمس، وهي حقيقه كانت تسيطر على اجزاء واسعة من بلاد الارض الا انه ومع السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر واشرافه على الانتهاء؛ فان حمى الاستعمار كانت قد اصابت الدول الاوربية وخاصة الكبرى منها بعد ان استقر الوضع لها وظهرت دولتا المانيا وايطاليا وجاء التسابق في اعقاب مؤتمر برلين عام 1878 حين اصبح العالم كله امتدادا للمشاكل الاوربية ومن هنا يصح القول بان ما مسألة في العالم بداية القرن العشرين الاوكان لاوربا فيها موقف او فعل او رأي بما في ذلك قضية العرب في فلسطين التي لم تنشأ الا في اوربا، وكان واضحا ان الدول الاوربية قد حققت امانيها القومية في بلادها ولم تكن في وضع يسمح بان تؤدي مشاكل قومية غيرقوية بقيام حرب داخل اوربا عندما بدا القرن العشرين فاتجه الاوربيون الى خارج القارة ووسعوا في حملاتهم لاستعمار البلدان وارسال الزائد من السكان الاوربيين الى المستعمرات مثلما فعل

الايطاليون في ليبيا والفرنسيون في الجزائر والانكليز في اقصى اسيا وجنوب افريقيا، وقد تطرف الدعاة للاستعمار الاوربي في اشاراتهم الى فوائد الاستعمار ومزاياه العديدة كما زعموا وخاصة مع بدء انحسار الاستعمار في اقطار عدة مع اشارة خاصة الى (التبشير) ونشاط المبشرين ونجاح البعثات التبشيرية في افريقيا اضافة الى قيام الاستعمار بادارة البلاد التي استعمروها وتعليم اهلها النظام والاهتمام بصحتهم واقامة الطرق والسكك ونشر الثقافة واللغة وغير ذلك من نشاطات ثابت انها تخفي هدفا واحدا هو (الاستغلال)، فالادارة لاجل تنظيم عملية جمع الضرائب والاشراف على المزارع والعمالة، والسكك لاجل احكام التبعية، والتعليم لاجل تكوين كوادر محلية تحتية تحتاجها الادارة الاستعمارية مما جعل الاستعمار يعني في الواقع من حيث تاثيره الدولي (التخلف) وليس التقدم اذ ظلت الاقطار والبلدان التي تم استعمارها، ظلت متخلفة اقتصاديا وسياسيا وثقافيا واجتماعيا وظل تاثير ذلك لليوم الى جانب الغزو الثقافي والحضاري الاوربي الذي تعرضنا له وهو نمط من الاستعمار مازال قائما، وهذا يدعونا الى الاشارة للبعد الديني للتوجه الاستعماري الاوربي نحو العالم الاسلامي.

كان الاستعمار الاجتماعي الفكري من اكثر اشكال الاستعمار خطورة، ومن الملاحظ ان الغرب الاوربي خاصة.. الغرب المسيحي خسر الكثير بما لا يمكن تعويضه باي ثمن مادي مهما ارتفع، ذلك ان العرب نظروا في احيان الى الغرب على انه يمثل التقدم العالمي المتمدن والديمقراطي الحر الذي يشع حرية وانسانية، غير ان ذلك كله سقط بفعل التصرفات الاوربية المسيحية تجاه المسلمين وبخاصة تجاه العرب، وبفعل القرارات المشينه التي اتخذتها دول اوربية نحو المشرق وخاصة بريطانيا مما صدم العرب وازال ايمانهم او ايمان بعض قادتهم على الاقل بما يعرف بالشرف البريطاني وتحول الانكليزي الى نموذج للخداع اذ لطالما وعدت بريطانيا العرب بافضل الوعود ثم نكثت بوعودها ولم يكن سهلا تعويضهم بالاموال بل كان دينا ادبيا واخلاقيا سبب عدم الوفاء به اضرارا فادحة في روحيات اقطار العرب وشعوبها التي عانت من الاستعمار منذ النصف الاول من القرن العشرين بشكل مباشر ومن قبل ذلك عندما واجه الغرب الاوربي الدولة العثمانية المسلمة في عمل حثيث لتمزيقها وضرب الاسلام والمسلمين، وعندما قامت بريطانيا وفرنسا خاصة باستعباد شعوب اسلامية وعربية ايام الدولة العثمانية اضافة الى روسيا العدوة الدائمة للدولة العثمانية ورغبة روسيا في تدمير الدولة

المسلمة وكان ذلك هدفها قبل الحرب العالمية الاولى بكثير. ففي بداية القرن الثامن عشر ومع ظهور بوادر صحوة على الدولة العثمانية فقد استردت بعض الاراضي من دول اوربية كانت قد احتلتها واخذتها من العثمانيين فاستنجد اهل البندقية الذين فقدوا تلك الاراضي بالنمساويين تماما كما كان يفعل الصليبيون منذ قرون في قيامهم بمساعدة قوى غير اسلامية ضد الانظمة الاسلامية في المشرق ومصر... وهكذا اخذت النمسا مدينة بلغراد عاصمة الصرب بعدما حارب النمساويون الجيش العثماني، غير ان بريطانيا تدخلت لاجل (عقد الصلح) وبموجبه اصبح لرجال الدين الكاثوليك حماية خاصة بموجب معاهدة شملت الكاثوليك في الاراضي العثمانية الواقعة تحت سيطرة الدولة، اضافة الى حماية التجار الاجانب داخل الدولة العثمانية، واستطاعت الجبهة الكاثوليكية للدول الاوربية ورغم اختلاف سياساتها، وتباين مصالحها السياسية والاقليمية، ان تعمل على اضعاف الدولة العثمانية واستنزاف مواردها وطاقاتها وان تفرض من خلال ذلك نفوذها مع الحصول على الامتيازات الدينية والسياسية.

كانت روسيا تتحرك دوما ضد الدولة العثمانية لاسباب دينية كما ان روسيا كرهت العثمانيين كرها شديدا بسبب فتح القسطنطينية (اسطنبول) والتي كانت مقرا للبطرياركية الارثذوكسية التي يتجه اليها الروس المسيحيون الارثذوكس مما كان يوغر صدورهم دوما ضد المسلمين.

لقد كان للروس دور متميز وقوي في الصراع الذي كان قائما بين القوى الاسلامية والقوى المسيحية، وامتازت سياسة روسيا حيال الدولة العثمانية بنظرة مسيحية على نحو متشدد، ولم تكن اقل حقدا وضغينة على الاسلام والمسلمين من باقي الدول الاوربية، لذا فانها تبنت سياسة خاصة كانت استراتيجية مسيحية استعمارية تجاه مناطق النفوذ الاسلامية سياسيا واقليميا، وعملت جهدها لاستعادة اسطنبول الى حكم الروس (وما استطاعت حتى اليوم) وبعد فتحها الذي مضى عليه 555 عام، كما انها عملت بنشاط في مجال التبشير الارثذوكسي المسيحي باستمالة كافة المسيحيين الذين لايعترفون بسلطة البابا في روما، واتجه الروس الى بلاد القوقاز الاسلامية فهاجموها بغية احتلالها خلال القرن الثامن عشر كما هاجموا بيروت والقرم واحتلوها وهي اول ارض اسلامية او مقاطعة اسلامية يسلخها الروس عن الدولة العثمانية، ومنطقة البلقان حيث دعمت الارثذوكس هناك ضد العثمانيين، وحقق الروس انتصارات كان المهم فيها الجانب الديني اذ التزمت الدولة العثمانية بصيانة (الحقوق والكنائس المسيحية على

اراضيها) كما ضمنت حرية الزيارة لرهبان الروس الى القدس خاصة واحقية الروس في بناء كنيسة في الطريق العام في العاصمة اسطنبول ويشرف عليها السفير الروسي، غير ان اكثر امر مؤلم كان فقدان الدولة العثمانية لمنطقة القرم الاسلامية التي استولى عليها الروس المسيحيون وصارمن حق الروس المطالبة بحماية روسيا لكافة المسيحيين الارثذوكس المتواجدين في ارجاء الدولة العثمانية، كما صار من حقهم وبموجب معاهدة ارسال (مبشرين) للعمل في الدولة العثمانية التي استضعفها الروس وكان هدف هؤلاء المبشرين وهم رجال دين، توطيد السياسة الروسية في المنطقة العربية والاسلامية للمساهمة في تحقيق التطلعات الروسية الى التوسع والاستحواذ بحجة حماية المسيحيين بينما كان الكاثوليك والبروتستانت ايضا يعملون بنشاط تبشيري من اجل مساعدة السياسيين والقادة العسكريين لاحتلال اجزاء من المنطقة واستعمارها وسط منافسة شديدة بين مختلف البعثات التبشيرية ومن ورائها دولهم الساعية الى الاستعمار.

ارسلت بريطانيا وفرنسا ارساليات تبشيرية الى البلاد الاسلامية الواقعة تحت الحكم العثماني لاجل تكريس المصالح الغربية الاوربية بمظهرها الديني المسيحي باقامة الاديرة والمعاهد الدينية والثقافية مع انشاء الكنائس، وقد ازداد التنافس الاوربي الغربي حدة وتوترا خلال القرن التاسع عشر حول احتلال المنطقة العربية الاسلامية والعمل على التغلغل العميق فيها للمصالح الاوربية والذي ادى الى اقتطاع اجزاء من تلك المناطق مرحلة من المراحل الاستعمارية للمنطقة والتوطن فيها.. لكن التنافس التبشيري كان قائما بين الكاثوليك بحماية فرنسا، والارثذوكس بحماية روسيا.. واضطر السلطان العثماني في منتصف القرن التاسع عشر الى الاعتراف بان البابا في روما هو الرئيس الاعلى لطوائف السريان والارمن وغيرهم، واتسع النشاط الاستعماري الاوربي تحت غطاء التبشير ليشمل كافة المذاهب المسيحية من اجل الوصول الى قلب المدن الاسلامية في سوريا والعراق ولبنان ومصر وحتى تركيا وتونس وقبل ذلك كله في القدس الشريف.. ولم يكن ذلك النشاط ليستمر لولا الدعم المادي والمعنوي من القوى الاوربية، وسار النشاط التبشيري جنبا الى جنب مع الرغبة الاستعمارية في الاحتلال وتجزئة الامة، وقد نجح المسعى التبشيري بتحقق المشروع الاستعماري، وفشل بفشله، وكان الفرنسيون يوجهون جهودهم لنشر ثقافاتهم ولغتهم ودينهم ان امكن حتى وسط الجهات الرسمية العليا العربية والتركية مما يولد جيلا يتقبل الوجود الفرنسي وتم نشر ذلك من خلال المدارس الفرنسية مقدمه للاحتلال.

اما التبشير البروتستانتي البريطاني والامريكي فقد كان مثل الانشطة الاخرى وكان مرتبطا بالنزعة الاوربية والغربية الاستعمارية، غير ان العداء الاسلامي للبعثات البروتستانتية لم يظهر الا بعد ان قامت بريطانيا باحتلال اجزاء من البلاد العربية والاسلامية مثل مصر، وكان المد الديني المسيحي باتجاه الشرق الاسلامي قد تصاعد وتزامن ذلك مع تصاعد المد الاستعماري الغربي بجناحيه الكاثوليكي والبروتستانتي، وتم استثمار تلك الجهود التبشيرية من قبل الساسة الغربيين حتى مقدم القرن العشرين.

بدأ النشاط الامريكي منذ بدايات القرن التاسع عشر وجاء في وقت كانت فيه اوربا منشغلة بتوسيع ونشر مستعمراتها لتكون اسواقا لمنتجاتها حيث ساهمت نتائج الثورة الصناعية اولئك المستعمرين من خلال ثورة النقل والاتصالات، غير ان الامريكان ادلوا بدلوهم لكسب اسواق الشرق ومحاولة مد النشاط التبشيري البروتستانتي ايضا وانشاء مدارس امريكية في المنطقة حتى بلغ عددها في الدولة العثمانية ايام الحرب العالمية الاولى اكثر من 670 مدرسة امريكية كما انشأوا مدارس في مصر والخليج العربي في مدن العراق والبحرين وعمان والكويت ناشرين في المنطقة اكثر من 4000 نشرة تبشيرية بدايات القرن العشرين مقدمة للنفوذ الامريكي والتوجه الامريكي للمشرق.. ووسط ذلك النشاط المحموم والمسموم ايضا فان غزوا ثقافيا خطيرا تعرضت له بلاد الاسلام خلال القرن التاسع عشر بشكل خاص وهو القرن الذي شهد نشرا للمسيحية ونشرا للاستعمار ايضا حيث تم احتلال الجزائر وتونس ومصر وعدن والسودان اضافة لمناطق اسلامية في افريقيا واسيا مما يعطي الدليل القاطع على البعد الديني للتوجه الاوربي الاستعماري نحو العالم الاسلامي.. وكانت احدى اهدافه فك ارتباط النصارى في الشرق بالمجتمع الاسلامي تمهيدا لفك ارتباطهم بالسلطة وجاء الغزو الثقافي قبل وخلال وبعد الغزو العسكري.

كانت معظم الاقليات المسيحية في الشرق الاسلامي وبمختلف طوائفها، اداة بيد المبشرين خدمة للمصالح الغربية وخاصة الاوربية منها والتي قامت دولها بدعوة بعظهم الى تكوين دولة لهم مثل موارنه لبنان، ولقد غزت مظاهر الحضارة الغربية كل مظاهر الحياة الشرقية والاسلامية، وقد بدأ الغربيون ينزحون مهاجرين وغير ذلك الى الشرق جماعات وافرادا فيهم السواح، ورجال الاثار، والتجار، والجواسيس، والمستشرقين.. هدفهم التعرف الى المنطقة وتقاليد اهلها ومكامن القوة والضعف فيها للاستفادة منها للاهداف الاستعمارية ولنفس الهدف

جاء عسكريون لدراسة احوال السكان وطبيعتهم الدينية والاجتماعية والانسانية، وفيهم جغرافيون لدراسة طبيعة الارض والمناخ، ثم جاء جيولوجيون للتعرف الى مكان الثروة المعدنية في المنطقة... وكل ذلك صب في خدمة المشروع الاستعماري الاوربي الذي جاء بعد ذلك النشاط الكبير الذي ذكرناه والهادف الى اخضاع الشرق العربي الاسلامي لسيطرة المستعمرين بعد استغلال الظروف المناسبة ومنها (انبهار) ابناء الشرق الذين كانوا يعيشون اجواء من التخلف والخوف، انبهارهم بالمدنية الاوربية وتقدم الغرب والذهول مما يحمله الغربيون القادمون الى الشرق من اساليب متقدمة في الحياة في مواجهة الحياة البسيطة والمعدمة للمسلمين الذين شعروا بان (الكفار) يزدرونهم فيما كان المسلمون متمسكون باخلاقياتهم وانفتهم مع شعور المسلم بالتراجع ازاء النموذج الاوربي المتقدم جدا على المسلمين، ومالبث اولئك الغربيون ان سيطروا بما لديهم من كفاءات متعددة، على مرافق عديدة هامة في الشرق واستغلال خيرات حتى زادت شهية اولئك الاوربيين وازدادت مطامعهم وجرأتهم وتدخلاتهم وبحماية اساطيل بلدانهم الاوربية وقناصلهم وسط (رهبة) الشرقيين الذين وصلوا الى المستوى الادنى من الواقع السياسي والفكري والثقافي بعد سنوات طويلة من الجهود الحثيثة التي بذلها الاوربيون لربط الشرق بمعاهدات وتحالفات اوصلته الى حالة البؤس فيما ربط الغربيون ذلك البؤس والتخلف بالاسلام الحنيف البريء من ذلك.

ساهم الوضع الاقتصادي السيء في الدولة العثمانية وولاياتها، وفساد الادارة واساليبها البالية في استفادة الاوربيين من ذلك واستغلاله لمصلحتهم وتطويق الدولة العثمانية بالديون التي كادت تخنقها وبدأ الغربيون يطالبونها بالاصلاحات لابعادها عن الشريعة امعانا في تفتيتها وتمزيق المجتمع الاسلامي وخاصة العربي قبل احتلال بلدانه واستعمارها.

مع بدايات القرن العشرين توترت العلاقات في المشرق بين المسلمين والمسيحيين، واوحى المبشرون ذلك لاجل ان يقوم نصارى الشرق بطلب الحماية من الاوربيين بالتدخل العسكري حتى لقد صرح القنصل الامريكي في بيروت قبل الحرب العالمية الاولى بان الاغلبية الساحقة من السوريين يرحبون بالحماية الامريكية او البريطانية ولم يكن ذلك صائبا بطبيعة الحال غير ان عددا (محدودا) من مسيحيي الشرق نظر الى الاوربيين والامريكيين باعتبارهم (منقذين) فقد طالب احد البطاركة وهو المارشمعون حماية شعبه مما دعاه (الاكراد المحمديين المتوحشين) وجاء طلبه الى الحكومة البريطانية بعد الحرب الاولى عام 1914، وكان ذلك كله بمثابة دعوة للاوربيين وللامريكان ايضا لاحتلال مناطق في الشرق العربي الاسلامي.

لقد خاضت الدول الاوربية حروبا استعماريةكثيرة لتوسيع ممتلكاتها وشهد قرن من الزمان فترة من الفوران الاستعماري الجامح في كل القارات واتجهت انظار الاوربيين الى العالم الاسلامي لاستعماره ليس فقط لاسباب ستراتيجية وانما لاسباب دينية ايضا كما مر بنا محاولين تمزيق الدولة الاسلامية الى اشلاء يسهل احتلالها وحكمها مع محاولة ازالة المفاهيم الاسلامية في المجتمعات العربية الاسلامية واقامة مجتمع على اسس اوربية علمانية، والتدخل العسكري المباشر وكأنه حرب صليبية جديدة حتى ان ضابطا فرنسيا كبيرا صرح في الجزائر وهو يقود الحملة الاستعمارية الفرنسية ضدها قائلا: (اننا نحرق كل الدور وكل القرى وكل المخابئ ودمرنا كل شيء ونحن ندمر العرب) فيما يصرح غيره في سوريا بعد احتلال دمشق وامام قبر صلاح الدين (ها قد عدنا ياصلاح الدين) واحتل الفرنسيون سوريا ولبنان وتونس مثلما احتل الايطاليون ليبيا والانكليز احتلوا العراق بعد مصر والسودان ثم فلسطين مستغلين اوضاعا هيأت الاجواء للاحتلال قبل وخلال الحرب العالمية الاولى ثم جاء تصريح بلفور لاعطاء الارض المقدسة في فلسطين لليهود ليكون وطنا قوميا لهم... وكل ذلك خوفا من قيام كيان سياسي اسلامي واحد قد يشكل خطرا على الغرب وبعدما مزقوا الشرق الى اقاليم عدة ضمنوا نهاية القوة الاسلامية باسقاط الخلافة واخضاع الولايات العربية لهم وصرح وزير المستعمرات البريطاني (اورمسبي غور) امام البرلمان البريطاني عام 1936 بان سقوط الخلافة كان من اكثر الاحداث التي اشعرت بريطانيا بالسعادة، كما صرح مبشر امريكي بان التبشير وصل الى اسمى غاياته في مهاجمة العالم الاسلامي ووصل الى نتائج لم يكن احد يحلم بها منذ الحروب الصليبية... قال ذلك (صموئيل زويمر).

لقد ركز الاوربيون كما مر بنا على تمزيق الدولة العثمانية وماتسيطر عليه من مناطق عربية واسلامية ورغم ان النمسا ايضا رجل اوربا المريض مثل الدولة العثمانية فان الاوربيين سكتوا عنها لانها (كاثوليكية) مسيحية فيما ركزوا كل دعاياتهم السيئة ضد الدولة العثمانية لانها (مسلمة) واخذت تظهر في اوربا نظريات عرقية حول تفوق الرجل الاوربي ثم اخذت الازمات تظهر في البلقان لتنفجر حروب فيه ضد الدولة العثمانية حتى حلت الحرب العالمية الاولى حيث اعتقد الاوربيون ان الحرب يمكن ان تؤدي الى عالم افضل حيث تصبح اوربا(مركز العالم) ولقد هزت الحرب واحداثها المسلمين الذين كان عددهم عام 1920 اكثر من 240 مليون نسمة وشاركو في الحرب مع الحلفاء الذين خططوا لتقسيم الدولة العثمانية فيما بينهم بالاحتلال

المباشر وكان للحرب العالمية الثانية التي نشيت عام 1939 تاثير قوي وحاسم على التطور الذي شهدته البلدان الاسلامية حيث وجد قادة بلدان مستعمرة انفسهم وجها لوجه امام ممثلي القوى الاستعمارية التي انهكتها الحرب وكانت تستحق ذلك حقيقة بعد قرون من الظلم الذي الحقته بالمسلمين وغيرهم .واثبتت الحرب الثانية خرافة التفوق الاوربي وهو تفوق كان واضحا خلال الحرب العالمية الاولى وما قبلها عندما كانت بلدان عدة اوربية تعد نفسها للحرب من خلال سياسة الاحلاف والتكتلات العسكرية التي كانت مع غيرها ممهدات للحرب عام 1914.

4

الفصل الرابع

سياسة الاحلاف والتكتلات العسكرية ومقدمات الحرب العالمية الأولى

تعاظم دور المانيا في اوربا والعالم بعد انتصار الالمان على الفرنسيين عام 1870، ولاجل ضمان قوتها رأت المانيا بقيادتها السياسية ان تربط البلاد بسلسلة تحالفات في اوربا لتقوية مركز المانيا، وهكذا اتفقت مع النمسا (رغم محاربتها قبل ذلك) ودخلت معها في حلف عرف بالحلف الثنائي عام 1879 وابقاء شروطه سرية وظلت غير معروفة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى عام 1918 حيث نصت على ان تقدم كل منها مساعدتها للاخرى اذا ما هاجمتها روسيا، وفي حال قيام فرنسا بالهجوم على المانيا فان النمسا تقف على الحياد..

هيأ ذلك الحلف للنمسا اطمئناناً من جهة اطماع الروس في البلقان فما هيا لالمانيا شعوراً بالثقة من جهة حدودها الجنوبية اذا ما دخلت في حرب ضد فرنسا او روسيا.. وظلت تلك المعاهدة الاساس الذي ارتكزت عليه السياسة الالمانية، لكن النمسا لم تكن الا الحصان الخاسر لالمانيا بسبب ما كانت تشكو منه من ازمات ومشاكل قومية، غير ان المانيا ابقت على تحالفها مع النمسا لمواجهة روسيا التي كانت تريد التوسع نحو البلقان ومن منطقة البحر الابيض المتوسط فيما كانت النمسا ايضا راغبة في توسيع اراضيها ونفوذها الى منطقة البلقان التي كان بعضها تحت السيطرة العثمانية مما كان يشكل ضرباً لآمال الروس، غير ان التحالف الثنائي بين المانيا والنمسا سبب قلقاً لبريطانيا لان ذلك التحالف عمل لاجل مد النفوذ الالماني خاصة الى الدولة العثمانية وحتى بغداد وهو ما يهدد المصالح الاستعمارية البريطانية التي كانت تسعى الى مد ودعم نفوذها في المنطقة العربية وخاصة في العراق والخليج العربي وايران.

ان المانيا لم تكن جامدة في علاقاتها الدبلوماسية ونشاطها الدولي وكان ما يؤرقها هو عودة فرنسا الى قوتها وبالتالي تهديد المكاسب التي حصل عليها الالمان في اعقاب وحدتهم في عام 1871، وهكذا فان المانيا التي ارادت من تحالفها مع النمسا (منع) روسيا من تهديد المصالح النمساوية في البلقان، نجدها تعمل مع روسيا ايضا لكي لا تجد روسيا نفسها معزولة فتذهب للتحالف مع قوى اوربية لتقوية مركزها في اوربا ولن يكون لها حليف قوي مثل فرنسا وهكذا قامت المانيا بتحسين علاقاتها مع روسيا وربط ذلك بالنمسا ايضا في تحالف ثلاثي دام عدة اعوام وكان احد اهم اسباب اندفاع المانيا الى ذلك الاجراء الغريب هو حرصها على عزل فرنسا حتى نجد ان التعصب القومي الالماني وخاصة بعد انتصارها العسكري كان الموجه

لسياستها الخارجية متمثلاً بالمحالفات ضد فرنسا وليس كما اراد الاوربيون من مفكرين وفلاسفة والذين استنكروا وقوع الحروب في اوربا وكثرة الدماء التي سفكت في تلك الحروب والخوف من سفك المزيد من الدماء في حروب اخرى قسراً وان الافضل قيام (وحدة اوربية) وتحكيم مبادئ الانسانية والقانون الدولي ونزع السلاح، والتحكيم من اجل انهاء او تخفيف التوتر بين دول اوربا.

رأى بسمارك ان هناك توافقاً فكرياً مع كل من النمسا وروسيا المحكومتان من انظمة ملكية مستبدة، وقد سنحت له الفرصة لكسب روسيا بعد اغتيال ملكها عام 1881 لاجل احياء ما كان سابقا (عصبة الاباطرة الثلاثة) المانيا- النمسا- روسيا حتى يضمن وقوف روسيا معه ولو على الحياد في حال حدوث حرب بين المانيا وغيرها، لكي ينحصر الخلاف في اضيق نقطة. واستفادت النمسا من ذلك حتى تضمن حياد روسيا والمانيا معاً في حال حدوث حرب مع ايطاليا فيما استفادت روسيا من الاتفاق لكي تعمل بشيء من الحرية في البلقان واراد بسمارك تهيئة اجواء دافئة في العلاقات بين روسيا والنمسا حتى لو كان ذلك على حساب صربيا التي ارادها منطقة نفوذ للنمسا، وبلغاريا منطقة نفوذ لروسيا.

لقد كان التحالف بين المانيا وغيرها مدعاة للاستغراب اذ كيف يمكن ربط الاعداء فيما بينهم بتحالف؟ ولم يكن بالمستطاع ان يدوم ذلك مع عمق الخلافات بين النمسا وروسيا خاصة بسبب اطماعها التي ليس لها حدود مثلهما مثل باقي الدول الاوربية الكبرى المتصارعة من اجل النفوذ والاستحواذ والتسلط.

وفيما ضمنت المانيا نجاح سياستها، واحتفاظها بما كسبته من تفوق ومقدرة بفعل التحالف الثنائي مع النمسا، والتحالف مع روسيا والنمسا، فان بسمارك لم يفكر بضم ايطاليا الى التحالف لكن الاخيرة طلبت ذلك دون ان تجد حماساً من المانيا التي رأت فيها دولة لا تحتفظ بوعودها عندما تتعارض مع مصالحها اضافة الى ان السياسة الايطالية ذات طابع مضطرب يسبب المتاعب للغير.. وكانت تلك نظرة ثاقبة من الالمان لان ايطاليا مضطربة السياسة حتى اليوم، ومضافاً الى هذا كله فان علاقات النمسا مع ايطاليا لم تكن ودية بل متوترة منذ كانت النمسا تحتل ايطاليا قبل وحدتها، غير ان مصلحتها اقتضت مد جسور مع النمسا بدعم من المانيا حيث تم تحالف بين الثلاثة عام 1882 ونص على ان تساعد كل دولة حليفتها اذا هاجمتها دولة اخرى شرط الا تكون احدى دول التحالف (معتدية).. واستفادت من هذه الفقرة

عندما لم تؤيد المانيا حين وقعت الحرب العالمية عام 1914 على اساس ان المانيا كانت قد اثارت الحرب واعتدت، غير ان ذلك التحالف كان مفيداً لالمانيا لانه يجعل فرنسا تضع قوات منها على الحدود مع ايطاليا كما تتم الاستفادة من قوات نمساوية كان يمكن وضعها لحماية حدودها مع ايطاليا لكن الحلف اعطى النمسا حرية في عدم ترك قوات عند حدودها مع ايطاليا.. وظلت بنود ذلك التحالف سرية رغم الاعلان انها (معاهدة دفاعية) لا يقصد منها الاعتداء على احد غير ان تلك (المعاهدة الدفاعية) سمحت للايطاليين تنفيذ هجومهم على القطر العربي الليبي واحتلاله واستعماره عام 1911 وتعزيز تواجدهم في ليبيا وغيرها في مواجهة الاستعمار الفرنسي في شمال افريقيا (تونس والجزائر).

لقد كان اخوف ما تخشاه المانيا حقيقة في تلك الحقبة هي ان تضطر الى الحرب في جبهتين معا ضد روسيا في الشرق وضد فرنسا في الغرب مما يجعلها مضطرة الى توزيع قواتها على جبهتين.. وهو ما حدث بالفعل عام 1914.

ولاجل منع مثل ذلك الاحتمال المزعج للالمان، سعى بسمارك الى عقد اتفاق مع روسيا عام 1887 واشتمل على مواد سرية تدعو كلا منهما على الوقوف على الحياد في حال قيام حرب بين احداها ودولة كبرى ثالثة، مع اعتراف المانيا بتفوق روسيا في بلغاريا والموافقة على مبدأ اغلاق مضيق البسفور، غير ان النمسا كانت تثير المشاكل مع روسيا وتجر حليفتها المانيا الى نزاع مسلح، وكانت المانيا حريصة على حفظ السلام العام من خلال امتناع النمسا عن استفزاز روسيا مما سيؤدي الى نشوب حرب بينهما بسبب البلقان التي كان كثير من الالمان لايقدرونها ولا يرون مناسباً ان يقتل بسببها جندي المانيا واحد ذلك ان سكان البلقان في نظر امبراطور المانيا (خُلقوا ليخدموا لا ليحكموا) مع وجوب اجبار صربيا على الانصياع للنمسا والا وجب ضرب عاصمة صربيا (بلغراد) بالقنابل وغير ذلك من آراء تتسم بالغطرسة والعنجهية والعدوانية وقد جاء ذلك الرأي على لسان الامبراطور قبل عام واحد فقط من نشوب الحرب عام 1914 عندما اقنع النمساويين بان في امكانهم العمل بحرية اعتماداً على حلفهم مع المانيا، وادت تلك الكلمات والمشورات والوعود الى نكبات للنمسا والمانيا واوربا بل والعالم كله.

كان نظام المحالفات الذي انشأه بسمارك قوياً حتى عام 1890 عندما تم اخراج الرجل من رئاسة الحكومة الالمانية فتبدلت سياسات المانيا التي ارسى قواعدها لاجل بقاء السلام من خلال المحالفات، وصارت المانيا عدوانية لا تخشى الحرب واستفزازية للدول الكبرى، وراحت

تحالفاتها تتهاوى تدريجياً فيما اخذت تحالفات قوية ضدها تنشأ مع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين والتي كانت ركناً اساسياً من اركان الحرب.

كان السلام الذي اقامه بسمارك سلاماً مسلحاً وقد انتهى عهده بوصول وليم الثاني الطموح والذي لا يخشى الحرب لانها الطريق نحو المجد الذي لا يأتي الا بالقوة لا بالتهدئة، وقد شعرت اوربا سريعاً بتبدل السياسة الالمانية وخشيت من نتائج ذلك.

لم يرضَ الامبراطور الالماني عن التحالف مع روسيا لعزل فرنسا ومنعها من تحقيق املها بتحرير الالزاس واللورين اللتين فقدتهما في حرب السبعين، حيث عملت فرنسا كل ما في وسعها لتحريرهما بكل السبل وخاصة بتقوية مركزها في اوربا عن طريق البحث عن حليف او حلفاء تستند اليهم، فكانت روسيا هي الحليف الذي يعطي املاً للفرنسيين باسترجاع اراضيهم في المقاطعتين، ومع ان نظامي فرنسا وروسيا كانا مختلفين تماماً بشأن المبادئ العامة فان المصالح واشتراك الاهداف لديهما دعا فرنسا المتحررة تتحالف مع اعتى نظام رجعي مستبد في اوربا وهو النظام الروسي.

كانت فرنسا تريد دولة قوية تؤمنها ضد أي هجوم الماني كاسح جديد ضدها، فيما اراد الروس كسب اموال من فرنسا لصرفها على خدمات خاصة في روسيا وخاصة سكك الحديد ومدها عبر الاراضي الروسية الشاسعة، وبدأ التقارب بينهما من خلال الموانئ بزيارات متبادلة بين اسطولي الدولتين وحاول الامبراطور الالماني عرقلة أي تحالف بين فرنسا وروسيا لكنه فشل بسبب قلق الروس من سياسات وتوجهات المانيا ونظرة الالمان المتعالية نحو روسيا، وبالتالي عدم وجود حسن نية بين الطرفين وهو ما ادى الى تباعدهما مع الوقت.

وبالعكس ارادت فرنسا طمأنة روسيا على نظامها القيصري الملكي المستبد (مع ان فرنسا جمهورية ديمقراطية)، وهكذا اقتربت فرنسا من روسيا حتى أتى الوقت المناسب للتفاهم عام 1893 بعقد تحالف عسكري روسي- فرنسي بشكل اتفاقية تضمنت تقديم البلدين 2.000.000 مليوني جندي في أية حرب ضد المانيا وذلك لارغامها على القتال في جبهتين.

كان ذلك الاتفاق بداية النهاية لعزلة فرنسا وبداية تطويق المانيا، غير ان ذلك التحالف ظل سرياً ومهماً جداً مثل التحالف السري الثنائي بين المانيا والنمسا، غير ان المعلن في اتفاقية الروس والفرنسيين كان تقديم الدعم الكامل لروسيا مالياً وعلمياً ومعنوياً وعكسرياً لان روسيا كانت ضعيفة صناعياً.

كانت تلك التحالفات الثنائية بين اهم دول اوربا، وجاء التقدم السريع لالمانيا عسكرياً وبحرياً وصناعياً ليضع بريطانيا في حال مقلق بعدما كانت قد ركنت الى قوتها العالمية وعزلت نفسها في (عزلة مجيدة)، ورغبت بريطانيا ان تصالح الالمان بتخفيف التوتر مع بلادهم واعتقاد بعض ساسة بريطانيا بامكانية قيام اقوى تحالف مع المانيا في اوربا بوجود تقارب عائلي بين ملكي البلدين ووجود علاقات ثقافية بين البلدين، لكن المانيا رفضت الاتفاق مع بريطانيا، وكان الالمان يكنّون كرها للانكليز لاسباب مختلفة منها عدم ثقتهم بمشاعر الانكليز نحو المانيا كما انهم (من وجهة نظر مؤرخين انكليز) كانوا يحقدون على بريطانيا، ورأى هؤلاء المؤرخين أن الالمان عاطفيون متعجرفون انفعاليون، وزاد الحقد مع الايام وخاصة مع نهاية القرن التاسع عشر مما ادى بتلك العواطف والاحقاد الى نكبات لهم ولغيرهم بعد نصف قرن كامل من الدعاوى الالمانية ضد بريطانيا والتي ادت الى تهييج الرأي العام الالماني، وجاء ذلك متزامناً مع رغبة المانيا في تحدي القوة البحرية البريطانية وهو ما جعل الانكليز بدورهم يبتعدون عن أي لقاء هام مع الالمان وبالتالي بدأت بريطانيا تبحث عن حلفاء لها منهية بذلك ما عرف بالعزلة المجيدة التي دامت عشرات السنين ولقد كانت علاقاتها مع روسيا غير ودية بل وتصل الى حد العداء بسبب منافستها للنفوذ البريطاني في الشرق الادنى وايران وافغانستان والهند، وتهديدها المستمر للدولة العثمانية واطماعها بالمضايق التركية في البسفور والدردنيل.. مما هدد طريق الهند التي كانت تعرف بـ(درة التاج البريطاني) اضافة الى نشاط الروس في الشرق الاقصى عند الصين واليابان مما كان يشكل منافسة (تجارية) لبريطانيا في تلك المناطق.

في اعقاب الاتفاق السري العسكري بين روسيا وفرنسا والاتفاق السري العسكري بين المانيا والنمسا ظلت بريطانيا بعيدة عنهما مع وجود مصالح لها متعارضة مع مصالح الاخرين وخاصة في مجال الاستعمار والاستحواذ على المستعمرات، وما لبثت بريطانيا ان وجدت نفسها مكروهة بسبب حرب قامت في جنوب افريقيا حيث ايدت فرنسا والمانيا وروسيا القوى التي كانت تحارب الانكليز هناك، وحاول الساسة في بريطانيا ايجاد فرصة للتفاهم مع المانيا معلنة انها اذا لم تتفق مع الاخيرة فسوف تبحث عن حلفاء اخرين.

كانت المانيا تعتقد ان بريطانيا لن تستطيع التحالف لا مع فرنسا منافستها في الاستعمار بافريقيا، ولا مع روسيا عدوتها التقليدية لمدة طويلة، وهكذا عرضت بريطانيا اتفاقاً مع اليابان في اسيا عام 1902 بعدما اثبتت اليابان قدرتها على التحرك لمواجهة الاطماع الروسية

والامريكية والبريطانية، غير ان التهديد الاكبر في اقصى اسيا كانت تمثله روسيا انذاك ولان بريطانيا تخشى على مستعمرتها الاساسية الهند، فانها اتفقت مع اليابان لوقف اي تقدم روسي في المنطقة مع تحذير فرنسا والمانيا من أي تدخل، وهكذا كان اتفاق 1902 بين اليابان وبريطانيا اول اتفاق اوربي اسيوي شرقي استغلته اليابان في حربها ضد روسيا عام 1904 والانتصار عليها براً وبحراً حتى اصبحت احدى الدول الكبرى وصارت تعرف في اوربا بالخطر الاصفر واضعفت روسيا في اوربا مما جعل المانيا والنمسا تعتقدان ان بالامكان العمل والنشاط في البلقان لكي ينحسر النفوذ الروسي منها، فيما رأت فرنسا ان الاوفق لها ان تقترب من بريطانيا عدوتها في اكثر الاحيان والتي بدورها قبلت الاتفاق مع فرنسا حيث تم ذلك عام 1904 فيما عرف ايضا بالاتفاق الودي وهو في الحقيقة صفقة استعمارية بين الدولتين وجدتاه مربحا لهما معاً فقد اعترفت فرنسا بـ(الحقوق الخاصة) التي كسبتها بريطانيا في مصر في مقابل اعتراف الاخيرة بمركز فرنسا الخاص في مراكش.. ودون أي اعتبار لاهل مصر ومراكش.

في الاتفاقية بند سري عين حدود منطقة النفوذ الفرنسي في مراكش اضافة الى اتفاق الطرفين على تسوية الخلافات (الاستعمارية) فيما بينهما، لكن بعض الانكليز ومن السياسيين رأى ان الاتفاقية ستكون ضد المانيا مما سيقود بريطانيا الى حرب معها، وهو ما حدث فعلاً بعد عشر سنوات من الاتفاق الودي.

وفيما اقتربت فرنسا من روسيا ثم من بريطانيا، فقد كان على فرنسا ان تعمل جهدها للتقريب بين العدوتين الكبيرتين روسيا وبريطانيا لاجل احكام الحصار على المانيا، وهكذا وبدفع ومساندة من فرنسا، وافقت بريطانيا على عقد معاهدة تماثل الوفاق الودي، وقد تم توقيع المعاهدة عام 1907 بعد مفاوضات شاقة، ذلك انه كان لروسيا مطامع شديدة في ايران ومناطق اسيا الوسطى الاسلامية وحتى افغانستان، وكان لهزيمتها امام اليابان اثر سلبي على مخططاتها للتوسع في اسيا وبقي لها امكانية التوسع في بلدان اسلامية وعربية في ايران والعراق والدولة العثمانية فيما كانت بريطانيا تعارض أي توسع روسي نحو المضايق التركية او شمال العراق او الوصول الى الخليج العربي وهو طريق الانكليز الى الهند، واضيف لذلك ظهور النفط في جنوب ايران ومد النفوذ الالماني الى الدولة العثمانية فكان الخطران الروسي والالماني مقلقين لبريطانيا وخاصة تهديد روسيا للهند، وهكذا جاءت المعاهدة لتسمح لروسيا

في التوسع شمال ايران ولتسمح لبريطانيا التوسع في جنوبها مع الابقاء على منطقة لا يصل اليها الروسي ولا الانكليز لكيلا يتصارعان مع تأكيد بريطانيا على انها تدعم استقلال الشاه وبلاده..؟!

كان ذلك الاتفاق نوعاً من الشعور الطيب دون ان يصل لمستوى الحلف العسكري غير انه ومع الاتفاق الودي اصبحت الدول الثلاث الكبرى في صف واحد عرف بدول (الوفاق) الثلاثي، ثم بدأت ايطاليا تفاوض الروس والفرنسيين للوصول الى اتفاق (استعماري) معهما بشأن ليبيا مقتربة من الوفاق وصار وضع المانيا حرجاً وادركت انها صارت مطوقة معزولة مهددة من اكبر دولتين بحريتين (فرنسا وبريطانيا) ومن اكبر بلد في عدد السكان (روسيا) وادت تلك التحالفات والتكتلات الى زيادة التوتر رغم انها تحالفات دفاعية استعمارية، وادت الازمات الى تقوية روابط الكتل فصارت مستعدة للحرب لانها في نهاية الامر اوجدت جواً صالحاً للحرب فقد بدأت الدول المتحالفة تتورط في مشاكل من عمل الحلفاء ومطامحهم فعلى سبيل المثال فان مطامع النمسا في البلقان خلق وضعاً خطيراً وربط المانيا ضد روسيا ومن ورائها تورطت بريطانيا وفرنسا المرتبطتان بعهود مع روسيا، وتصورت كل دولة انها اذا ما تحركت فسوف تجد دعماً من حليفتها.. وهكذا مالت كل دولة الى عدم المسامحة عند حدوث أي اشكال دبلوماسي مع دولة اخرى فترتفع حرارة الخلاف طالما ان الجميع مسلح ومتفق مع غيره، ولم يعد هناك مجال او فرصة لتنازل أي طرف للطرف الاخر وصار الجميع بانتظار الفرصة للانقضاض على خصمه قبل سنوات قليلة من نشوب الحرب الكبرى عام 1914.

اوضاع اوربا قبيل الحرب العالمية الاولى

- اسباب الحرب

لاحظنا كيف انقسمت اوربا الى جماعتين او كتلتين متنافستين ومسلحتين، وكان معظم الذي اتفقوا عليه لا يتعلق بالسلام والحفاظ عليه، بل بالمصالح الاستعمارية وكيفية الاتفاق بشأنها، وهكذا كانت التحركات البريطانية بدافع من حرصها على مستعمراتها وساومت فرنسا وروسيا في هذا المضمار، كذلك فعلت فرنسا وروسيا مع ايطاليا، وكانت مساومات هؤلاء تتعلق كلها تقريبا بالمناطق العربية والاسلامية دون وازع من ضمير او اخلاق، فهذه ايطاليا تُبلغ روسيا انها تستطيع التقدم الى المضايق التركية دون اعتراض من ايطاليا مقابل عدم اعتراض روسيا

على الاحتلال الايطالي لـ(ليبيا) وهذه فرنسا تمنح غريمتها ومنافستها بريطانيا موافقة على اكتساح مصر والسودان واستعمارهما مقابل موافقة بريطانيا على منح فرنسا حرية الحركة ضد مراكش.. وجرى (اتفاقهما الودي) عام 1904 ودام حتى اليوم.

ان ما يهمنا ان اوربا كانت في بدء القرن العشرين تتحكم بل وتحكم اقطار العالم، وصارت السياسة العالمية ترسم في اوربا المتفوقة علمياً والغنية مالياً بشكل كبير بسبب استعمارها اقطاراً وفيرة الثروات في افريقيا واسيا، وبسبب امتلاكها جيوشاً واساطيل قوية منظمة، وحصولها على ما تريد بالتهديد والوعيد او الترغيب.. غير ان دول اوربا الاساسية كانت متنافسة فيما بينها مع فوارق كل دولة عن غيرها بالقوة وبالظروف التي تحكمها.

على رأس تلك الدول الكبرى تقف المانيا في الواجهة بقوة، تليها كل من بريطانيا وفرنسا ثم النمسا وروسيا واخيراً ايطاليا والدولة العثمانية رجل اوربا المريض كما وصفها بعض قادة اوربا.

كانت المانيا دولة شابة متحدة ومن اقوى الدول في اوربا حتى قبل نشوب الحرب الاولى، وكانت قد تحولت بعد منتصف القرن التاسع عشر في التحول من دولة زراعية الى دولة صناعية وزراعية، وامتلكت كميات كبيرة من الفحم الضروري للصناعات الثقيلة الى جانب امتلاكها للحديد، فازدهرت الصناعات المختلفة وخاصة الصناعات الكهربائية والكيميائية لتصبح الاولى عالمياً في الانتاج، ففي 1870 انتجت حوالي 34 مليون طن من الفحم فصار حوالي 280 مليون طن عام 1913 كما ازداد عدد سكانها من 40 مليون نسمة الى 67 مليون نسمة ايام الحرب.

لقد كانت دولة غنية وقوية مستقرة ومتطورة في مختلف المجالات، وقام الشعب الالماني باعمال مجيدة بانتفاعه من مزايا اجتماع العلم مع الصناعة في ذكاء شديد وترسخ لدى الشعب الطاعة والنظام والقوة في الشخصية الى جانب زيادة غير عادية في القراءة والثقافة بشكل مذهل، ومعالجة المشاكل الاجتماعية بنجاح، وتخطيط المدن وغير ذلك في البلاد، الى جانب حب النظام والقانون مع غطرسة واضحة من المواطنين الراغبين في ان تكون بلادهم فوق الجميع وان يكون لها موقع هام تحت الشمس.. كل شيء في البلاد منظم دون ترك شيء للصدفة والهوى بل للتخطيط المتقن بما في ذلك التخطيط للحرب لاجل النجاح وتثبيت (الجاه

الالماني)، ولاجل ذلك تمت عسكرة المجتمع الالماني حتى صارت المانيا (دولة تهدد السلام في اوربا مباشرة) من وجهة نظر خصومها، فيما رأى الالمان ان لبلادهم مصالح مثل بقية الدول العظمى وان تلك المصالح الدائمة هي التي توجه السياسة الخارجية وارتباطها واضح بالجغرافية والسكان والحالة النفسية.

اراد الالمان المحبين للنظام والقانون والدولة، ان تكسب بلادهم اراض لضمها لالمانيا من اجل تكوين (الجامعة الجرمانية) في اوربا.. وهي تشابه رغبة الروس لتشكيل (الجامعة السلافية) وتضم دول البلقان، كما ان السلطان العثماني عبدالحميد الثاني كان راغباً في قيام (الجامعة الاسلامية) مثل رغبة العرب وعملهم فيما بعد لاقامة (الجامعة العربية).

مد الالمان نفوذهم شرقاً بعدما كسبوا العثمانيين الى صفهم وسط ترحيب واعجاب الاتراك بالمانيا تماماً مثل اعجاب العرب بها بعدئذ، واعتمد الالمان في مد نفوذهم الى المشرق وافريقيا الوسطى ومراكش على القوة التي كانوا عليها وخاصة القوة العسكرية التي اخافت كثيرين واقلقت غيرهم، كما اعتمدوا على تحالفاتهم مع دول اخرى كما مر بنا مع شك قادة الالمان بامانة ايطاليا واخلاصها بعكس النمسا.. وهكذا فان مشاعر الالمان لم تكن مع الايطاليين الذين احتلوا ليبيا رغم تحالفهما السابق للاحتلال، بل ان المانيا بعد ذلك الاحتلال بدأت تتعاطف اكثر مع الدولة العثمانية بشكل كامل.

اذاً كانت المانيا امبراطورية يحسب لها كل حساب فهي اقوى دولة في اوربا والعالم وقد سلكت طريق التوسع منذ تأسيس الجامعة السلافية عام 1890 دون ان تتضح الصورة لدى الذين ارادوا ذلك التأسيس سوى ان تكون المانيا دولة قوية وان تضم كل الالمان الذين كانوا يعيشون في النمسا وهنغاريا (المجر) ومنطقة البلطيق (بحر البلطيق) غير ان ذلك كان نوعاً من الاحلام التي يصعب تحقيقها على ارض الواقع لاسباب جغرافية وسياسية وغيرها وسبق ان لاحظنا وصول المانيا المتأخر الى عالم الاستعمار الحديث اذ كان العالم قد تم تقسيمه الاستعماري بين دول القارة الكبرى الاخرى غير المانيا، لكن الاخيرة فكرت في (مراكش) المستقلة عام 1904 وحصلت المشاكل بسببها كما سنلاحظ ذلك، مع حصولها على مصالح في الصين وامريكا الجنوبية اضافة للشرق الادنى لكسب الاسواق لمنتجاتها الكبيرة مع استفادتها من التنظيم الجيد للغرف التجارية العائدة لها ونشاط عملائها وتنظيم المصارف الالمانية في خارج المانيا، ولعل من الوسائل الاخرى التي اتبعتها في تحقيق مصالحها هي الوسائل

الدبلوماسية التي كانت اقل كفاءة ومتانة من الوسائل العسكرية والبحرية ولذا فان قيام الاتفاق الودي البريطاني الفرنسي ثم الوفاق الثلاثي البريطاني الفرنسي الروسي قد ازعج الالمان واشعرهم بالتطويق والعزلة بدلاً من خصومهم واعدائهم الفرنسيين، وحاول الالمان كسب شيء دبلوماسي من ازمة مراكش عامي 1904- 1905 لكنها لم تحصل على شيء، فيما قام الفرنسيون والانكليز بتسويات لهم عليحساب العرب المسلمين وسيادتهم المسلوبة وادى ذلك التنافس الدبلوماسي الى نتائج خطيرة دفعت اوربا دفعاً الى الحرب حين تصاعدت الازمات امام التكتلات الاوربية المتباينة وامام شعور الانكليز بقوتهم العالمية وشعور الالمان انهم (اصحاب رسالة) هدفها (توجيه تاريخ العالم) الى اخر تلك المزاعم العنصرية حول (التفوق) الاوربي.

وعلى الرغم من ذلك الشعور الالماني الطاغي بالقوة والتفوق، فان الالمان الموجهين للبلاد ستراتيجياً كانوا قلقين من ان أية حرب ستقوم مع دول اخرى ستخلق مشكلة تأمين الغذاء للشعب خاصة وان بريطانيا كانت سيدة البحار أنذاك فمع ان الشعب متماسك والجيش قوي فان الدفاع عن الحدود كان معقداً فلا بحر ولاجبال واعتقد احد رجالات المانيا المرموقين وهو (فون بابن) بان الحرب اذا قامت فسوف تؤدي الى نتائج مؤلمة لالمانيا مذكراً بانه استشف بوادر الحرب قبل وقوعها، مشيراً الى ان المانيا كانت راغبة في السلام بعكس ما اشيع عنها لاحقاً ورغم انها استعدت عسكريا باوامر صادرة من القيادة السياسية ولجأت لاجل هذا الى انجاز خطط للتنقل بالقطارات بين شرق المانيا وغربها لكيلا تقع في خطر حرب ضد عدو في الشرق واخر في الغرب، غير ان المؤرخين غير الالمان في اوربا كتبوا عما اسموه ارادة المانيا وانه لولا تلك الارادة لما وقعت الحرب لانها ومع النمسا اثارت ازمة برغبة الحرب بعد تخطيط لها، وقبلت المجازفة بالحرب، وهو عكس رأي فون بابن الالماني الذي اشار الى ما اسماه اصرار الدول الكبرى على خوض حرب ضروس، وان شعور المانيا بذلك (الاصرار) دعاها الى اتخاذ الاستعدادات العسكرية وان قيادة الاركان تابعت تطورات الموقف الدولي وجاهدت لاجل التعرف الى الاتجاهات السياسية للدول الكبرى وتأثير ذلك على حفظ السلام، رابطاً بين ضعف روسيا بعد هزيمتها امام اليابان عام 1905 وقيام بريطانيا بتقوية روسيا من خلال اتفاقها معها، وبين الخوف من بقاء المانيا قوة لوحدها مما ادى الى التحول الذي دفع باتجاه الحرب.

من جهته يشير المؤرخ البريطاني (فشر) الى اوضاع اوربا قبل الحرب وان المانيا اندفعت في تأييد النمسا ضد صربيا بدلاً من العمل على تخفيف المواقف وتهدئة الخواطر، بل ان المانيا

عمدت الى (إشهار الحرب) مع خوف الالمان من الجيوش الروسية الهائلة على حدودهم الشرقية دفعهم الى مهاجمتها فيما ارادت بريطانيا السلام وسعت اليه مشيراً الى ان بريطانيا والرأسمالية لم تسع الى الحرب غير انه يستدرك ليشير الى ان كل الدول الاوربية الاساسية كانت (تحلم) بتحقيق الاهداف عن طريق الحرب، ويسوق لذلك امثلة هامة عرضت لبعضها سابقا ومنها سعي فرنسا لاسترداد الالزاس واللورين، واطماع روسيا في المضايق التركية، ورغبة صربيا في استعادة البوسنة والهرسك، ورغبة المانيا في توسيع مستعمراتها، وعمل النمسا على اذلال صربيا.. وهكذا فانه كانت هناك (اطماع هائلة) لكن ذلك لم يكن يستدعي الحرب حسب وجهة نظر فشر مضيفاً بان الشعب البريطاني كان يفكر بصدق ان بلاده لن تنجر الى حرب عامة نتيجة خلاف في البلقان، لكن ذلك الشعب شعر بالقلق من زيادة قوة المانيا البحرية واحتمال ضرب بلجيكا مما يجعل بريطانيا في خطر شديد جداً لانها تقع مباشرة قبالة الجزيرة البريطانية وبالقرب منها، ومن هنا رغبة بريطانيا في الانضمام الى الدول المناهضة لاقوى دولة في اوربا وهي المانيا.

كانت بريطانيا دولة استعمارية بحرية قوية بما لديها من مستعمرات واساطيل، وصناعات متميزة، وسكان نشطين عددهم 45 مليون نسمة بدايات القرن العشرين وتتحكم بمصائر 400 مليون نسمة عالمياً مستفيدة من قوتها البحرية حيث لا يستطيع احد مهاجمتها مع قدرة على المواجهة الحربية وكانت متطورة دستوريا واجتماعياً ومتماسكة بشعبها الملتف حول حكومته الدستورية ولها رصيد ضخم وممتاز للثورة الصناعية والمستعمرات ومواردها الكبيرة وتعتمد قوتها الاقتصادية على حرية المبادلات وحرية المواصلات البحرية مع تفوق تجاري على غيرها.

ظلت بريطانيا محافظة على استقلالها وقوتها واستقرارها مانعة أية قوة من الوصول اليها ومهاجمتها او العمل على تهديد اقتصادها ومستعمراتها ورغبتها واضحة في الوقوف ضد أية دولة تريد الهيمنة على اوربا والتوسع لكيلا تغلق اسواق المستعمرات امام صناعاتها اذا ما سيطرت عليها دول مثل روسيا او فرنسا او المانيا، وكانت المستعمرات بالنسبة لها مصدر قوة ورخاء وفخر قومي اضافة الى حاجة بريطانيا لنقاط استناد ولاسطولها التجاري والحربي في جميع انحاء العالم، كما ان انصار التوسع نظروا الى ذلك على اساس ان بلادهم لها (رسالة) في العالم.. وهو نفس الرأي الفاسد للالمان ولكل الغربيين تقريباً ممن شعروا بالغطرسة والتعالي على الشعوب وخاصة الملونة.

لم يرَ الساسة الانكليز حاجة لتكوين جيش بري كبير لان بريطانيا جزيرة ولا يمكن الوصول اليها الا بحراً حيث تسيطر بلادهم عليه تماماً وبقوة، كما كان الرأي العام الانكليزي

كارهاً للخدمة العسكرية راضياً عن قوة بلاده البحرية التي تسيطر على البحار منذ مدة طويلة وتركت بريطانيا سياسة العزلة واتجهت نحو تحالفات مع دول كبرى ضد المانيا وخاصة فرنسا، لكنها كانت ترغب في التوسط بينها وبين المانيا قبل ان تتجه نحو التحالف مع فرنسا

كانت فرنسا دولة صناعية قوية، سكانها 40 مليون نسمة متجانسون قومياً ودينياً، وهي ذات حدود برية طبيعية محمية فيما عدا شمالها، ولها برامج استعمارية واسعة، ومستعمرات هامة، ومصالح ونفوذ في مناطق عدة داخل اوربا وخارجها.. وعملت لسنوات من اجل فك الحصار الالماني عليها وابعاد الخطر عنها والقادم دوماً من المانيا، والسعي الحثيث من اجل استعادة الالزاس واللورين اللتان كانتا عقبة كأداء امام أي تقارب الماني- فرنسي وعدم الانتقام من خلال حرب لانه سيكون عملاً طائشاً الا بعد استعداد تام وقد ادى عدم تحريرهما الى بلبلة لدى الفرنسيين.

اعتمدت فرنسا في قوتها العسكرية على التجنيد، وقوتها جيدة لكنها ليست بمستوى بريطانيا وخاصة في السلاح البحري، وتمكنت ان تفك العزلة عنها باختيار حلفاء اقويا.. وتأمين مواد اولية لصناعاتها وكان هناك تيار رأسمالي استعماري الى جانب تيار عسكري استعماري وتيار اشتراكي ضد الحرب لكن فرنسا نجحت في اقامة تحالف قوي مع روسيا وبريطانيا ومن بعدهما ايطاليا.

بالنسبة لروسيا فانها كانت بلاداً واسعة جداً، لكن موقعها ليس ستراتيجياً، سكانها 165 مليون نسمة مع تنوع قومي جعلها غير متجانسة في شعبها، نشاطها الرئيسي زراعي مع محاولات لانماء الصناعة.. ارادت التوسع في اوربا والشرق لاجل ان تصل الى المياه الدافئة لانها لا تملك جبهة بحرية هامة من حولها من بحار مغلقة او متجمدة لذلك سعت دوماً لاجل الوصول الى المضايق التركية اضافة الى نشاطها الاستعماري الواضح في اسيا الوسطى جيشها بطيء التطور بضباطه وسلاحه وتدريبه مع اسطول محدود الحركة في البحر الاسود وبحر البلطيق ولم يكن جيشها عموماً مجهزاً بصورة كافية وتسبب ذلك لاحقاً في نكبة روسيا عام 1915 كما سيمر بنا.

كانت سياسة روسيا الخارجية تعتمد على التوسع في النفوذ نحو البلقان غير انها كانت تصطدم بالتحالف النمساوي- الالماني، كما انها كانت تصطدم في الشرق بصعوبات سببها

بريطانيا في الهند ولذلك اتجهت نحو فرنسا لتخفيف الخطر عنها مع تقوية وضعها القومي بالدعوة الى الجامعة السلافية لاجل خلق عاطفة تضامن بين جميع سلافيي اوربا لعل ذلك يؤدي الى وحدتهم بقيادة روسيا لكن ذلك لم يقم حتى نشوب الحرب الاولى.

بالنسبة لايطاليا والنمسا فان الاولى يسكنها اوائل القرن العشرين 36 مليون نسمة تعاني مشاكل اجتماعية واقتصادية وتحلم بالاستعمار وهي ضعيفة من كل ناحية وضعها الجغرافي يحدد اتجاهها الخارجي حيث يحيط بها البحر المتوسط مع ملحقاته بسواحلها البالغة 8500كم مما يصعب معه حمايتها بشكل طيب لكنها في المقابل تتمتع بموانع طبيعية من الهجوم عليها من الشمال حيث جبال الالب الصعبة العبور للغاية والسهلة الدفاع عنها.

نشاطها زراعي مع صناعة متطورة تدريجياً غير ان السكان في تزايد مستمر بما لا يناسب وارداتها لذا كان الايطاليون يهاجرون خاصة الى الولايات المتحدة قبل الحرب العالمية، وكان اهتمامها الرئيسي منصب على وضعها في البحر المتوسط وقلقها المستمر من قوة الاسطول البريطاني هناك الى جانب اهتمامها باوربا الوسطى والغربية أي بالاقليات الايطالية في فرنسا والنمسا على وجه الخصوص مع الاستمرار في التوسع الاستعماري بعد احتلال ليبيا عام 1911 والصومال لكن قوتها العسكرية لم تكن بأي حال مثل قوة فرنسا او النمسا، ومع انها رسميا كانت في تحالف مع المانيا والنمسا فانها لم تجد منهما دعماً كافياً لسياستها في البحر المتوسط مما جعل ايطاليا تقترب من فرنسا مع عدم التعارض في سياستها مع بريطانيا.

اما النمسا فسكانها 51 مليون نسمة دون أي تماسك قومي بين السكان واقتصادها زراعي اكثر مما هو صناعي ولم تسلك درباً استعمارياً مع فكرة توسيع النفوذ في اوربا الشرقية في البلقان والعمل على خنق صربيا من خلال تحالفات مع عدة دول، وللنمسا جيش كبير غير متماسك معنوياً للوقوف ضد روسيا.

اخيراً فان الدولة العثمانية لم تكن بالمستوى الذي يمكن معه القول انها قادرة على مجابهة روسيا وبريطانيا التي تغيرت سياستها نحو الدولة العثمانية مثلما تغير المزاج العثماني بعد عام 1908 اثر الانقلاب المعروف حيث اتجه القادة الجدد الى المانيا وخاصة انور باشا الذي رأى ان النصر في اية حرب قادمة سيكون لالمانيا مما سيتيح تحالفا معها الى انتقام العثمانيين من اعدائهم الكبار وخاصة الروس، لكن تحالفهم مع الالمان ادى في الحقيقة الى كوارث

للعثمانيين وللعرب وغيرهم بتقسيم الدولة العثمانية واستعمار واستغلال بلاد عربية بعد احتلالها من جيوش الحلفاء حيث كانت قبل ذلك تحت السيطرة العثمانية مثل العراق وسوريا والاردن وفلسطين.

وبالرغم من تلك الاوضاع التي عرضت لها عن اوربا ودولها ومصالحهم وقوتهم وتوجهاتهم ومنافساتهم، فقد كان هناك تطور حضاري اوربي رفيع في مطلع القرن العشرين حيث كانت شعوب اوربا قد بلغت ذروة من الحضارة ورغد العيش والحرية واحترام الانسان والامل بالاتحاد الاوربي مقدمة لاتحاد العالم من اجل السلام والتقدم والرخاء رغم الخلافات القومية وغيرها، وتأسست تنظيمات دولية لاجل ذلك مثل منظمة الصحة العامة الدولية، واتحاد البريد الدولي.. واعتقد كثيرون ان الساسة تعلموا كيف يبنون انظمتهم بالحوار والتوافق لان السياسة فن اسعاد الناس ومن ذلك حماية الضعفاء في المجتمع، وازالة القوانين والامتيازات المعطاة بشكل ظالم للبعض، ودعم التعليم، وازدادت اعمار الناس بفعل التقدم الطبي والرخاء، وحصل تقدم فكري ايضا وادبي ببروز ادباء مرموقين مثل (تولستوي) في روسيا و(برناردوشو) في بريطانيا، و(نيتشه) في المانيا و(انا تول فرانس) في فرنسا.

وادت الكهرباء الى تغيير عظيم لحياة البشر اليومية في البيوت، والحقول، والمصانع، والمدارس، والبريد.. الى جانب التقدم الهائل في المواصلات من الدراجة الى السيارة والباخرة والطائرة والقطار وتطورت المكتبات بزيادة المؤلفين والقراء وتطور الطباعة.

والى جانب هذا كله فان دول اوربا شهدت ازمات حادة ودعايات قوية ضد بعضها لاجل الوقوف مع هذا الطرف او ذاك.

في 1908 ضمت النمسا كلاً من البوسنة والهرسك في اقليم البلقان مما اغضب صربيا التي ادّعت ان البوسنة تابعة لها، وبتأييد من روسيا وهكذا نشطت ضد النمسا بوسائل شتى فكان ذلك سببا للتوتر، اضافة للازمة التي حدثت بسبب مراكش عام 1904- 1905 فقد ارادت فرنسا احتلال ذلك البلد العربي المستقل وقامت بعقد اتفاقيات ومساومات مع دول اخرى للوصول الى هدفها باحتلال مراكش كما مر بنا حيث لم تعترض روسيا ولا بريطانيا او اسبانيا او ايطاليا على ذلك لان كلاً منها اخذت شيئاً بموافقة فرنسا الاستعمارية، لكن المفاجأة جاءت من المانيا حيث تخوفت من احتلال فرنسا للمغرب فتدخلت المانيا لاجل احراج فرنسا

دبلوماسياً وتحذيرها بأن المانيا قوية اكثر من حليفتي فرنسا وهما روسيا وبريطانيا، وقام امبراطور المانيا بزيارة المغرب نازلاً في ميناء طنجة عام 1905 معلناً انه سيدافع عن سيادة واستقلال المغرب فافزع ذلك الموقف اوربا ووافقت على اقتراح عقد مؤتمر دولي بشأن المغرب فكان ذلك نصراً دبلوماسياً (رخيصاً) لالمانيا لكنه لم يكن نصراً حقيقياً لها بل ادى في الحقيقة الى تقوية الوفاق الودي بين فرنسا وبريطانيا لاجل الوقوف معاً (عسكرياً) ضد المانيا اذا لزم الامر.

وازمة البلقان كانت هي الاخرى سبباً لتعكير العلاقات في اوربا وخاصة بعد ضم النمسا للبوسنة والهرسك عام 1908 في اعقاب ثورة رجال تركيا الفتاة حيث صار من المحتمل قيام نزاع مسلح بين النمسا وروسيا وتشكلت تنظيمات سرية صربية للعمل ضد النمسا ومنها جماعة اليد السوداء التي اغتال احد اعضائها ولي عهد النمسا عام 1914 عام الحرب.

وعادت ازمة المغرب ثانية عام 1911-1912 عندما وقعت احداث فيه استغلتها فرنسا فاحتلت اجزاء منه مثلما احتلت اسبانيا اجزاء اخرى فقرر الالمان التدخل وارسلوا مدمرة الى مدينة (اغادير) المغربية واحتلوها بحجة حماية المصالح الالمانية وذكر الالمان انهم لن ينسحبوا منها حتى ينسحب الفرنسيون من مدن المغرب لكن الالمان تراجعوا واعترفوا بالاحتلال الفرنسي لهذا القطر العربي مقابل (تنازل) فرنسا عن الكونغو الفرنسي لالمانيا. وبعد هذا يخرج علينا مسؤول الماني اناذاك ليقول ان بلاده قامت بـ(تهدئة الوضع) في المغرب على اساس ان الازمة كادت تؤدي الى الحرب بين دول اوربا، والحق ان المانيا بدأت فعلاً العد التنازلي لشن الحرب خاصة مع قيام حرب في البلقان عام 1912، وكان رئيس اركان الجيش الالماني الكونت (شليفن) قد دعا الى شن حرب استباقية ضد فرنسا سنة 1915 لاختبار متانة الاتفاق الودي بين فرنسا وبريطانيا ومن خلال اثارة المسألة المراكشية على اساس احترام المانيا لاستقلال ذلك البلد العربي، غير ان الاتفاق الودي زاد قوة امام المانيا واصبح جو اوربا خلال الاعوام 1904-1908 متوتراً وصارت كل دولة تعتقد خطأ ان شعبها معها وخاصة النمسا والدولة العثمانية وروسيا، وفشلت الدبلوماسية في منع نشوب الحرب مع خطأ الجميع بانها لن تطول.

وشهد البلقان حربين متتاليتين كما اشرنا مع عمل المانيا لاجل عدم اتساعها الى خارج المنطقة غير ان الحرب ادت الى جعل الجو في اوربا مشحوناً بالمتناقضات السياسية وبالتهييج

الاعلامي الدعائي وخاصة الصحف التي اخذت تثير الراي العام في كل البلدان من اجل الحرب ولم تعد نداءات السلام تعادل حركة التهييج التي اوقظها النداء الوطني في الجماهير.

ورغم كل تلك الاحداث التي سقناها فان الحرب كما يرى البعض لم تكن محتومة او ان الدول التي خاضتها كانت مصممة جداً على خوضها ضد بعضها، لكن انصار الحرب اثاروا الناس قبيل مقتل ولي عهد النمسا في سراييفو عاصمة البوسنة في حزيران 1914 والتي ادت فوراً الى نشوب الحرب، فلقد كان هناك ولع شديد وغير طبيعي لشن الحرب لدى مثيريها لاسباب منها الرغبة في الاثارة والمغامرة والاعتقاد بأن الحرب توفر فرصة للتجدد (الروحي) من خلال البعد عن الانانية الفردية اضافة الى ان الحرب تعيد للمجتمع وحدته وولادته من جديد وعلاج ناجع لانهيار الاعراف والتقاليد، وفي هذا المضمار كان الفيلسوف الالماني المعروف (هيجل) قد وصف الحرب بانها (المطهر الاعظم لاخلاق الشباب التي يفسدها السلام الطويل) اذ تظهر في الحروب الحاجة الى الشجاعة، والمروءة، والنبل، والآيثار، والكرم الى آخره، كما وصف (موسوليني) الزعيم الفاشي الايطالي، وصف الحرب بانها للرجل مثل الامومة للمرأة.

انتشت الجماهير بمشاعر الوحدة الوطنية واصبحت الامة متحدة في اتحاد مقدس، وتضامن وثيق، وانتظم الجنود في الخنادق وتوحدوا في مشاعرهم مع املهم في حياة قومية رائدة بعد الحرب.. وكان ذلك نوع من الرومانسية والصوفية على اساس ان الحرب تعني البطولة، والاخاء، والخلاص من التفاهة والطمع، والتباغض، وصولاً الى الطهر والخروج من عالم كان يحس بالارهاق، ووجدت في شعوب اوربا قبل الحرب حماسة وانضباط، ونهضة، لكن الامل الشديد بالحرب قبلها ما لبث ان انعدمت آثاره بعد نشوبها وحل محله خيبة امل مريرة تحولت الى يأس شديد خيم على كل اوربا مع خوف اشد على المستقبل.

كانت روح الحرب بين الشعوب الاوربية سائدة قبل الحرب رغم ان الشعوب فوجئت بنشوبها، واعتقد كل فريق انه يخوض حرباً عادلة، وامام التيار الجماهيري المتحمس للحرب اضطر زعماء احزاب يسارية كانوا ضد الحرب الى تغيير مواقفهم فصاروا مؤيدين لها وخاصة في المانيا بعدما جرفت رياح الحرب الساسة كما جرفت الراي العام الذي استهوته الحرب، وراح الشباب يتطوع بالآلاف في الجندية مثل سيل جارف وبينهم طلاب جامعات في بريطانيا ثم روسيا والمانيا وايطاليا دون ان يقف مفكرون ضد ذلك التيار الجارف المؤيد للحرب والذي فقد بريقه بعد شهور قليلة من نشوبها وبعد ان لمس الناس مآسيها والامها.

قبل الحرب اعتقد البعض بانها واجبة وكانها (حرب صليبية عظمى) ولكنها ليست ضد المسلمين بل ضد الاوربيين فيما بينهم للتدليل على اهميتها وقدسيتها حتى وصف بعضهم حاله في الحرب فقال (لقد كنا جميعاً ناراً ولهيباً) وارادوا منها (تذوق المتعة) لكن احدهم بعد ذلك ارسل رسالة من خندقه قال فيها (ان الحرب هي الجحيم وان المسؤولين عن اندلاعها مجرمون) وذلك هو الحكم النهائي الصائب عن الحرب التي تحول احلام المجد الى مأساة وحزن ومرارة وألم.. واصبح البؤس والرعب وانهيار الاعصاب التي مزقها ترقب الموت، والجراح المرعبة، والغازات السامة ضد الجنود هي ما يتذكره المقاتلون سواء كانوا في الخنادق او السهول او الجبال مثلما يذكرون ما حصل فيما بينهم من صداقة ورفقة الالم وترقب الخطر بل وحتى بين المتحاربين وقيام مشاعر بينهم اعمق انسانية ورحمة خاصة مع طول مدة الحرب والحقد والعبثية، وسيطرت تلك الآراء على نظرة الناس حتى ما بعد الحرب، ووصف جندي باسل وضعه في الخنادق قائلاً بأن اسبوعاً واحداً يمضيه المرء في الخندق كفيل بنزع كل صفة انسانية او رومانسية عن الحرب التي تحولت مع الوقت الى خوف وعذاب وتحولت الاهازيج والفرحة بالحرب قبلها الى صرخات وآهات واستنكار لمجازرها الرهيبة وعدم جدواها.

لقد وقف الالمان مع حكومتهم المحبذة للحرب وللعسكرية التي احبها الشباب والرجال واراد كل فرد الماني فرصة للمشاركة في القتال من اجل الوطن وتم تدريس الشباب ان الحرب دواء ناجح في تاريخ الدول وليست جريمة ضد الحضارة لذلك لم يخافوها او يمقتوها ورحبوا بها خاصة وانهم اعتقدوا بانها ستكون حاسمة وسريعة مع النصر المؤزر ضد الاعداء.

واذا كان الجميع قد وقفوا مع دولهم وحكوماتهم المشاركة في الحرب، دون معارضة، فان الاقليات القومية وجدت في الحرب فرصة للقيام بالثورات والمطالبة بالانفصال مثل الفلنديين ضد روسيا والسلافيين ضد النمسا، والعرب ضد الدولة العثمانية والايرلنديين ضد بريطانيا، والخلاصة ان الجميع كانوا مسؤولين عن نشوب الحرب الاولى التي ابدلت كل نظرة ومفهوم عنها.

عرضنا للاسباب غير المباشرة والبعيدة لنشوب الحرب الاولى ولم تكن تلك الحرب بحاجة الى نشوبها الا لسبب مباشر وقد جاء هذا من خلال (جريمة) وقعت في سراييفو عاصمة البوسنة وادت الى مقتل ولي عهد النمسا الذي ذهب الى هناك في مهمة رسمية لحضور

مناورات للجيش النمساوي عندما تصدى له طالب صربي متطرف يدعى برنسيب فقتله مع زوجته يوم 28 حزيران من عام 1914 وتعقد الموقف بعد الحادث الذي ادى الى هياج واستفضاع عاصف ضد الحادث في النمسا حيث اعتبر كثيرون ان منظمة صربية سرية قامت بالجريمة وبتشجيع من موظفي الحكومة الصربية، وقد طلبت النمسا فوراً التدخل في التحقيق الذي طلبته من صربيا وبشكل فيه إذلال للاخيرة وفقا لشروط ارسلتها فينا الى بلغراد في 23/ تموز لم يكن في امكان الاخيرة قبولها فتحركت النمسا وبتأييد من المانيا لاجل ضرب صربيا عسكرياً بعد تمهيد اعلامي صارخ وتهديد ووعيد شديدين، وتراشقت الصحف في البلدين تتهم الواحدة الاخرى بالعدوان واستعدت النمسا للهجوم ضد صربيا حيث تم قطع العلاقات النمساوية معها في 25/ تموز، وبعد ثلاثة ايام اعلنت النمسا الحرب ضد صربيا لتأديبها لانها (أمة القتلة والسفاحين) كما وصفها النمساويون فيما رأت روسيا ان من الخطر ان تبقى بلا حراك وحليفتها صربيا تُمحى من الخارطة وبتأييد للنمسا من المانيا التي ارادت هي الاخرى القصاص من صربيا بالوقوف مع النمسا حيث شدت برلين من ازرها وتم ابلاغ السفن الحربية الالمانية باحتمال نشوب الحرب، كما تم ابلاغ موسكو وباريس ولندن بان أي تدخل من جانبهم سيكون له (عواقب لا حصر لها) وعلى الاثر حصل تطور خطير جداً عندما اعلنت روسيا التعبئة الجزئية للجيش استعداداً للتقدم ضد المانيا بمعرفة فرنسا ثم التعبئة الشاملة في 30 تموز، بعدما بدأت النمسا بضرب بلغراد بالقنابل، فردت المانيا بانذار روسيا وفرنسا ثم اعلنت النفير العام في الاول من آب مثلما اعلنته فرنسا ايضا، وفي مساء ذلك اليوم 1/آب اعلنت المانيا الحرب على روسيا ثم اعلنتها في 3/آب على فرنسا، وفي 4/آب دخلت بريطانيا الحرب ضد المانيا فيما ظلت ايطاليا في البداية محايدة، وهكذا انطلقت شرارة الحرب وكانت نقطة انطلاقها جريمة (سياسية) نشأت عن حركة القوميات مع نفي الالمان اتهم ارادوا الحرب وانهم دخلوها دون اطماع اقليمية وانما للحفاظ على مركز المانيا الدفاعي ومواجهة الاخطار القادمة من روسيا.

5

الفصل الخامس

الحرب العالمية الاولى ونتائجها

(1914-1918)

في الاول من آب بدأ القتال في اوربا في حرب لم تكن عالمية اولا وكان ميزان القوى العسكرية للمتحاربين لصالح دول الوفاق (الحلفاء) اذ لديهم 230 مليون نسمة مع 196 فرقة عسكرية منها 170 فرقة في حالة استعداد، ولدول الوسط (المانيا والنمسا) 118 مليون نسمة مع 191 فرقة عسكرية منها 150 فرقة في حالة استعداد، ورغم ان للحلفاء اعداد اكبر من السكان والمقاتلين والعُدد الحربية فان الالمان كانوا متفوقين في النوعية وخاصة في المدفعية مع تفوق الحلفاء في السلاح البحري بشكل واضح، وامكانيات روسيا في مد الحلفاء بالجنود حيث كان لها في سن التجنيد اكثر من 16 مليون رجل، وبعد فترة وجيزة تم توريط دول اخرى في الحرب فقد لجأت سفينتان حربيتان المانيتان الى الموانئ التركية ثم قاما مع الاسطول التركي بضرب موانئ روسية فكان ذلك بمثابة اعلان للحرب من الدولة العثمانية ضد روسيا وحلفائها، واعلن السلطان الجهاد بامل دفع المسلمين للقتال ضد الكفار في جبهات القفقاس والبلقان والخليج العربي والشام واليمن والعراق مما ازعج الحلفاء الذين تمكنوا من كسب بعض العرب الى جانبهم ضد الدولة العثمانية.. وهنا مفارقة حقاً فان السلطان دعا المسلمين للقتال والجهاد ضد الحلفاء (الكفار) فيما وقفت الدولة العثمانية مع الالمان وهم ايضا (كفار)، ووقف العرب ضد الالمان (الكفار) وقاتلوا الى جانب الانكليز (الكفار) ايضا!! غير ان المسألة كانت شيئاً اخر وهو رغبة الدولة العثمانية في البقاء، ورغبة العرب خاصة في الاستقلال والوحدة حتى لو جاء دعمهم من بريطانيا غير المسلمة لكنها مزقت في النهاية كلاً من العرب والدولة العثمانية معاً.

كانت المسألة الاقتصادية هامة جداً للمتحاربين اذ يجب اشباع حاجات الناس الضرورية جداً، وتأمين حاجات الجيوش خاصة وان حرب سريعة لم تتحقق وكانت المانيا في حال صعب بسبب عدم تمكنها من استيراد ما تحتاجه بسبب محاصرتها من قبل الاسطول الحربي البريطاني، واشترت المانيا حاجاتها من هولندا والنرويج والسويد فيما كانت دول الحلفاء تستورد ما تحتاجه من موارد العالم كله.

بدأت الحرب في جزء من اوربا (البلقان) ثم انتشرت في اوربا ثم الى العالم بعدئذ فكانت اول حرب خاضت غمارها وفي وقت واحد اهم دول العالم، وكانت الحروب السابقة تخوض غمارها دول زراعية، فيما خاضتها في الحرب الاولى دول صناعية كانت تصنع الاسلحة لاجل

الاستمرار في القتال والنضال مع ما في الحرب من نتائج سيئة على مجمل السكان في كل بلد، واصابت جميع الدول المتحاربة تقريبا ازمات سياسية في زمن الحرب التي طالت اكثر بكثير مما خطط لها العسكريون والسياسيون معاً (مثل حرب العراق وايران) وصارت سلامة الدولة اهم من حقوق الافراد في معظم الدول المتحاربة وهي دول برلمانية حرة تحترم الحريات والمجتمع المدني.

برزت منذ البداية مشكلة تموين الجيوش بالعتاد والغذاء اضافة الى المقاتلين حيث اضطرت بريطانيا الى فرض الخدمة العسكرية ولم تكن كذلك قبل الحرب، وصارت الحرب مثل نار (تلتهم الرجال والاموال) وركزت دولها على الصناعات الحربية البرية والبحرية ثم الجوية على حساب الصناعات المدنية، والخدمات العامة، وادى ذلك بدوره الى الحاجة لمزيد من الايدي العاملة غير ان الرجال ذهبوا الى ساحات القتال ليموتوا فاستدعى هذا الاستعانة بالنساء للعمل في المصانع حتى العسكرية منها لصنع القذائف بدلاً من صنع لعب الاطفال.

عندما نشبت الحرب كانت المانيا قد استعدت لها مسبقاً بوضع خطة عسكرية محكمة من قبل رئيس الاركان (شليفن) اساسها العسكري ان روسيا لا تستطيع نقل جيوشها الكبيرة الى الميدان بسرعة، مما يجعل بامكان المانيا ان تضع اربعة اخماس جيشها امام فرنسا، والهجوم عليها بشكل مفاجئ ليتم تدمير قواتها خلال اسابيع، وفي نفس الوقت يقوم الالمان بحراسة الجبهة الشرقية بقوات قليلة قبل ان تستدير القوات الالمانية الى تلك الجبهة مع روسيا لتقضي على الجيش الروسي الكثيف العدد في اسابيع اخرى، وتنتهي الحرب بانتصار الماني سريع.

لاحظت الخطة قوة الحصون الفرنسية المرتفعة بالقرب من الحدود الالمانية مما استوجب حلاً خطيراً مفاجئاً تمثل في وجوب شن هجوم على الاراضي البلجيكية في حركة التفاف سريعة وصولاً الى الاراضي الفرنسية المنبسطة نحو باريس.. ولم يكن ذلك من قبيل التمني او الادعاء لان الجيش الالماني عام 1914 كان من حيث النظام، والتجهيزات، والتدريب، والرجال.. (أقوى اداة حربية شهدها العالم كله الى ذلك الحين) وبلغت قوته اربعة ملايين ونصف المليون مقاتل تقريبا مدربين بأعلى مستوى من التدريب، الى جانب مليون مقاتل اخر احتياط وتدعمهم مدفعية متفوقة للغاية مع تعبئة القوات وتهيئتها للجبهة بشكل رائع جداً كانه تحفة فنية بديعة، فقد نظمت الاف القطارات للسير بشكل دقيق وفقاً للمواقيت الموضوعة في الخطة لنقل الجنود الى الحدود.

لم يرد الالمان مواجهة الخط الفرنسي الحربي المنيع بالرجال والغابات والحصون والمرتفعات غير ان الفرنسيين وضعوا قواتهم في منطقة اللورين لمواجهة الالمان الذين قد يهاجمون فرنسا عبر بلجيكا.

في 1 آب اعلنت المانيا الحرب ضد روسيا، وارسلت في اليوم التالي مذكرة لحكومة بلجيكا للسماح للقوات الالمانية باختراق اراضيها فرفضت بلجيكا وطلبت المساعدة من بريطانيا القريبة جداً من بلجيكا، لكن فرنسا ورغم تحذير بريطانيا لها، اعلنت الحرب على فرنسا في 3/ اب وتدفقت القوات الالمانية الكبيرة على الارض البلجيكية في طريقها الى فرنسا، ورغم مقاومتها هناك وايقاع البلجيك خسائر جسيمة بالقوات الالمانية وصلت الى 40 الف رجل، فان الجيش الالماني الهائل احتل الجزء الاكبر من البلاد في 3 اسابيع وسقطت العاصمة بروكسل في 20/أب وقاد الالمان بجيشهم العظيم الجنرال (مولتكة) مثلما كان عمه (مولتكة الكبير) قد قاد الالمان الى النصر على فرنسا عام1870، واحتج الانكليز بشدة على عدم احترام حياد بلجيكا واتخذت ذلك مبرراً لدخول الحرب ضد المانيا، فيما يدافع احد رجالاتها عن دخول قوات المانيا الى بلجيكا واكتساحها، مشيراً الى ان المانيا (كانت ستخسر الحرب منذ اليوم الاول لو انها لم تتقدم عبر بلجيكا) فيما وجد الاوربيون ان مسؤولية الحرب على المانيا بسبب انتهاكها حياد بلجيكا.

نجحت خطة شليفن التي بدأها مولتكة رئيس الاركان الالمانية (في المراحل الاولى من الحرب) باكتساح بلجيكا، واخذت قواته الضخمة تدفع امامها الفرنسيين والانكليز والاتجاه الى شمال فرنسا لاحتلاله، وكان غنياً بالفحم الضروري للصناعة، واصبح الجيش الالماني المحارب هناك بقيادة (فون كلوك) يقترب من باريس في 2/ ايلول، لكن مقاومة البلجيكيين للالمان لعدة اسابيع عطل الالمان وافشل خطتهم الرئيسية القاضية باحتلال باريس في عدة اسابيع، ولذلك تمكن الفرنسيون ان يستعدوا لملاقاة الالمان عند ابواب باريس بعدما وصل الجيش الالماني عند نهر المارن ولم يكن قائد الجيش الفرنسي الجنرال (جوفر) قد هيأ العتاد اللازم للمواجهة واضطرت حكومته ان تنتقل من باريس الى بوردو ولكنه في نفس الوقت قام بعمل حاسم اثناء انسحابه امام الالمان الى نهر المارن، اذ قام بتقوية ميسرة جيشه للدفاع عن باريس بتسع فرق فيما قرر قائد الجيش الالماني (سحب) قوات من ميمنة جيشه لارسالها الى الجبهة مع روسيا، وهكذا صار هناك قوة في الجناح الايسر الفرنسي المواجه للجناح الايمن الالماني الضعيف

بسبب سحب اربع فرق منه بامر من قائد الجيش اعتقاداً منه ان باريس بحكم السقوط. وهكذا دار القتال لمدة خمسة ايام كاملة من 5-10 ايلول وادى الى (فصل) القوات الالمانية عن بعضها وفتحت ثغرة بطول 50كم. وتراجع الالمان الى الوراء وعرف ذلك النصر الفرنسي باسم معركة المارن (الاولى) دون ان يكون متوقعاً حتى من الفرنسيين ولكن السبب كان خطا مولتكة القائد التي افشلت خطة شليفن.

حرب الخنادق ومعارك الجبهة الشرقية

بعدما فشلت الخطة الالمانية لاحتلال باريس، بدأت حرب خنادق طويلة وهي حرب من المواقع المتقابلة محل حرب الحركة حيث كانت المانيا قد وضعت امام غريمتها فرنسا 78 فرقة عسكرية (حوالي 800 الف جندي) فيما كان للفرنسيين 71 فرقة مع 11 فرقة حليفة لهم قبل ان تقرر المانيا سحب فرق من هناك لارسالها ضد روسيا، وبدأ الجيش الالماني يستخدم المدفعية ضد المواقع الفرنسية وصار الدفاع هو القائم محل الهجوم الالماني غير انه دفاع قوي بسبب تفوق المدفعية الالمانية الكفوءة، واخذت المدفعية تهدم كل موقع بالقصف وسحقه وادى ذلك الى استهلاك مؤن كثيرة.. وامتدت سلسلة من الخنادق على الجانبين الالماني والفرنسي من الشاطئ البلجيكي الى حدود سويسرا وراح الطرفان يتقاتلان على طول خطوط الخنادق الطويلة التي تحميها الاسلاك، وكانا عاجزين عن التقدم الا في مواقع بسيطة على جوانب الجبهة الصلبة الصامدة، ورغم استخدام المدافع الرشاشة من قبل الحلفاء، فان الالمان صمدوا وهم محميون بالبحر من ناحية وبجبال الالب من ناحية ثانية اضافة الى استخدامهم موارد بلجيكا في مقاومتهم للحلفاء، واستطاعوا بقوات محدودة الدفاع في الغرب لنقل القوات ضد روسيا غير ان الالمان اخطأوا في عدم احتلال منطقة ساحل القنال الانكليزي حيث استعد القائد الانكليزي للانسحاب من هناك لاعادة تنظيمه وتجهيزه، لكن وزير الدفاع الانكليزي منع الانسحاب وتمكن الانكليز من صد الهجمات الالمانية على قواتهم في الجبهة ولم يتمكن الالمان من احتلال مدينتين هامتين عند الساحل المواجه للاراضي البريطانية مما ادى الى بقاء التعاون الحربي بين فرنسا وبريطانيا في تلك المناطق الهامة.

كانت الحرب قاسية جداً على اولئك القابعين في الخنادق والملاجئ فلم تكن المؤن تصل اليهم بسبب القصف المستمر فتحطمت اعصابهم في الخنادق حيث الاوحال المتأتية عن

الامطار، والبرد الشديد، والحشرات وحرمانهم من النوم وتعرض اهلهم للقلق عليهم والتألم لالمهم ومآسيهم والاوامر الدائمة للجنود بفتح النيران على العدو، وبين وقت واخر يخرج الجنود من الخندق لمهاجمة العدو فيسقط الالاف قتلى في سهول الفلاندرز الفرنسية فكانت خسائر فادحة للطرفين حتى ان جيش بريطانيا المحترف القديم انتهى بالموت لجنوده وحصدهم حصداً بالنار، فيما ذبلت شبيبة الالمان خريجي الجامعات خلال ذلك النضال الدموي شتاء 1914 وربيع 1915، وكان لفقدان الالمان لوفرة جنودهم اثر سلبي على قوتهم بعد ذلك التطاحن الذي وصل حد الابادة الى جانب انواع البسالة الخارقة في الاقدام والشجاعة، وفي مؤخرة الجيش في المدن والقرى كان الوضع سيئاً ايضا حيث راحت النسوة بالعمل مع الشيوخ في الريف وعملت الحكومات بنظام التقنين فصار لكل فرد 120 غرام طحين و18 غرام لحم و7 غرامات زيت مع عدم وجود مطهرات وصوابين مما ساعد على انتشار الاوبئة وزادت نسبة الوفيات مع قلة نسبة الولادات بكثرة القتلى من الرجال في المعارك.. وتم تقنيين الغاز والكهرباء وانتهى عهد الحلوى، واللحم اليومي، والقهوة لكن تجار السلاح وصانعوه استفادوا من الحرب..!! فبدأت تظهر فوارق اجتماعية اقتصادية بين اصحاب الملايين ومن لا يملكون ديناراً وادى العجز في تأمين مستلزمات الغذاء للمدنيين وتأمين السلاح للمقاتلين الى نشوب اضطرابات في اكثر من دولة مع انقباض النفوس الناجم عن المذابح الهائلة وعذابات الجنود في الخنادق.

حرب الخنادق كانت مبارزة مفجعة بين المتحاربين وكان لدى الطرف الاول الالماني عدد اكبر من الجنود مع تدريب افضل في اعدائهم وامتلاك عدد اوفر من المدافع الرشاشة ومدافع الميدان، والطائرات، والمشاعل وفي قبضتهم الاراضي الاكثر ارتفاعاً، وبدأ الانكليز حال ذلك الى تجنيد مئات الالوف من الرجال لزجهم في المعارك في غرب اوربا حتى وصل جيشهم الى ثلاثة ملايين رجل، لكن العبء الرئيسي للقتال هناك كان على الفرنسيين.

وفي الوقت الذي حافظ فيه الالمان على قوة دفاعهم في الجبهة الغربية وصمدوا سنوات هناك مع شن هجمات مختلفة، فانهم واجهوا ضغطاً شديداً في الشرق من قبل الروس مما جعل الالمان يتخوفون من ذلك فنقلوا اعداداً كبيرة من قواتهم من جبهة فرنسا الى الشرق حيث تقدمت الجيوش الروسية نحو الحدود الشرقية لالمانيا وضربت خلال ذلك حليفتها النمسا بقسوة وتقدمت نحو بروسيا الشرقية الالمانية واحتلت اجزاءاً منها في مواجهة قوات المانية قليلة نسبياً، ورغم التقدم الروسي في بداية الحرب، فان الالمان كانوا يعرفون بأن الروس ليسوا

اقوياء مثلهم بسبب فقر الجيش الروسي في العتاد الحربي والمؤن والتقدم التقني مما يؤهل الالمان لتحقيق نصر واضح على الروس اذا ما هيأوا قوات اضافية في المنطقة وقاموا بعملية فاصلة ضد الروس لم يحققوها في بلجيكا وفرنسا .. وكان للروس ايضا مشاكل نقل اذ ان خطوطهم الحديدية قليلة وبطيئة في نقل الجنود بعكس الالمان تماماً الذين استفادوا من قوة وسرعة ونظام السكك عندهم في نقل القوات الى أية جهة من الجبهة او الجبهات.

كان الالمان في بروسيا الشرقية في وضع دفاعي ولكن كان هناك ضابطان قياديان كفوءان احدهما هندنبرغ ((Hindenburg والاخر لودندورف ((Ludendorff وقاما بعد وصول الامدادات لقواتهما بهجومين عنيفين ضد الروس وبقوة لا تزيد على 153 الف جندي ومحاصرة وابادة اكثر من 200 الف جندي روسي في منطقة تاننبرغ وحررا الاجزاء التي احتلها الروس من المانيا وهاجما واحتلا اجزاءاً من روسيا نفسها، وخلال خمسة اشهر من المعارك ضد الروس فقد الجيش الروسي حوالي 900 الف قتيل وجريح ومثلهم اسرى، ولمع اسم عقيد في الجيش الالماني وهو هوفمان ((Hofman الذي ابتكر طريقة في قتال الروس غاية في الروعة والنجاح.

بعد تلك الهزائم لروسيا ظلت تحاول اعادة قوتها لعدة اشهر وكان من المشكوك فيه ان تبقى صامدة لكنها استمرت في الحرب رغم ضعفها ولم تطلب الصلح مع المانيا، ومع حالة الجمود في الحرب بعد اشهر من نشوبها، وضعف روسيا واحتمال سقوطها وهزيمتها مما يجعل القوات الالمانية تعيد جنودها الى الجبهة الغربية، فان بريطانيا القوية بحرياً ارادت دعم ومساعدة روسيا (عدوتها القديمة) لاجل ان تبقى تحارب مع الامل في تمكن الحلفاء من تحقيق أي نصر على الالمان في الجبهة الغربية حيث كانت الخطوط الالمانية هناك منيعة جداً، حتى تعذر على الحلفاء اختراقها الا بخسائر جسيمة، وهكذا رأى الانكليز ان يفتحوا (جبهة) جديدة ضد الالمان في الشرق حيث اصبحوا حلفاء للدولة العثمانية مع امل الانكليز بوقوف دول اخرى في البلقان والشرق الى جانبهم لتتساقط دول اخرى في أتون الحرب بعد ان بدأت الحرب بسبع دول هي المانيا والنمسا في جانب ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا وبلجيكا وصربيا في الجانب الاخر، قبل ان تنظم ايطاليا وبلغاريا والدولة العثمانية والولايات المتحدة الى طرفي الصراع.

في 2/آب ارتبطت الدولة العثمانية مع المانيا بمعاهدة وكان الهدف غلق المضائق التركية في البسفور والدردنيل امام الروس، وغلق قناة السويس امام الانكليز، واعلان الجهاد لجر المسلمين الى الحرب بجانب المانيا بالثورة على بريطانيا ثم العمل على احتلال القفقاس لجر روسيا الى حرب في جبهتين وأملت الدولة العثمانية في ترسيخ سلطة الخلافة، وبدا العثمانيون مناورات سياسية مع الحلفاء مع اعداد انفسهم لحرب طويلة قاسية ومتشعبة الجبهات

مع بدء الحرب لجأت بارجتان المانيتان الى المياه التركية وقالت السلطات العثمانية انها اشترت البارجتين واغلقت المضائق في 9/26 امام الجميع فيما قام قائد البارجتين بهجوم ضد الاسطول الروسي في البحر الاسود وبعض الموانئ فيه فاصبحت الدولة العثمانية مع دول الوسط باعلان الحرب ضد الحلفاء في 10/29.

وفي محاولة للتخفيف عن روسيا خططت بريطانيا لحملة هدفها فتح المضائق بالقوة لارسال المدد الى روسيا وبهدف نقل الحرب الفاصلة الى الشرق لعلها تؤدي ايضا الى تدمير النمسا وكسب حلفاء في البلقان ضد المانيا.

معركة الدردنيل

تقع المضائق التركية بين البحرين الابيض والاسود ففي الشمال قرب البحر الاسود يقع مضيق البسفور قرب العاصمة العثمانية اسطنبول ويبلغ طوله 27كم وعرضه في اضيق نقطة حوالي 650 متر وعمقه الرئيسي 70متراً فيما يقع الدردنيل في الجنوب عند البحر الابيض ويبلغ طوله 58 كليو متر وعرضه في اضيق نقطة 860 متر وعمقه حوالي 90 متراً، ويفصل بين المضيقين بحر مرمرة وطوله اكثر من 200كم.

اعتقد الانكليز ان عدداً محدوداً من قواتهم مع قوات من دول حليفة اخرى قادرة على شن حملة ضد الدردنيل تؤدي الى فتحه امام الحلفاء للوصول الى اسطنبول والبحر الاسود ولكن خطط الانكليز لم تعجب حلفائهم الفرنسيين على اساس ان الحرب الحقيقية هي في جبهة فرنسا لا في الدردنيل غير ان الانكليز صمموا على ارسال الحملة ربما بسبب الحقد الذي اصابهم لان الدولة العثمانية التي ناصرتهم دوماً قد انقلبت عليهم ووقفت ضدهم ولمساعدة روسيا التي كانت قد شعرت بنقص المعدات الميكانيكية لمواصلة حرب حديثة ضد الالمان في بولندا وبروسيا وضدهم مع حلفائهم العثمانيين في القفقاس وتسلم وزير الفاع الانكليزي طلب

مساعدة من قيصر روسيا بداية عام 1915 فكانت فكرة الحملة على الدردنيل لاجل مساعدتها وبقائها في الحرب ومنع قيام ثورة شعبية فيها كما ان الحملة تقسم الجهد التركي الحربي وقد تؤدي الى انحياز دول البلقان المسيحية ضد الترك وايضا ثورة (العرب) ضدهم لذا كانت الحملة ستراتيجية وليست مجرد معركة محدودةوهدفها تحطيم الدولة العثمانية بضربة قوية حاسمة وهو ما حصل فعلاً.

في 1915/3/18 فشل الانكليز في اقتحام المضيق للنزول في شبه جزيرة غاليبولي (٤٠٠ قلعة) وواجهت الحملة مصاعب كبيرة والتي كان يقودها الجنرال (هاملتون)، ولعل اهمها ذلك الدفاع الشجاع المستميت من قبل الاتراك والذين قاد بعضهم ضابط شاب كفوء هو مصطفى كمال الى جانب القائد الالماني ساندرس وبعد ان دامت المحاولة حوالي العام انسحب الانكليز بعد ان كلفتهم تلك الحملة مع حلفائهم الاستراليين وغيرهم ما يقرب من 120 الف قتيل وجريح وفشلت الحملة في اعطاء (اسطنبول) هدية لروسيا فيما قدم الاتراك ربع مليون شهيد منهم 20 الف ضابط من الاحتياط لكنها أدت الى اضعاف الدولة العثمانية في سوريا وفلسطين والعراق حيث كان القتال جارياً ضد بريطانيا، كما أدت الحملة الى قيام الثورة الروسية بعد عام من فشل الانكليز بتقديم الدعم لروسيا.

الجبهة الغربية في عامي 1915-1916

في مايس/ ايار 1915 دخلت ايطاليا الحرب الى جانب الحلفاء بعد ان كانت قد ظلت على الحياد بضعة اشهر وبعد ان وعدها الحلفاء بمكاسب على الارض اذا ما دخلت معهم في الحرب ضد المانيا وفقاً لمعاهدة لندن السرية عام 1915 (في نيسان) ودخلت معها الى جانب الحلفاء رومانيا واليونان، وبدخول ايطاليا فتحت جبهة جديدة ضد النمسا وحليفتها المانيا، فيما حاولت قوات الحلفاء القيام بسلسلة هجمات في الغرب ربيع عام 1915 لكنها فشلت مع فشل موقعة الدردنيل وظل الوضع على حاله رغم انضمام بلغاريا لالمانيا خريف ذلك العام وقيامها مع حليفاتها باحتلال صربيا وكان واضحاً نصر دول الوسط في الشرق حتى نهاية العام.

ومع بداية العام الثاني للحرب في 1916 بدأت المانيا تفكر في شن هجوم اخر على فرنسا لكسر تحصيناتها واختارت قلعة حصينة جداً لمهاجمتها بهدف ايقاع اكبر الخسائر بالمدافعين

عنها، فكانت قلعة فردان، وبدأ الهجوم يوم 21/ شباط واستمر حتى اخر حزيران، واستخدمت الدفعية الالمانية في اول شهرين من الهجوم اكثر من ثمانية ملايين قذيفة.. واخيراً انتهت المعركة لصالح فرنسا مع خسارتها لاكثر من ربع مليون رجل وخسر الالمان اقل من ربع مليون رجل. وكانت ملحمة بل مجزرة بمعنى الكلمة ان يُقتل ويجرح نصف مليون انسان وبعض مؤرخي اوربا اعتبروها مع معركة السوم (ملحمة من اروع الفعال البشرية الدالة على قوة الاحتمال) وهي في نفس الوقت (من افجع المآسي البشرية في التبديد والاسراف).

وجرت معركة اخرى ضخمة في (السوم) حزيران- تشرين الثاني 1916 حيث قام الحلفاء بالهجوم هذه المرة وخسر الانكليز في اول يوم من بدء المعركة يوم 24/حزيران/1906 ما يقرب من 60 الف قتيل وجريح وفي تلك المعركة عرفت الجيوش (الدبابة) لاول مرة حيث احدقت خرقاً عميقاً بالجبهة الالمانية ولم تصمد الا فرقة واحدة مع خسائر رهيبة للطرفين، وتم استخدام الدبابة في 1916/9/15 وفي تلك الاثناء اعلنت رومانيا الحرب ضد النمسا فاحتلتها الجيوش الالمانية اواخر عام 1916 فيما دخلت اليونان الحرب ضد المانيا ايضا عام 1917.

تلك المعارك زعزعت الجبهة الالمانية مع خسائر هائلة عند الطرفين في المعركتين وصلت المليون جندي وربما اكثر فقد خسر الالمان في السوم حوالي نصف مليون جندي مثل الانكليز.

في البحر سيطرت بريطانيا في بداية الحرب على البحار وفرضت حصاراً بحرياً منيعاً ضد الالمان وتعرضت جميع السفن للتفتيش حتى المحايدة منها لمنع وصول أية امدادات لالمانيا كما تم قطع اتصال المانيا بمستعمراتها فيما اخذت مختلف المواد والمؤن والمواد الخام وحتى ذخائر الحرب تصل الحلفاء من الولايات المتحدة.

قامت المانيا بزرع الالغام البحرية لحماية سفنها ونجحت القوات البحرية الالمانية خريف 1914 في الحاق اضرار كبيرة بقطع من الاسطول الانكليزي لكن هذا الاسطول انتصر على عدوه في جزر (فوكلاند) اواخر عام 1914 فيما تمكن الالمان قبل ذلك في ربيع 1916 من الانتصار على الاسطول الانكليزي في (جتلاند) والذي ضم 38 قطعة بحرية في مقابل 21 للالمان وكان للانكليز في سفنهم تلك 272 مدفع وللالمان 200 مدفع، وقد خسر الانكليز 6000 بحار والالمان 2500 بحار.. انها معركة ضخمة لم يصدق الانكليز انهم خسروها لكن الاسطول الالماني لم يخرج بعدها للبحار واخذ يستعد لاسلوب اخر من الحرب في البحار يعتمد على

حرب الغواصات الرهيب، ففي اوائل عام 1915 قررت المانيا استخدام الغواصات ضد بواخر الحلفاء فاعتبرت المياه المحيطة ببريطانيا منطقة حربية وستغرق اية سفينة هناك حتى لو كانت لدول محايدة رداً على (حرب التجويع) التي تتبعها بريطانيا ضد المانيا وشعبها. وما لبثت غواصات المانية ان اغرقت الباخرة (لوزيتانيا) حيث غرق معها 1200 شخص بينهم امريكان مما ادى فيما بعد الى نتائج خطيرة على العلاقات بين المانيا والولايات المتحدة، وتمكنت الغواصات الالمانية ان تمنع خلال عملياتها البحرية قيام الاف السفن للحلفاء من الاستمرار بنشاطها لكن حرب الغواصات فشلت في تحقيق اهدافها بل كانت السبب الاساس في دخول امريكا الحرب ضد المانيا.

دخول امريكا الحرب وخروج روسيا والتحولات السياسية

اكثر من عامين على الحرب العالمية مثلت نسبة عظيمة من الالم المعنوي والمادي والفشل. وكانت الخسائر لدى جميع الاطراف ثقيلة جداً ومؤثرة على حياة الناس العاديين اضافة الى خسائر الجنود من الشباب اليافع لكل المحاربين، خسر الفرنسيون بعد عام واحد من الحرب 600 الف قتيل من الجنود و(16) الف ضابط وخسر الانكليز في نفس الفترة 270 الف قتيل من الجنود و(16) الف ضابط، اما الالمان فخسروا 630 الف جندي و20 الف ضابط واضيف لهم 336 الف جندي في فردان وللفرنسيين 360 الف اضافة للخسائر التي ذكرناها خلال عام، وكلفت معركة السوم بريطانيا 420 الف قتيل وفرنسا 200 الف قتيل، اما خسائر روسيا في عامين فكانت حوالي اربع ملايين قتيل وجريح.. وكان المقاتلون في الخنادق هم المحاربون الصادقون والذين شعروا بالمرارة والتسليم للواقع المخيف بانهم ضحايا حرب اشعلها أُناس لا يعرفون شيئاً عن الحرب ومآسيها وبعيدون عنها.

واذا كان الجنود في الخناق يأكلون الخبز مع الخوف، وينامون على ارض موحلة وعلى صوت القصف الذي لا ينقطع، فان اهلهم في الداخل شعروا بمصاعب شديدة، فقد ارتفعت الاسعار وظلت الاجور كما هي فظهر الاستياء العام من الناس وهاج الرأي العام في كل مكان فظهرت علائم الثورة في روسيا، مع تبدلات سياسية في اعلى الهرم السياسي في فرنسا وبريطانيا والمانيا ايضا، ورغم سخط الناس وقلقهم المشروع على احبائهم المقاتلين، فان ارادة القتال لدى الجميع كانت اقوى لدى الساسة وصولاً الى النصر من وراء الاستمرار بالحرب.

في عام 1917 حدثت امور خطيرة جداً في اوربا وخارجها فقد اتفقت بريطانيا وفرنسا وروسيا على تمزيق الدولة العثمانية ومنح (اسطنبول) للروس، وتقسيم المشرق العربي بين فرنسا وبريطانيا، واعطاء فلسطين لليهود، وحاول الالمان مد يد المساعدة للاتراك في سوريا والعراق وفلسطين خوفاً من وقوعها بيد الحلفاء، لكن بغداد سقطت في اذار 1917 وسقطت القدس اخر ذلك العام، بيد الانكليز وسقطت سوريا بيد فرنسا.

وفي اذار 1917 سقطت الحكومة القيصرية الروسية ورغم هذا ظلت الحكومة الجديدة مشاركة في الحرب ضد المانيا مع نمو المعارضة اليسارية (الشيوعية) وارادت بريطانيا وفرنسا من روسيا الاستمرار بالمعارك فيما عمدت المانيا الى تهريب احد اكبر قادة الثوار (لينين) الى داخل بلاده روسيا ليشعل الثورة وينهي مشاركة روسيا بالحرب.

اما الولايات المتحدة فانها طورت مواقفها من الحرب خلال تطورات تلك الحرب، ففي بدايتها اعلن الرئيس الامريكي ان الحرب جريمة بحق الحضارة ووقفت بلاده على الحياد مع تقديم عون غير عسكري للحلفاء لانهم ديمقراطيون.

وقف الرئيس الامريكي (ويلسن) على الحياد في الحرب لانها من حروب الامبريالية الاوربية كما قال ولخوفه من حدوث انقسام في الشعب الامريكي المتكون من شعوب عالمية مع رغبته في الحفاظ على مصالح بلاده الاقتصادية وتطوير صناعاتها من خلال مد المحاربين في اوربا بالمواد الصناعية والزراعية، ولم يكن ويلسن راغباً في ان يحارب الى جانب دولة ديكتاتورية هي روسيا ضد دولة ديكتاتورية اخرى هي المانيا وان الاوفق هو الحياد والتريث والقيام بدور الوسيط في الحرب لانهائها بالابقاء على التوازن الاوربي، ورأى ان دول اوربا ستطلب منه الحكمة والانصاف وسيكون ذلك الموقف لصالح الديمقراطية، وفي بلاده نفسها كان سكان الولايات الشرقية متعاطفون مع بريطانيا وفرنسا لاسباب اقتصادية وفكرية حيث اللغة الواحدة والفكر الديمقراطي الواحد والاصل الواحد ايضا، فيما كان الوسط والغرب الامريكي غير مبال بالحرب الاوربية لكن اسباباً وجيهة نشأت عن ظروف الحرب وتطوراتها أدت الى تغيير جذري في الموقف الامريكي من الحرب في اوربا، بعد ان حاولت الجماعتان المتحاربتان التأثير في الرأي العام الامريكي الذي كان قسم منه يرى ضرورة الوقوف ضد المانيا لانها تريد مد سيطرتها ونفوذها، غير ان العامل الاقتصادي هو الاهم حيث زودت الولايات المتحدة دول اوربا من الحلفاء صادرات بلغت اقيامها عام 1916 حوالي اربعة مليارات دولار ووجدت امريكا ان

مصلحتها تقضي فوز الحلفاء لاجل استعادة مبالغ ضخمة مترتبة على دول الحلفاء دفعها، وضغطت مؤسسات مالية وتجارية على ويلسن ان يقف مع الحلفاء ومنها (مؤسسات يهودية) وارتبط ذلك بأمال اليهود ان تقف معهم بريطانيا حتى النهاية فيما يتعلق بفلسطين وان انتصارها سيكون لمصلحة اليهود، غير ان حرب الغواصات الالمانية كان العامل المباشر لدخول امريكا الحرب الى جانب دور الصحافة والمصارف والبرقية التي ارسلها وزير الماني للمكسيك بأن تقف مع المانيا مقابل اعطائها تكساس في حال فوز المانيا وقامت المخابرات البريطانية باطلاع الجانب الامريكي على تلك البرقية مما كان له اسوأ الاثر في نفوس الامريكيين وزاد ذلك من حنقهم على المانيا متزامناً ذلك مع اغراق الغواصات الالمانية للباخرتين (لوزيتانيا) و(فجلنتيا) وموت امريكيين عليهما.

في الجانب البريطاني نجد مؤرخاً يُعيد دخول امريكا الحرب الى غباء امراء البحر الالمان الذين جرّوا الامبراطور وغيره في المانيا الى انتهاج سياسة حرب الغواصات دون أي قيد فتحملوا تبعة اثارتهم عداوة الولايات المتحدة واصفاً اعمالهم البحرية بـ(القرصنة) السافرة مع اعتقادهم الخاطئ بأن الغواصات ستجعل بريطانيا تستسلم قبل ان يكون في امكان الامريكان التدخل فكان ذلك (مغامرة خطيرة القدر) لان البحرية البريطانية نجحت في تحطيم الغواصات الالمانية قبل دخول الامريكان الحرب مما جعل ويلسن بموقفه المحايد الرزين يغير موقفه تماماً، وتمشى مع عواطف شعبه ومشاعرهم القوية مع بريطانيا وفرنسا الديمقرطيتان.. وكثير من ابناء البلاد في امريكا من اصل انكليزي او فرنسي.

اما من الجانب الالماني فان الرأي مخالف لذلك اذ يذكر مسؤول الماني انذاك في مذكراته اموراً يراها صادقة وعادلة وأمينة وانه ادرك مخاطر دخول امريكا الحرب ضد المانيا وأن التقارب الامريكي مع الحلفاء (انطوى على تهديد المانيا بالهزيمة) مشيراً الى امور خطيرة قام بها عدد من انصار المانيا ضد مؤسسات امريكية مما غيرّ المزاج الامريكي واستغلته الدعاية البريطانية بذكاء شديد حتى استطاعت اقناع الرأي العام الامريكي بأن القيادة الالمانية (هيئة مجرمة وواجب الشعوب المحبة للحرية التظافر للقضاء على عدو يهدد الانسانية) وان امريكا كانت قادرة على تجهيز اعداء المانيا بكميات غير محدودة من الانتاج الحربي الهائل في مقابل اموال يستردونها بعد الحرب من الحلفاء (المنتصرين) ودون ان يكون لالمانيا مصلحة في معاداة امريكا بحرب بحرية ضد سفنها لانه سيؤدي حتماً الى دخولها الحرب بما لديها من

قدرة هائلة للمصانع الامريكية على الانتاج الواسع الى جانب نظام احتياط في التجنيد متقن جداً كما يعترف الالماني المسؤول مؤكداً ان دعاية الانكليز الناجحة في حربها النفسية قد نشرت حملة من الكراهية الشاملة ضد المانيا بين الامريكيين من خلال الصحافة لكنه يعترف بقيامه بنشاطات داخل امريكا ضدها بشتى الوسائل، مدافعاً عن إغراق احدى السفن بانها كانت تحمل اسلحة، متهماً امريكا بانها كانت تريد لها مكانة في اوربا واستغلت الحرب للوصول الى ذلك الهدف (وقد وصلت فعلاً) وكان صاحب هذه المواقف والاراء ملحقاً عسكرياً المانياً في واشنطن.

وفي اعقاب التوتر في العلاقة بين امريكا والمانيا فان الاخيرة اعتقدت ان الاولى لن تستطيع نقل جيشها بسرعة الى اوربا في حال اعلنت الحرب ضد المانيا وهو ما حدث باعلان ويلسن الحرب اوائل نيسان 1917 مما كان له ابعد الاثر على نتيجة الحرب اذ صار الحصار البحري ضد المانيا اقوى، لكن وصول القوات البرية الامريكية الى الجبهة الاوربية لم يأتِ قبل عام من اعلان ويلسن الحرب، فالجيوش لا تحشد ويتم تدريبها في ايام واستلزم شحذ الهمم للامريكيين وقتاً للالتحاق بالجيش والذهاب للقتال بحماس غير ان مجرد اعلان الحرب على المانيا اعطى الحلفاء دفعاً معنوياً هائلاً وعزز الثقة بالنفس والامل بالنصر والعمل للصمود بضعة اشهر قبل ان تأتيهم امدادات لا حدود لها من الولايات المتحدة، واهم شيء هو وصول مليون ونصف المليون مقاتل بكامل معداتهم ودون ان يكونوا مرهقين من حرب، الى ساحات القتال ضد المانيا ابتداءاً من ربيع عام 1918 غير ان ويلسن كان يريد شيئاً من دخوله الحرب وهو فرض موقفه ووجهة نظره على الحلفاء بعد انتهاء الحرب.. ولم تباشر قواته القتال الفعلي الا في آب 1918 لتنتصر بعد 100 يوم فقط.

ومع وصول القوات الامريكية الى اوربا بدأ الميزان يختل ضد المانيا وحلفائها برغم قيامها قبل ذلك بأنشطة حربية ازعجت الحلفاء وجعلتهم يدفعون ثمناً باهظاً في الرجال وخاصة اواخر عام 1917 حيث واجه الجنود القصف العنيف الى جانب شدة الامطار والاوحال مما أعاق المسعفين، وقد خسر الانكليز في احدى تلك المعارك 300 الف قتيل وجريح لاجل انقاذ الفرنسيين كما يذكر مؤرخ بريطاني، وتعرض الايطاليون لهزيمة نكراء اواخر العام اذ أُسر منهم حوالي 300 الف اسير مع 3000 مدفع غنمها اعدائهم فكانت مدعاة للخوف والفزع بسبب فقدان الروح المعنوية والضجر من استمرار القتال، لكن الالمان استمروا بالحرب رغم ذلك فقد سحب قائد الجيش الالماني اربعين فرقة من جبهة روسيا لزجها في اخر مغامرة في

الغرب لعله ينتصر وينهي الحرب قبل مشاركة الامريكان فيها ضد المانيا وهكذا هجم الالمان في اذار 1918 مستخدمين 4000 اربعة الاف مدفع ولمدة سبعة اشهر وكاد ينجح لولا ارهاق الجنود مع الخسائر الكبيرة وقلة المؤن وهبوط المعنويات والضعف الشديد الذي اصاب النمسا وبلغاريا والدولة العثمانية وزيادة ثقة الحلفاء بالنصر فهاجموا عدوهم في تموز 1918 واعلن لودندورف للامبراطور في 1918/8/8 بان ذلك اليوم هو يوم اسود لخسارة المانيا الاف القتلى واراضي كثيرة مع انحطاط المعنويات وطلب من الحكومة العمل لعقد الصلح فيما كانت 27 فرقة امريكية تستعد لدخول المعارك بدور مؤثر للدبابات وخلال 40 يوم خسر الالمان 2000 مدفع و(14) الف رشاش وأسر لهم 130 الف جندي مع اعلان ويلسن بعدم قبول انهاء الحرب الا باستسلام المانيا دون قيد او شرط وفي الشرق انهارت بلغاريا وكان من الخطر الشديد ان تندفع قوات الحلفاء نحو اسطنبول لاحتلالها مع ظهور علامات انهيار الاتراك في كل مكان فطلبت الهدنة ثم سقطت النمسا واستسلمت قبل ان تنهار المانيا وتوافق على شروط الهدنة في الساعة الحادية عشرة من يوم 1918/11/11 وتقوم الثورة فيها ويهرب الامبراطور.

وخلال الفترة العصيبة التي مرت بالمانيا بعد دخول امريكا الحرب ضدها، فان المانيا اضطرت الى ابقاء مليون جندي امام روسيا خوفا منها رغم ان الاخيرة انهت الحرب وعقدت الصلح وساهمت المانيا في مساعدة (لينين) بقيامه بثورة اكتوبر لاجل ان يُنهي (الحرب الاستعمارية القذرة) كما سماها والانسحاب منها لبناء روسيا وهكذا وقعت المعاهدة في اذار 1918 دون ان تستفيد المانيا كثيراً من ذلك خوفاً من الشيوعية.

نهاية الحرب ونتائجها

في تشرين الثاني 1918 (انتكست دولة الامبراطور الفخور) كما رأى الماني مسؤول في مذكراته لكنها خسرت وانهزمت ونشبت اضطرابات (ثورة) في طول البلاد وعرضها، وهو امر منطقي معروف في حالات كثيرة خلال التاريخ الحديث وفي اماكن عدة من عالمنا وخاصة مع الانظمة الاستبدادية، اذ تؤدي هزيمتها في الحرب الى انتعاش أمال الجماهير في تغيير انظمة دونما خوف من حكومة انهزمت في الحرب.

عصفت الاحداث بالمانيا وظهرت رايات حمراء فيها كما خاف من ذلك قادتها، وانتشرت الفوضى مع أمل عودة السلام العادل لا السلام الذي يفرضه المنتصرون كما حدث بعد الحرب مما ادى الى وضع بذرة الحرب الثانية وفقدان فرصة اقامة السلام.

انتهت الحرب بعد اربع سنوات وعدة اسابيع، واشتركت بها ثلاثون دولة مع 65 مليون جندي قتل منهم (9) ملايين جندي مع (22) مليون جريح مع خسائر للمدنيين مساوية للعسكريين، وبلغت تكاليف الحرب نحو (186 مليار دولار ومع اضافة تقديرات الخسائر في الممتلكات والانتاج وانقطاع التجارة فان الخسائر تقدر بـ(270 مليار دولار) واذا قدرنا النفوس بالمال فانها تبلغ في الخسائر (337 مليار دولار).

الدول التي خاضت الحرب هي الجانب المركزي (دول الوسط) المانيا والمجر والنمسا، وبلغاريا، والدولة العثمانية في مواجهة 32 دولة للحلفاء على رأسها بريطانيا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة.

اما الخسائر حسب الدول فان المانيا خسرت 1,826,000 قتيل او 12% من السكان فيما خسرت فرنسا 1,400,000 قتيل او 14% من السكان وخسرت بريطانيا 740,000 قتيل والنمسا 1,350,000 قتيل وروسيا 1,700,000 قتيل وكلفت الحرب فرنسا 32% من ثروتها ولالمانيا 22% و32% لبريطانيا مع انهاك وسائل النقل واجهزة المصانع بسبب استخدامها لاقصى طاقتها لسنوات واغراق الدول بالديون.

كانت الحرب الاولى التي انفجرت عام 1914، ازمة او كارثة هزت اوربا في اساساتها فكانت (حرب اهلية) اكتوت بها اوربا بلهيبها المحرق اربع سنوات وانزلت خسائر ملموسة بالنظام العام الديمقراطي الغربي وهزته هزاً حتى انه لم يعرف الاستقرار بعد ذلك، وبد وكان اوربا بدأت تنحل وخاصة مع حدوث الازمة الاقتصادية، ولاشك ان ذلك امر طبيعي لان ما من قوة على الارض الا ومصيرها الفناء مهما طال الزمن وكل شيء هالك الا وجه الله.

تذكر بعض المراجع انه كان لالمانيا عند وقف المعارك ثلاثة ملايين جندي وهذا جعل البعض من الالمان يتساءل فيما بعد عما اذا كانت جيوشهم غُلبت بقوة السلاح واستسلمت ام انها غلبت بسبب الثورة الحمراء التي قامت في المانيا خلال الفترة الاخيرة من اسابيع الحرب؟ وقد رأى بعض القوميين الالمان ان الجيش قد طُعن في الظهر مع انه لم يكن في نهاية قواه ويستطيع المقاومة، لكن الواقع لم يكن كذلك مطلقاً.

انتهت الحرب ومعها انتهت اربع امبراطوريات وهي الامبراطورية الالمانية، والنمساوية، والروسية، والعثمانية، وقد تم في الهدنة إجبار المانيا على الجلاء عن الالزاس واللورين وكل

الاراضي التي احتلها الالمان في بلجيكا وفرنسا وبولندا وغرب روسيا، وتسليم ذخائرها، وطائراتها، وقطاراتها، ومعظم اسطولها، وجميع غواصاتها ومدرعاتها.

وظهرت دول جديدة بعد الحرب.. جمهورية النمسا وجمهورية بولندا ثم جيكوسلوفاكيا ودولة تركيا التي ظلت ملكية ثم اصبحت جمهورية، ودولة يوغسلافيا وصارت النمسا بلداً صغيراً واقتصرت تركيا على الاناضول مع اسطنبول التي ظلت رغم كل المحاولات المستميتة من الروس وحلفائهم للاستيلاء عليها، ظلت مدينة اسلامية تركية، وزادت رقعة فرنسا وصربيا التي اصبحت دولة يوغسلافيا وانفصلت البلاد العربية عن تركيا وهي سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ومصر والسودان والحجاز واليمن وليبيا.. وظل بعضها تحت السيطرة الاوربية اما احتلالاً مباشراً او انتداباً.

مع انتهاء الحرب كان العالم كله في حال اضطراب وجوع وفزع وشقاء، واستمرت الخسائر بعدها في الارواح بسبب الجوع وفتك الامراض التي فتكت بشكل مريع بالارواح وخاصة الانفلونزا والكوليرا حيث قضيا على ستة ملايين نسمة في العالم وخاصة البلدان الفقيرة التي مات فيها كثيرون من قلة الاطعمة وغلائها مما زاد من فضاعة الحرب وويلاتها بعدها، ونجم عن ذلك كله شعور عام بضرورة وضع حد للشقاء الانساني باقامة عالم يسوده العدل والسلام وبناء مجتمع فاضل وجده الروس في (لينين) الشيوعي، ووجده الاوربيون الاخرون في (ويلسن) الامريكي وهكذا جاءت الدعوة الى مؤتمر السلام في باريس والذي لم تشترك اوربا والولايات المتحدة به فقط، بل اشتركت فيه أمم كثيرة بعيدة مثل الصين وامريكا اللاتينية واليابان وبعض امراء العرب ايضا.

انتهت الحرب باعلان الهدنة ولم يعقب ذلك عقد تسويات بعدها ومضى بعض الوقت قبل عقد اجتماعات مؤتمر السلام دُعي اليه لينعقد في باريس، وقد تم اختيارها مكاناً لعقد المؤتمر لانها قدمت تضحيات اكثر من غيرها مما يستوجب اكرامها وبسبب وقوعها في مكان وسط مع امكانية الحفاظ على أمن الزعماء خلال تواجدهم فيها وكان لاختيارها اذاً دلالات سياسية بدلاً من جنيف وقد بدأت الوفود بالوصول اليها مع بداية عام 1919 وضمت بعض الوفود اعداداً كبيرة من دبلوماسيين وعسكريين، واداريين، وقانونيين، واقتصاديين ورجال صناعة، ومخابرات، وممثلين عن وزراء الى جانب الصحفيين.

ومن الذين حضروا رئيس الولايات المتحدة مع 11 رئيس وزراء و12 وزير خارجية دون ان تحضر الدول المهزومة ولا روسيا، وحضر من العرب الامير فيصل بن الحسين والامير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، غير ان اقطاب المؤتمر كانوا اربعة وهم ويلسن، لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا، كليما نصو رئيس وزراء فرنسا واورلاندو رئيس وزراء ايطاليا وهم الذين كان الامل الاوربي بهم قوياً لرسم خارطة عالم آمن بعيداً عن الحروب قريباً من الحكمة والرصانة.. والى جانبهم مئات الرجال القادمين من اقطار الدنيا فيهم تتار واكراد واذريون وكوريون وفرس وعرب وارمن وطليان وصرب وغيرهم (واختلطت العمائم مع الطرابيش بالقبعات وامتزجت العباءات بالاردية الانيقة مما اضفى جواً من الخيال والاحلام) والى جانبهم رجال المال العبقرية والاعمال والمغامرات واعضاء في جمعيات مختلفة، وممثلوا شركات النفط ومناجم الفحم، كما جاء المتعصبون والمبشرون الى جانب الامراء والساسة والجنرالات والفوضويون.. جاؤوا كلهم للمشاركة ومشاهدة العالم الذي سيصوغه قادة المؤتمر والعالم، لكن الشخصية الاساسية (ويلسن) الذي دعا في فترة من فترات الحرب الى عقد صلح بلا نصر بين المتحاربين قبل ان يدعو الى تسليم المانيا دون قيد او شرط وحدد الهدف من الحرب بجعل العالم آمنا لقيام الديمقراطية والتعاون الدولي بعد نزع الروح العسكرية الالمانية محدداً ما يريده من خلال نقاط اربعة عشر، وتسوية المنازعات سلمياً دون ان يطلب ارضاً او غرامة من الخاسرين في الحرب.. كان سياسياً مثالياً لكنه لم يكن مقبولاً من كل الامريكيين اذ كان للحزب الجمهوري اغلبية معارضة له، وكان راغباً في اقرار حق تقرير المصير للشعوب وأمل في تحقيق كل اهدافه من خلال منظمة سلام عالمية هي عصبة الامم.

الى جانبه كان كليما نصو ولويد جورج اللذان مع وفودها وجدا نفسيهما في خلاف مع ويلسن في الرأي حول ما اذا سيكون ميثاق عصبة الامم جزءاً من معاهدة السلام مع المانيا او سيكون بشكل وثيقة مستقلة؟ وقد ارادها ويلسن جزءاً من معاهدة السلام وان تأسيسها سيعود بالفائد على جميع الشعوب.

كان المؤتمر بقيادة الخمسة الكبار وهي التي حددت اهدافه وقراراته ولكن الذين وقعوا معاهدات الصلح كانوا رؤساء امريكا وبريطانيا وفرنسا.

معاهدات الصلح في مؤتمر السلام

في 12 كانون الثاني 1919 عقدت وفود الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وايطاليا اجتماعاً رسمياً وقررت اقتصار التمثيل في المؤتمر على الدول التي حاربت المانيا او قطعت العلاقات معها، ومع بدء اعماله ظهر جلياً ان الدول الخمس الكبرى هي من سيقرر كل شيء بعد التوفيق فيما بينها بشأن النصوص التي توفق بين وجهات النظر المتعارضة للدول المتحالفة مع وجود ازمة حقيقية كانت تحدث قبل التوصل الى تسوية لها لتظهر اخرى وهكذا حتى ان ويلسن امر مرة باحضار باخرته للعودة الى بلاده كما فعل رئيس وزراء ايطاليا ايضا بعودته الى بلاده فعلاً.

اولى ويلسن اهمية بالغة لمبادئه المعروفة بالنقاط الاربعة عشر مع اصرار على اقامة عصبة أمم وان يكون ميثاقها مع معاهدة السلام مع المانيا لكيلا يكون السلام معها (مؤقتاً) وقد تضمنت النقاط مبادئ عامة مثل تخفيض التسلح ومنع الدبلوماسية السرية والحواجز الاقتصادية وضمان الامن وحرية الملاحة في البحار وحق تقرير المصير للشعوب واحترام القوميات واعادة ما غيرّته المانيا بالحروب.

اختلفت مصالح الدول المشاركة في المؤتمر وتعددت وتشعبت المواضيع المطروحة اذ كانت فرنسا مهتمة قبل كل شيء بأمنها باتخاذ احتياطات فعالة ضد المانيا وضمانات دقيقة لمنعها من محاربة وغزو فرنسا مرة اخرى، والابقاء على (رسالة فرنسا الحضارية في العالم)..!!

اما بريطانيا فارادت الابقاء على مستعمراتها واعادة اوربا الى الاستقرار من اجل حياة اقتصادية نشطة فيها الى جانب عدم اتخاذ قرارات قاسية جداً بحق المانيا خوفاً من ان يؤدي ذلك الى دفعها نحو السوفيت الشيوعيين.

ويلسن اراد ضمان السلام ولكن ليس بتسوية دبلوماسية سهلة او حل وسط ضعيف لا يدوم وانما سلام قادر على تنظيم العلاقات الدولية على اساس جديد هو عصبة الامم مع احترام الحريات الفردية ونجاح الانظمة الديمقراطية دائماً، وقد شعر بانه متفوق معنوياً على رفاقه الكبار في المؤتمر وكونه استاذ في العلوم السياسية فانه اولى اهمية كبيرة (للمبادئ) والتي احدثت دوياً عظيماً في الرأي العام العالمي لكنها جاءت بعيداً عن واقع اوربا قبل وبعد الحرب فاعتبرتها دساتير مبهمة ولذا فان رئيس وزراء فرنسا (كليما نصو) الواقعي جداً انزعج

من ويلسن واعتقد ان امريكا وبريطانيا تشكلان خطراً على فرنسا مستقبلا. وكان همه تدمير المانيا تماماً وارغامها على دفع تعويضات لفرنسا مع اراض تؤخذ من المانيا. فيما كان رئيس وزراء بريطانيا (لويد جورج) سياسياً عملياً بارعاً ومحامياً موهوباً ذو قدرة عالية على الجدل في المناقشات السياسية، وقد راقب تغير الرأي العام في بلاده حتى لا يختلف معه. وكان مستنداً الى قوة وتشجيع ملك انكلترا، وفي موقفه من المانيا كان اذكى من ويلسن ومن كليما نصو فاراد تخفيض قوة المانيا الحربية واعدام قيصرها وليم الثاني الذي فر الى هولندا. لكن التخفيض بشرط الا يؤدي الى تفوق فرنسا في اوربا مع عدم الانتقام من المانيا بارغامها على دفع تعويضات كبيرة لما في ذلك من مخاطر اذ ستجعل فرنسا متفوقة فاراد ردعها وان رسم معها خريطة العالم.

في 28/حزيران/1919 (وبعد خمس سنوات من بدء الازمة في اوربا بمقتل ولي عهد النمسا في سراييفو) توصل المؤتمرون الى اقرار بنود اتفاقية او معاهدة (فرساي) مع المانيا حيث وقعها مندوبون عنها مُرغمين وترتب عليها اثار خطيرة ليس على المانيا ومستقبلها فقط بل على اوربا والعالم عندما عمل الالمان بكل وسيلة لتمزيق المعاهدة عملياً لانها لم تكن موضع مفاوضات بل فرضت فرضاً وقد كتب الحلفاء بنودها وسلموها باعتبارها (وثيقة) واجبة التنفيذ من قبل المانيا ومنح مندوبوها 14 يوما لدراسة شروطها حيث لم يرضَ الالمان عنها واعتبروها املاءاً عليهم ولم تؤخذ ملاحظاتهم بأي شكل وخاصة من قبل فرنسا ومندوبها في المؤتمر الكاره الشديد للالمان الذين اعلن ساستها فيما بعد ان التوقيع عليها جاء تحت تاثير الوعيد والتهديد والحصار المفروض على المانيا حتى توقع الوثيقة.

في اهم نقطة في المعاهدة اعتراف المانيا بمسؤوليتها عن نشوب الحرب وفقاً للمادة 231 من المعاهدة، وقد ازعج ذلك الالمان اشد الازعاج واعتبروها عاراً عليهم لان وضع المسؤولية عليهم قد ترتب عليه شروط مختلفة اهمها فرض تعويضات عليهم كانت كبيرة وقاسية اذ ان عليها ان تدفع تعويضا عن (كل الخسائر) والاضرار التي سببتها الحرب للاخرين بما في ذلك تعويض اهالي الجنود الذين قتلوا في المعارك.

ايضا قررت المعاهدة منع المانيا من تسليح مناطق عند الحدود مع فرنسا مع سحق العسكرية الالمانية بشروط ومن ذلك احتلال غرب نهر الراين داخل الاراضي الالمانية وابقاء شرق الراين ولمسافة 50 كيلو متر مجردة من السلاح دائماً والغاء التجنيد الالزامي والا يزيد

عدد جنودها على 100 مائة الف جندي وان تسلم اسطولها للحلفاء وتحريم صناعة الغواصات او اقامة سلاح جوي مع تسليم الطائرات الالمانية للحلفاء.. واقتنع الالمان بذلك لضعفهم اولاً وبسبب وعد كاذب اعطاه لهم الحلفاء بأن نزع السلاح سيشمل الجميع لكنه شمل المانيا فقط

الى جانب ذلك وضعت شروط اخرى تتعلق بالاراضي لكن المهم هو انتزاع الالزاس واللورين من المانيا لاعطائها الى فرنسا ثم وضع ميناء الماني على ساحل بحر البلطيق وهو ميناء (دانزيغ) تحت وصاية دولية او صار مدينة حرة باشراف عصبة الامم تستفيد منه بولندا وصار ذلك سبباً اساسياً في نشوب الحرب العالمية الثانية، وقد سلمت المانيا كل مستعمراتها لاعدائها تقاسموها فيما بينهم كأنها (غنائم حرب) فاستبدلت شعوب كثيرة سيداً ابيض بآخر ابيض.

كانت المانيا تمتلك اعظم جيش في العالم قبل الحرب فصارت بعدها لا تمتلك الا 1/ 8 ذلك الجيش وكذلك في السلاح البحري واصبح لزاماً عليها عدم صنع غواصات او مدمرات وتم خداعها من قبل الحلفاء بانهم لن يفرضوا عليها غرامات لكنهم فرضوها وكانت غرامات باهضة وغير محدودة.

كانت معاهدة فرساي اهم واخطر المعاهدات التي فرضها المنتصرون في الحرب الاولى على اعدائهم، وشكلت مصالح الدول الكبرى، ومبادئ ويلسن، والاتفاقيات والوعود الصادرة خلال الحرب.. الاسس التي قامت عليها المقررات التي اعلنها الحلفاء والتي كانت بمثابة تسوية توفيقية بين مبادئ ويلسن المثالية وواقعية كليمانصو ولويد جورج اللذان ارادا بقاء المغلوبين في الحرب في عجز تام وبشروط قاسية عسكرية، وجغرافية، واقتصادية كما جاء في معاهدة فرساي التي جعلت الالمان يعملون للاخذ بثأرهم دون ان تنزع المعاهدة عنهم وسائل الاخذ بالثأر بعد وقت ليس بالطويل، ومن ذلك اقامة دول (ضعيفة) جنوب المانيا، وجعل الجيش محدوداً فكان ان اصبح (محترفاً الى ابعد الحدود) رغم عدده القليل حيث اصبح هؤلاء جميعا من الضباط وليسوا جنوداً عاديين.

وكانت هناك معاهدات اخرى على نفس النمط مع الدول الاخرى المتحالفة مع المانيا خلال الحرب غير ان المؤتمر طال لعام كامل حتى كانون الثاني 1920 بسبب الحاجة الى مشاورات طويلة بشأن المعروض عليه من مطالب وازمات، ووجود عدد كبير جداً من المندوبين وتطلب وقتاً

ليتحدثوا اذ كان مع ويلسن (200) فرد اعضاء معه، لعل من المهم ذكر التطورات في المؤتمر بشأن مستقبل الدولة العثمانية، وكانت بلدان عربية عدة جزءاً منها، فمع انتهاء الحرب وتوقيعها اتفاقية الهدنة في 31/تشرين الاول/1918 قبلت الامبراطورية العثمانية تسريح جيشها والسماح بمراقبتها حتى اضحت تحت رحمة الحلفاء تنتظر تقرير مصيرها ومن معها في مؤتمر الصلح والذي ميز بين اراضٍ يسكنها اتراك واخرى يسكنها من غير الاتراك وخاصة العرب الذين يهمنا امرهم حيث جرت على ارض بعضهم معارك شرسة بين الحلفاء والاتراك وسط اتفاقيات (سرية) عقدها الحلفاء بشأن مصير بلدان عربية عدة ثم تناقض تلك الاتفاقيات السرية مع التعهدات الانكليزية لقادة العرب، وتناقض ذلك كله مع مبادئ ويلسن المشهورة مما اوجد وضعاً معقداً.

الحلفاء كانوا قد خططوا لتمزيق الدولة العثمانية باعطاء اسطنبول لروسيا مع جزء من (كردستان)، واعطاء الانكليز جنوب العراق وحتى بغداد مع اجزاء من فلسطين وتنال فرنسا سوريا وولاية تركية فيما تأخذ ايطاليا اراضي في تركيا قريبا من بحر ايجة.. وسارع الحلفاء الى احتلال اجزاء عدة حتى قبل انتهاءالحرب وبدء مؤتمر باريس ودراسة الوضع التركي وعقباته امام الحلفاء وخاصة مصير البسفور والدردنيل فكانت اتفاقية سيفر في 1920 والتي جاءت مجحفة بحق الاتراك نتيجة كثرة الاطماع الاوربية في الدولة العثمانية التي ضعفت جداً بسبب اربع سنوات من القتال بل اربع قرون من النضال ضد الاوربيين الحاقدين عليها، ومن المناسب ان نذكر هنا ان الحلفاء كانوا وخاصة روسيا يجهدون انفسهم ويخططون بكل قوتهم لانتزاع (اسطنبول) من العثمانيين لكن محاولاتهم كلها فشلت في انتزاع مدينة الاسلام لكي يعيدوا اسمها القديم وهو القسطنطينية، ومن العجيب ان الحلفاء اتفقوا تماماً خلال الحرب على اعطاء روسيا (درة البسفور) اسطنبول بعد انتهاء الحرب رغماً عن انف العثمانيين والمسلمين معهم ايضا لكن الثورة قامت في روسيا فانشغلت بحربها الداخلية الاهلية وبأطماع الشيوعية في السيطرة على كل العالم..!! وبقيت اسطنبول مدينة اسلامية في اوربا وقدم الاتراك للدفاع عنها ربع مليون جندي قتلوا خلال وبعد الحرب العالمية.

معاهدة سيفر لعام 1920اعطت اليونانيين مناطق عثمانية تركية ومنها مدينة (ازمير) والهدف تقوية اليونان امام تركيا لاحقاً كما تضمنت المعاهدة تنازل تركيا عن كل الاراضي التي كانت تحت سيطرتها باستثناء الاناضول ومنح الحكم الذاتي للاكراد وجعل المضائق مفتوحة لكل

دول العالم للملاحة فيها بعد ان كان لهما لعب دوراً هاماً في السياسة الاوربية قبل الحرب وبعدها، وجعلهما منطقتان منزوعتا السلاح ثم صارتا تحت سيطرة تركيا الكاملة بعدئذ.

وقف الاتراك بقوة ضد معاهدة سيفر وقادهم مصطفى كمال الى النصر على اليونانيين وابعاد الفرنسيين والانكليز مع تأييد شعبي عارم لاجراءاته ضد هؤلاء حتى اضطروا الى عقد معاهدة جديدة مع العثمانيين هي معاهدة (لوزان) سنة 1923 والتي انهت الحرب مع تركيا وحددت الحدود مع بلغاريا واليونان وتنازلت تركيا عن البلدان العربية مع بقاء مشكلة (الموصل) في شمال العراق معلقة حتى عام 1926 عندما تم الحاقها بالعراق.

وبانتهاء مؤتمر باريس كانت خارطة اوربا السياسية والجغرافية قد تغيرت جداً بل ان العالم في معظمه شهد تطورات خطيرة، فقامت جمهوريات جديدة في اوربا بلغ عددها (17) جمهورية واتضحت الحكومات البرلمانية الديمقراطية مثلما ظهرت بعد الحرب انظمة لم تكن الا ديكتاتورية للحزب الواحد يتسلط عليه زعيم واحد، كما أدت الحرب الى انتشار الروح القومية ممادى الى بذر بذور الشك والخوف بين الحكومات بل حتى بين الشعوب وأدت الى حدوث اضطرابات وقيام تحالفات جديدة، كما قلبت الحرب التوازنات الدولية في العالم فلم تعد الدول الاوربية وحدها (اقوى دول العالم) بعدما برزت الولايات المتحدة دولة قوية وغنية مثلما ظهرت اليابان التي اخذت تتحدى الغرب في اقصى الشرق وتنافسه استعمارياً.

6

الفصل السادس

اوروبا بين الحربين العالميتين

ظلت اوربا مؤثرة عالمياً رغم انها لم تعد اقوى دول العالم بعد ان اصابتها كارثة الحرب باضرار فادحة جداً افقدتها توازنها دون ان تستطيع استعادة ذلك التوازن الا بعد عدة عقود وكما اشرنا فقد واجهت مجازر رهيبة انتهت بانتصار الشيوعية في روسيا، والفاشية في ايطاليا، والنازية في المانيا.. وكان ذلك مؤشراً على انتصار الديكتاتوريات، وانتهت الحرب بجعل الدول الاوربية مفلسة الى جانب فوضى سياسية واجتماعية انتشرت بينها، ونشأ بين الناس عن الحرب نوع جديد من الفلسفة كفرت بالانسان وبالقيم بشكل خطير بعد ان حل الخراب الشامل بلدان اوربا وهي تشهد قتال الملايين فيما بينهم لاول مرة في تاريخ البشرية وتعبئة كافة طاقات وموارد الدول المتحاربة، وقد اعتقد الناس في اوربا ان انتهاء الحرب سيؤدي الى رخاء اقتصادي، غير ان الاضرار كانت كبيرة للغاية والمتاعب مثلها وخاصة فقدان الشباب العامل في الحرب وخاصة بفرنسا، وتعقدت عملية نقل المواد الغذائية للشعوب بحراً الى البلدان مع تقليل كمية المواد المستوردة بسبب سياسة الاكتفاء الذاتي مما زاد في عمق المشاكل الاقتصادية بعد الحرب فارتفعت اسعارالمواد كافة دون قدرة الحكومات على رفع الاجور الا بعد اعادة البناء، وكان الموظفون خاصة اكثر المتضررين فهم اصحاب دخل ثابت لكن الفلاحين لم يتضرروا ولم تتضرر المانيا في مجال الزراعة خاصة لان ارضها لم تتعرض لاذى كبير بسبب الحرب التي لم تجر عليها ولم يطأها محتل.

اجتماعياً فان الازمة كانت كبيرة لان الشعوب فقدت ارواحاً كثيرة بالملايين في جميع اوربا، ورغم ان الانسان قيمة كبرى بغض النظر عن عمله او جنسه او دولته لانه مكرم من الله تعالى، فان القتيل الفرنسي او الانكليزي او الالماني في الحرب كان يختلف عن مثله في روسيا من حيث (النوعية) فالروسي فلاح بسيط أمي فيما الفرنسي جامعي تقني وهكذا، وخسرت فرنسا خلال الحرب رجلاً في كل (دقيقة) من شهر شباط 1917 مما ادى الى ارتباك في نسبة الذكور والاناث لان القتلى كانوا رجالاً شباباً في سن الخصوبة، وكثرت اعداد النساء وهبطت اعداد المواليد خلال الحرب ثم زادت بعدها مما ادى الى حاجة ماسة للخدمات تقدم للمواليد الجدد في ظروف صعبة مرت بها الحكومة، وعندما اصبح المواليد الجدد شباباً جاءت الحرب الثانية لتحصدهم حصداً، وبعد الحرب وجد الاوربيون ان من الانسب حماية السلام، وبناء دولهم سياسياً واقتصادياً وعلميا مما سنتناوله عن تطورات الدول الاوربية الاساسية.

بريطانيا العظمى 1919-1939

كان دور بريطانيا في الحرب العالمية الاولى متميزاً لكنها فقدت 10% من رجالها العاملين غير انها لم تتهدم اذ لم تصل الحرب الى اراضيها وظلت الاتها سليمة بحيث تمكنت من اعادة العمل بسرعة، غير ان المشكلة كانت في اعادة اسواقها التي فقدتها خلال الحرب اضافة الى الدين الكبير عليها الواجب دفعه للولايات المتحدة وكان يقرب من (6) ستة مليارات دولار.

من جانب اخر فان كثيراً من البريطانيين كانت لهم امال سياسية بان يكون لهم دور في النظام السياسي، ولم يعد سهلاً اهمالهم بعد الحرب وبالنسبة للتغيرات بعد الحرب فان حكومة لويد جورج ارادت ان تعرف موقف الرأي العام منها لكي تستطيع تنفيذ برنامج ما بعد الحرب والعلاقة مع المانيا حيث كانت هناك مطالب شعبية بان تؤخذ منها تعويضات عن الحرب وما سببته من خسائر لبريطانيا ثم ظهر رأي وجد ان الاوفق تقوية اقتصاد المانيا لا تدميره لان انعاش الاقتصاد البريطاني مرتبط بتنشيط الاقتصاد الالماني.

تم الاعلان عن حل البرلمان في تشرين ثاني 1918 واجراء انتخابات بعد شهر من ذلك وكانت الاحزاب تقدم برامجها السياسية واكثرها حول المسألة الالمانية والمشاكل الاقتصادية والتغييرات المطلوبة في النظام البرلماني، وقد تم فعلاً اصدار قانون اقر التصويت العام بما في ذلك تصويت المرأة واجراء الانتخاب مرة واحدة دون أية إعادة وامكانية حصول المرشح على مقعد بالبرلمان حتى لو لم يحصل على الاغلبية من الناخبين مما يؤدي الى حصول أي حزب على اغلبية المقاعد مع انه لم يُنتخب بشكل مطلق، اعطى القانون حق الانتخاب لمن بلغ سن (21) سنة للذكور و(31) سنة للاناث وفاز بالانتخابات لويد جورج في ائتلاف مع حزب المحافظين وكانت المشكلة الاساسية هي الاقتصاد البريطاني الراكد مما ادى الى اضرابات كبيرة ومشاكل مالية دفعت الخبراء الى الدعوة نحو العودة الى (الحرية الاقتصادية) واعادة قيمة العملة الانكليزية لاهمية ذلك لقوة بريطانيا، اذ كانت لندن قبل الحرب اكبر مركز مالي في العالم وكان الجنيه الانكليزي (الباون الاسترليني) يعادل قبل الحرب حوالي (5) دولارات فصار بعد الحرب لا يعادل الا اكثر قليلاً من (3) دولارات مما اقلق الاوساط المالية البريطانية لان نيويورك اصبحت المركز المالي العالمي بعد الحرب، وهبطت الصادرات البريطانية كثيرا فنشأ عن ذلك بطالة مزعجة للحكومة وصل حجمها الى حوالي 1,500,000 مليون عاطل عام 1922، وحاولت الحكومة تشجيع المصانع على تخفيض اسعار منتجاتها لتبيعها في الاسواق

الخارجية لكن المشترين كانوا يمرون ايضا بتحولات وحالة فقر بسبب الحرب، وعملت بريطانيا على انتهاج سياسة اقتصادية خاصة مع دول الدومنيون (وهي التي كانت تحت الاحتلال البريطاني او لها علاقة متميزة مع بريطانيا) وتقضي تلك السياسة بان يكون هناك (تفضيل امبراطوري) بين اقسام الامبراطورية كافة، كما ان اجراءات اخرى اتخذتها لندن لتقليل حجم الازمة بعد سنة 1922.

استمرت التغييرات في الحكومات البريطانية بعد الحرب دون ان يستطيع حزب واحد ان يبقى طويلاً في الحكم وانتقلت السلطة مرة لحزب المحافظين ومرة للاحرار ثم وصل حزب العمال للسلطة لاول مرة سنة 1923 وحاول القيام باصلاحات اجتماعية لكنه فشل وعادت الاضرابات من جديد وخاصة في الاسطول (اخطر واهم مؤسسة في البلاد) في ظل عدم الاستقرار السياسي وعدم الاستمرار لاية حكومة.

في المجال الدولي فان بريطانيا نشطت خلال مؤتمر باريس لكسب اكبر حصة من (غنائم الحرب) على حساب عدوتها المانيا بل على حساب الدولة العثمانية وبلادنا العربية حيث اصبح العراق والخليج وفلسطين والاردن ومصر تحت الهيمنة البريطانية، وكادت الحرب تنشب مع تركيا لولا ان ساسة بريطانيا شعروا انهم وحدهم في المواجهة ضد (المسلمين) في تركيا فكانت المفاوضات ومعاهدة لوزان. وارادت بريطانيا تضييق رقعة التزاماتها تجاه فرنسا خاصة وادت تلك المشاكل الخارجية الى استقالة لويد جورج.

وبالعودة الى الامور الداخلية فان الحكومات البريطانية ورغم عدم استقرارها، واهتمامها بالشؤون الدولية؛ رعت التعليم خاصة فزادت الاعتمادات له كما اهتمت بالمسنين الى جانب تحسين الكهرباء والاعلام بجعل اذاعة لندن رسمية حيث اضافت لها قسم خاص بالعربية منذ عام 1937.

ورغم الاهتمام بالداخل فان التطورات خارج بريطانيا قد اعادها الى الاهتمام بما يجري في المانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي وصار تركيزها اكبر منذ وصول هتلر الى السلطة في المانيا عام 1933 اضافة الى محاولتها اقامة منظمة رابطة الشعوب البريطانية بأمل تقوية بريطانيا في مواجهة ازماتها لكن المشاكل والازمات الخارجية كانت قوية جداً دون ان تتحمل الحكومات البريطانية مسؤولياتها لمواجهة المشاكل الدولية الناجمة عن عدوان ايطاليا مثلاً باحتلالها

الحبشة (اثيوبيا)، وعدم اهتمامها بما يكفي للتصدي ومواجهة التحدي الالماني منذ عام 1938 وحتى نشوب الحرب العالمية الثانية، اضافة الى عدم حماسها في اقامة علاقة طبيعية مع النظام السوفيتي، الى جانب عملها لحل مشكلة ايرلندا.

فرنسا 1919-1939

أهدر الفرنسيون دمائهم بغزارة خلال الحرب مع المانيا معتقدين انهم حصلوا على الأمان نتيجة ذلك بدلاً من الخوف الدائم القادم اليهم من المانيا حيث الحقت بهم من خلال الحرب تلفاً كبيراً في الاقتصاد اثر بشكل بارز على اقتصادها الذي كان قبل الحرب مزدهراً وبلا صعوبات مالية رغم زيادة النفقات، غير ان الوضع تبدل بعد الحرب وصارت الحاجة ماسة للاموال لاعادة التعمير دون ان تحدث ازمة مالية مع الاعتقاد لدى مسؤولين فرنسيين بان المانيا ستدفع ما قررته عليها معاهدة فرساي من تعويضات وغرامات لفرنسا.

انفقت فرنسا (80) مليون فرنك لاعادة بناء اقتصادها وهي خسرت رجلاً من كل عشرة رجال في الحرب فكان لذلك تاثير سلبي في كل المجالات اذ أدت مثلاً الى نقص الايدي العاملة لاعادة البناء، واضطرت فرنسا الى الاعتماد على ايدي عاملة اجنبية، واقترضت الحكومة اموالاً كثيرة لفترة قصيرة وما لبثت ان واجهت ازمة مالية امتدت لاكثر من عامين من منتصف عام 1926 واختلف الفرنسيون بمختلف احزابهم وتعددها، في اسلوب معالجة الازمة، فالمعتدلون ارادوا فرض ضرائب غير مباشرة اما الاشتراكيون (اليساريون) فارادوا ضرائب مباشرة لكن الازمة خفت وعادت الامور الى وضع جيد بعد انتهاء عملية اعادة البناء خلال (8) سنوات، غير ان الازمة وهبوط قيمة الفرنك (العملة الفرنسية) كانت لهما آثار اجتماعية سيئة اذ ادى الى ارتفاع الاسعار وبالتالي مطالبة العمال بزيادة الاجور واللجوء الى الاضراب مما جعل الوضع السياسي غيرمستقر اسهم في تبدل الحكومات بشكل واضح، ففي 1919 جرت انتخابات في جو من عدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي والنفسي وظروف الحرب وما بعدها من عودة الجنود مطالبين بان يكون لهم مكانة ومعيشة جيدة يستحقونها، لكن التدمير كان هائلاً في المصانع وغيرها فظلوا عاطلين عن العمل مع مشاكل ذلك مما دفع الناخبين الى اختيار حكومة يسارية عام 1924 لكنها واجهت مضايقات مالية من المصارف التي لم تعد تمنح المصرف المركزي قروضاً للضغط على الحكومة فسقطت امام قوة المعتدلين الذين يدعونهم بـ(اليمينيين)

من انصار الكنيسة والقومية والاغنياء، وانصار الملكية، وتوالت على الحكم وخلال سنة واحدة (6) ست حكومات احداها ظلت يوماً واحداً. فكأن فرنسا كانت تشكو ازمة حكم لا ازمة مالية او اجتماعية. وفيما بين 1926-1929 شعر الفرنسيون بالهدوء، بعد ان تحسن الاقتصاد وتحسنت العلاقة بين المصارف والصناعات الحكومية حيث ارتفعت الصادرات ونشطت السياحة وارتفعت معدلات انتاج الحديد والصلب والسيارات وحدث انتعاش اقتصادي بعد سنوات من الانكماش.

في نهاية 1929 عاد القوميون ليتخذوا موقفاً صلبا من اليساريين الذين تمكنوا رغم ذلك من الفوز عام 1932 لكن الازمة الاقتصادية العالمية اربكت سياستهم وعادت فرنسا الى حالة عدم الاستقرار السياسي خاصة وان فيها احزاب كثيرة جداً ليست على وفاق فيما بينها بأي شكل. واصبح الانقسام تاماً في 1934 بين اليمين واليسار في فرنسا او بين الملكيين والجمهوريين الذين ظلوا في السلطة باحزابهم ايضا حتى عام 1939 عندما واجهوا مخاطر المانيا الجديدة على بلادهم فرنسا.

واذا كانت السياسة الداخلية الفرنسية قد اخذت قسطاً هاماً من نشاط الحكومات الفرنسية، فان الاهتمام بالتطورات الخارجية كان لها مكانة ايضا في السياسة الفرنسية تبعاً لمكانة فرنسا، ففي اعقاب الحرب الاولى مباشرة اصبح واضحا دور فرنسا بعد الذي قدمته من تضحيات جسيمة في الحرب فتم اختيار عاصمتها باريس لعقد مؤتمر السلام، وحاول رئيس وزراء فرنسا فيه اعطاء بلاده ضمانات لأمنها لانها كانت تخشى من انتقام المانيا حتى بعد اندحارها فكانت مسألة الامن الفرنسي لا تقبل أي حل توفيقي ولا حتى خلال عصبة الامم التي ابتدعها ويلسن، والحل في نظر الفرنسيين هو ان تصبح المانيا (واهنة ضعيفة) رغم صعوبة ذلك لان المانيا ظلت قوية بنسبة سكانها وقوتها الاقتصادية والحربية حتى انها لم تتضرر من الحرب في داخلها، وسكانها اكثر بكثير من سكان فرنسا وصناعاتها أمتن وانشط لذا ارادت فرنسا ابقاء المانيا منزوعة السلاح مع احتلال اجزاء منها وفرض غرامة كبيرة جداً عليها لاضعاف اقتصادها وتعويض خسائر فرنسا، اذ كان اكثر من 100 الف مشروع قد تضرر بسبب الحرب ولكن المشكلة لم تكن كم تدفع المانيا وانما كيف تدفع واقتصادها منهار؟! وظلت فرنسا تواجه اهم قضاياها وهي الأمن والتعويضات، لكن المانيا دفعت الشيء القليل ثم تلكأت واستخدمت كل الوسائل الممكنة للالتفاف على القرار والامتناع التام عن دفع أي شيء في

نهاية الامر مستفيدة من موقف بريطانيا غير المتشدد تجاهها ثم الخلاف الذي حدث بسبب التعويضات بين فرنسا وبريطانيا مما أفاد المانيا واضر بفرنسا ودفعها الى احتلال منطقة صناعية المانية (الرور) والاستفادة منها للتعويض، وما لبثت الدولتان ان توصلتا الى سلام يضمن حدود فرنسا الغربية ثم اتفقت مع عدة دول في شرق اوربا ووسطها لتأمين نفسها، خاصة وان امريكا وبريطانيا كانتا تطالبان فرنسا بترك الاراضي الالمانية التي تحتلها مع تقديم قروض واموال امريكية لالمانيا.

وانشغلت فرنسا ايضا بمسألة نزع الاسلحة لتخفيف التوتر في اوربا ومنع نشوب حرب اخرى واستغلت المانيا هذا الامر بذكاء، فان معاهدة فرساي حددت اسلحتها فاذا كان الاخرون يريدون نزع الاسلحة فاما ان يتساووا مع المانيا او هي تتساوى معهم في التسلح وعقد مؤتمر بهذا الشأن عام 1932 بحضور فرنسا، لكن كل شيء بدأ بالتوتر عندما حصل التطور السياسي في المانيا عام 1933 ورغبة زعيمها في تمزيق معاهدة فرساي والانتقام من الحلفاء، وكان الفرنسيون قلقين من الوضع لان أمنهم يعتمد على التحالفات ضد المانيا، ودفعها تعويضات يجعل اقتصادها ضعيفاً، والابقاء على بنود معاهدة باريس التي جعلت المانيا منزوعة السلاح، اضافة الى تأييد بريطانيا لها اذا ما هددت المانيا السلام ثانية.

لم تستطع فرنسا فعل شيء امام التغيير السريع الذي حصل في المانيا ولم تعزز دفاعاتها ولا بحثت عن حلفاء او ساندت عصبة الامم، واصبحت عاجزة عسكرياً للتصدي لالمانيا، وهكذا بدأت الامور تفلت من يد فرنسا بسبب تطرفها في علاقتها مع المانيا حتى عام 1939 عندما نشبت الحرب الثانية.

الاتحاد السوفيتي

ساهمت روسيا في الحرب الاولى بشكل فعال، وقدمت ضحايا كثيرة في معاركها، وتمكنت ان تعطل الالمان تماماً عن تنفيذ خططهم الحربية التي وضعوها مسبقاً باحتلال باريس وتدمير روسيا لكن الضغط العسكري الالماني كان شديداً على روسيا وأدى مع عوامل اخرى الى نشوب الثورة ومن تلك العوامل العبء الاقتصادي الثقيل الذي تحملته الجماهير من العمال والفلاحين، وعجز الحكومة عن احتواء الازمات التي نجمت عن العمليات العسكرية وخسائرها الجسيمة في الارواح والممتلكات، وفشل النظام الاداري في تمشية امور الدولة في احرج فترة

مرت بها، وانتشار الفساد الاداري والسياسي، وانتشار الافكار والاتجاهات المختلفة ضد سطوة رجال الدين والنبلاء مع وجود ملك (قيصر) ضعيف الارادة في مواجهة احزاب ومنظمات ثورية نشطة.

جاءت ثورة شباط 1917 ضد الاسرة الحاكمة الملكية الروسية بمثابة انفجار شعبي نتيجة عوامل زادت من فعاليتها احداث الحرب وما سببته للناس من دمار، وخوف، وقتل لاولادهم، وحرمان وعدم مساواة في توزيع اعباء الحرب فالعمال والفلاحون والجنود يقتلون فيما الطبقة الحاكمة متنعمة.

لقد انخفضت وارادت الحكومة اثناء الحرب فيما ارتفعت نفقاتها لادامة الحرب ضد المانيا وحصل تضخم اقتصادي كبير صاحب انخفاض الاجور وتحمل الفلاحون آلاماً كثيرة اضافة الى غيرهم بعد توجيه الاقتصاد لخدمة الحرب لا خدمة الناس دون ان تؤدي المعارك العنيفة التي خاضها الجيش الروسي الى تقدم باهر مما جعل العمال وغيرهم مستعدين نفسياً وفكرياً لتغيير الوضع وانقاذ بلادهم بالثورة.

وبدأ بعض الجنود يتقبلون افكار التنظيمات السرية وصاروا يتفاعلون مع ما يجري في المدن من تذمر وشكوى لبعض القطعات في الجبهات مع انخفاض الروح المعنوية للجيش،وتطورت وتصاعدت الامور باضرابات في العاصمة سان بطرس بيرغ (اصبح اسمها فيما بعد لينين غراد) في شباط 1917 رفعت شعارات ضد الحكومة والحرب وتدعو للثورة واستقال القيصر اوائل اذار وتشكلت حكومة مؤقتة لكنها لم تخرج من الحرب مما جعل الروس يزدادون تذمراً من ذلك وحصل انقسام بين الناس وتوترات مع الحكومة، ورغبت المانيا في ان تترك روسيا الحرب ووجدت ان (لينين) الذي كان زعيماً للشيوعيين يوفر فرصة ثمينة لكي توقف روسيا الحرب فتم تهريبه من خارج روسيا الى داخلها ليتزعم الثورة الشيوعية في تشرين الثاني 1917 وليتفق مع المانيا على صلح انهى الحرب معها وهو صلح (برست-ليتوفسك) وليقيم نظاماً ثورياً دموياً عرف بالاتحاد السوفيتي.

ان الثورة الروسية الشيوعية تعود الى نظرية دعا لها يهودي الماني اسمه (كارل ماركس) في القرن التاسع عشر الذي رأى ان النظام الرأسمالي سيزول حتى لو بعد قرون ويقوم مكانه نظام اشتراكي تقوده الطبقة العاملة ولا تبقى ملكية لاحد الا للدولة.

زادت فعالية الدعاية الشيوعية في روسيا مع ازدياد مآسي الحرب واشتداد ضعف القيصر والحكومة التي اعقبته ووقوع اراضي روسية تحت احتلال الالمان مع اصرار الحكومة الجديدة على الاستمرار بالحرب حتى نجحت ثورة الشيوعيين.

قام لينين باجراءات هائلة ثورية فعقد صلحاً منفرداً مع المانيا وسط غضب وانزعاج الحلفاء منه، ثم ضرب اعداء الثورة من النبلاء والاغنياء والضباط السابقين ورجال الدين بقسوة، ودخلت روسيا في حرب اهلية طحنت ملايين الناس في القتال والجوع والمرض وكان الشيوعيون تحت السيطرة الكاملة للافكار المتطرفه واراد لينين نشر الثورة في العالم من خلال الدعوة لما سمي بالدوليه الثالثة (1919) بعد الثانية المنعقدة في 1889 والاولى في 1864 لجمع كل الشيوعيين في العالم، ولم يلبث ان انهى مشكلات روسيا باجراءات صارمة جداً لكنه كان زعيماً شعبياً اراد بيتاً لكل فلاح فيه كهرباء، واقام النظام السوفيتي (السوفيتات مجالس للعمال) معتمداً على حزب منظم غاية التنظيم، وجيش احمر قوي، مع الشرطة السرية.

توفي لينين عام 1924 وحصل خلاف على زعامته بين ثلاثة من زعماء الحزب الشيوعي فقد اراد (تروتسكي) قائد الجيش قيام الاتحاد السوفيتي بتزعم الثورة في العالم، فيما اراد (ستالين) تقوية النظام في روسيا اولاً وعدم تصدير الثورة، وكان الثالث اقل اهمية منهما وهو (زينوفيف)، وانتصر ستالين عام 1927 ليصبح الزعيم الاوحد المخيف لاكثر من ربع قرن.

ابتعد كل من لينين وستالين عن الديمقراطية واقاما نظاما قاسياً ديكتاتوريا مثل النظام الفاشي في ايطاليا، والنظام النازي في المانيا مع فوارق بينهم، ففي الشيوعية الحزب اقوى من الزعيم، وفي الثانية والثالثة الزعيم اقوى من الحزب والاولى ديكتاتورية العمال والاخريات ديكتاتورية حزب وزعيم، وقد عمل الغربيون لاجل منع ثورة روسيا من الانتشار لان المجتمعات الغربية عانت جداً من المادية، والجشع، والاحتكار، والطمع بالربح بلا قيم، مع الخوف من تأثير الحرب وآثامها وآلامها على آلاف المقاتلين الذين عاشوا بالخوف والحرمان مما جعل تأثير الشيوعية ودعايتها عليهم واضحا.

خضعت روسيا السوفيتية منذ عام 1918 وحتى قيام الحرب العالمية الثانية لثلاث دساتير قلبت النظام القديم القيصري واقامت دولة جديدة اتحادية متعددة القوميات، واعتبر قادة روسيا الجدد ان بلادهم محاطة بالاعداء فهي في خطر دائم يستوجب حكماً صارماً عنيفاً

مركزياً، وقام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية عام 1923 من اربع جمهوريات ثم اصبحت 11 جمهورية سنة 1936 والحكم بيد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي حيث لا يسمح لأي حزب اخر بالعمل ثم اعلنوا انهم اقاموا حكماً ثورياً فيما هم اقاموا (مجتمع ديمقراطي تحكمه ديكتاتورية) هي ديكتاتورية الحزب الشيوعي مع ديكتاتورية ستالين خاصة وعرف عهده بانه عهد (عبادة الفرد) ويكفي ان نشير هنا الى مثلين حول ذلك الزعيم فقد ذكره كاتب روسي بتعظيم شديد موجهاً كلامه الى أي (مريض) روسي قائلاً.. اذا مرضت فكر به.. بستالين.. تشفى! فيما قال شاعر عنه انه ليس مثل الشمس ولا القمر ولا الجبل ولا البحر فالشمس والقمر يغيبان ليلاً او نهاراً وهو لا يغيب وللجبل قمة وللبحر قاع وهو اعلى واعمق منهما.. الى اخر تلك الترهات.

عمل ستالين على تصنيع روسيا من خلال خططه الخمسية والسبعية وانهى المشاريع الاقتصادية التي سمح لها بالعمل زمن لينين عندما وجد بلاده في حالة حرجة جداً بعد هبوط الانتاج الصناعي، وعصيان العمال، وثورة الفلاحين، وحلول المجاعة عام 1921، فاعلن لينين حالة انطواء ستراتيجي وسياسة اقتصادية جديدة عرفت بالنيب N.E.P تقضي بقبول نوع من الحريات الاقتصادية بوجود قطاع خاص الى جانب القطاع العام والسماح باقامة مشاريع صغيرة صناعية فردية مع رقابة من الدولة التي تخلت عن جزء من برنامجها الاجتماعي وقد الغى ستالين ذلك كله ولاحق عناصر النيب وقضى عليهم كما نظم حملة ضد الدين بين 1922-1925 ثم تحسن الوضع الاقتصادي منذ عام 1927 ورسخت قدم الاتحاد السوفيتي بعدما صارت اعمار الشباب بعمر الثورة التي لم يعرفوا غيرها مثلما لم يعرفوا زعيماً او قائداً الا ستالين الذي شرع في 1934 تنفيذ الخطة الخمسية الثانية، بعدما تمكن تماماً من السيطرة على الحزب والدولة والعمل والصناعة والفن والتربية والتعليم، والصحافة، والمسرح، والاعلام والاتصالات، والنقل، والمصارف.. وكل شيء.. وبعدما قام بتطهير الحزب من (اعداء الثورة) حيث تم اعدام وسجن مئات الالوف من الناس ان لم يكونوا بالملايين.

وبموجب الخطة الخمسية الثانية جاء الاهتمام الشديد بالصناعات الثقيلة لان الدولة القوية في صناعتها تستطيع الدفاع عن نفسها، واعتمد ستالين في بعض اوجه خططه على (مهندسين امريكيين) وارتفع انتاج بلاده من الحديد والصلب والفحم والكهرباء، كما اهتم بالصناعات التي تنتج مواد استهلاكية لتحسين حالة السكان.

وفي مجال السياسة الخارجية تصور قادة الاتحاد السوفيتي ان جميع الدول الغربية تعاديه لكنه رغم ذلك اعاد علاقاته مع بريطانيا عام 1929 وحسن علاقاته باليابان وتركيا لكنه تصور ان جهود الدول الاوربية حول السلام كانت غير مخلصة وهاجم عصبة الامم لانها غطاء للاعداء لعمل عدواني.

ورغم ذلك فان الاتحاد السوفيتي لم يكن معزولاً كلياً عن نشاطات العصبة اذ شارك في مؤتمرات نزع الاسلحة لكنه شعر بالقلق من بداية نهوض المانيا العسكري بعد عام 1933 وموقفها السياسي والايديولوجي المعادي علناً للشيوعية وللاتحاد السوفيتي مما جعل الاخير يعمل لاجل تحسين العلاقات مع دول غربية ومنها الولايات المتحدة محاولاً منع المانيا من ضربه اولاً ريثما يجد القدرة على الرد بالمثل، وعمل الاتحاد السوفيتي على تحقيق الامن الاوربي وحث المانيا ان تتمسك باتفاقية لوكارنو الداعية الى عدم استخدام القوة لفض النزاعات بين الدول وعندما رفضت المانيا اتجه ستالين الى فرنسا وحليفاتها في اوربا الوسطى لتحقيق الامن في اوربا الشرقية، وعمل داخل العصبة، بعد ان انتمى اليها، ضد عدوان ايطاليا على الحبشة عام 1936 وضد خروج المانيا على بنود فرساي وضد القوى الملكية في اسبانيا واحس بالعزلة بعدما رفضت بريطانيا طلباته واعتقد ان الغرب يريد ان يوجه المانيا لضرب الاتحاد السوفيتي فرد على ذلك بان اتفق مع المانيا نفسها في أب 1939 لتنشب الحرب بعد ذلك بأيام.

ايطاليا الفاشية

تشغل الفاشية حيزاً هاماً في تاريخ اوربا القريب، تماماً مثل الشيوعية والنازية وهي الانظمة السياسية الجديدة التي ظهرت في اوربا حديثاً وقويت شوكتها في اهم التغييرات التي حصلت في فترة ما بين الحربين ثم خلال الحرب الثانية وانتهت بنهاية الفاشية والنازية معاً.

لقد ارتبطت الفاشية بايطاليا ومن الضروري القاء ضوء على وضع هذه البلاد التي وجدت الفاشية فيها ارضا خصبة للنمو والقوة بعد النشوء نتيجة الظروف التي نجمت عن الحرب العالمية فقد انظمت ايطاليا الى الحلفاء خلال الحرب لتقاتل الى جانب كل من فرنسا وبريطانيا بأمل ان يعود عليها ذلك بالخير الكثير بعدما قدمته من تضحيات بالرجال والاموال وفقدت 650 الف رجل من القتلى ومئات الالوف من الجرحى واثقلت الحرب ميزانيتها ولكنها بعدما خرجت (منتصرة) لم تشهد أي تحسن في اوضاعها ولم تحصل على (مغانم) من الحرب تتناسب مع

تضحياتها، فقد كانت تحلم بتوسيع مستعمراتها في افريقيا والشرق الادنى واوربا دون ان تعترف الدول الكبرى لها بدورها في الحرب، ومع ذلك فانها حصلت بالقوة على اجزاء هامة من (البانيا) وما جاورها، وضمت اليها 9000 ميل مربع في اراض اوربية واكثر من مليون ونصف مليون ميل خارج اوربا لكنها كانت طامعة بالمزيد من خلال مؤتمر باريس غير ان الرئيس الامريكي وقف ضد اطماعها فانسحب رئيس الوفد الايطالي من المؤتمر معتقداً ان المؤتمر سيشكو من فراغ بسبب انسحابه، غير ان المؤتمر استمر وحصلت بريطانيا وفرنسا على (غنائم) بغياب ايطاليا فزاد ذلك من هيجان وغضب الرأي العام الايطالي والذي تزامن مع ضعف الحكومات وعدم استقرارها (حتى اليوم) وعدم ثباتها حتى تستطيع ان تحمل الناس على احترام القانون.. وكل ذلك جعل كثيرين منهم يتساءلون عن مبررات دخول بلادهم حرباً جرّت الويلات عليها وانتشرت روح التذمر والشكوى والالم من ذلك بالوقوف ضد الحكومات بين 1918-1922 وكانت خمس حكومات قد فشلت في الحصول على تعويضات جيدة عن الحرب في وقت كان فيه الاقتصاد يشكو من التضخم وانخفاض معدل الصناعة وزيادة اعداد العاطلين عن العمل ممن تم تسريحهم من الجيش بعد انتهاء الحرب.

وفي مثل تلك الظروف المضطربة سياسياً والضعيفة اقتصادياً طرحت الاحزاب افكارها المتناقضة وغير العملية وراح العمال يطوفون المدن هاتفين بحياة (لينين) والاشتراكية فيما وجد اخرون ان روما القديمة هي الحل وليست الاشتراكية وشاعت الفوضى فاراد الايطاليون رجلا ليكون (المنقذ) وليقيم عهداً جديداً قوياً وقد وجدته في (بنيتو موسوليني) موجد الفاشية الديكتاتورية لا في ايطاليا فقط انما في اجزاء من العالم انتشرت خلال حياته وبعد شنقه بكثير.

ولد موسوليني في تموز 1883 من أب قروي يعمل حداداً وأم معلمة حيث بدأ حياته العملية معلماً غير انه ضاق ذرعاً بها وتركها وسافر الى سويسرا وعمل في الصحافة وسجن مرتين بسبب نشاطه الفوضوي، ووقف مع الاشتراكيين وضد الحرب على ليبيا ودعا الى الوقوف على الحياد في الحرب العالمية الاولى ثم غيرّ رأيه الى عكس ذلك وشارك فيها جندياً وجُرح عام 1917 ثم عاد بعد معافاته ليهاجم المترددين ودعاة الهزيمة وليدعو الى (سلطة فردية صارمة) وعبر عن آرائه في احدى الصحف ونال تأييداً بسبب شخصيته زعيماً وخطيباً تمكن من السيطرة على سامعيه وجعلهم يتحمسون له ولمطالبه بضرب الشيوعية والرأسمالية معاً مدافعاً عن التوسعية الايطالية.

وبعد الحرب وكانت ايطاليا كما ذكرنا في حال من الفوضى والألم والاحباط، فانه دعا الى اجتماع للمهتمين بحل مشكلات بلادهم واوجد معهم حزباً جديداً في اذار 1919 باسم الجماعة المكافحة، ونشطت الجماعات الفاشية التي اخذت اسمها من الكلمة اللاتينية Fasces التي تعني (حزمة عصي) مربوطة بفأس دليل القوة والوحدة واصبح موسوليني زعيماً داعياً الى التغيير مع تنظيم اضرابات والدعوة الى القيام بمشروعات اصلاحية ثورية مع الوقوف ضد الاشتراكيين الذين ظهر منهم من يدعو الى الشيوعية لذا خاف كبار الملاك واصحاب المصانع والاغنياء من نجاح الاشتراكيين ورأى هؤلاء في موسوليني وحركته باباً للأمل وعاونوه وأيدوه فازداد الفاشست ثقة بأنفسهم، وخلال فترة وجيزة من النشاط المحموم لانصارها بقيادة موسوليني، ونتيجة لتردي الاوضاع السياسية والاقتصادية، برز الحزب الجديد بملابس اعضائه وشبابه السوداء مع تحية خاصة بهم برفع اليد اليمنى واعلن زعيمهم بأن المستقبل لهم (للفاشست) وانهم سيزحفون الى روما قريباً وبدات ميليشياته تسيطر تدريجياً على مدن ايطاليا ورغم ذلك كانت تهديداته تقابل في البرلمان بالاستخفاف لكنه دعا في تشرين اول 1922 الى مؤتمر لجماعته في نابولي وقرر استخدام القوة ضد خصومه بزحف بضعة آلاف من انصاره على روما فقرر الملك منح موسوليني رئاسة الحكومة فقبلها لتبدأ من ذلك التاريخ الديكتاتورية الفاشية القائمة على (الحزب الواحد) والزعيم الاوحد والبطش بالخصوم بقسوة واقامة جيش شعبي ايديولوجي وعناصر تحمي المصالح الحكومية من شبان تمت تسميتهم بـ(حزم الكفاح) وتأسيس المجلس الفاشي الاعلى واقامة برلمان يطلب من اعضائه الموافقة التامة على كل ما يقوله ويفعله (الدوتشي) أي الزعيم وتأسيس نقابات فاشية فقط سميت بـ(الاصناف) واقامة منظمات للفتيان ثم للشباب لاقامة مهرجانات حزبية وشعبية لتقوية العلاقة بين (الرفاق) أولاً ثم لجلب (الفاترين) ممن يغلبهم الحياء للمشاركة في النشاط، وتأسيس جيش قوي وصولاً الى تحقيق مصالح ايطاليا في المجال الحيوي لها في اوربا والبحر المتوسط وافريقيا حتى وصف موسوليني ذلك البحر بانه (بحرنا).

اتخذ موسوليني سلسلة اجراءات لاعادة النظام الى البلاد وتوزيع الاراضي على الفلاحين والقيام بمنجزات لابد منها بدلاً من حرمان الناس من الحرية ذلك ان الفاشية تعطي كل شيء الا الحرية فعادت القطارات تسير بانتظام واصبح الموظفون يعملون لثماني ساعات دونما تسيب وكسب الرجل ابناء الريف خاصة اما بوعود لهم انه سيوزع الاراضي عليهم، او بارهابهم

والتنكيل بهم، كما انه ارغم كنيسة روما (الفاتيكان) بعدئذ على عقد معاهدة خاصة بعملها عرفت باسم (اتفاقية لاتيران) لعام 1929 منعتها من معارضة الحكومة الفاشية. واصبح موسوليني هو كل شيء في الدولة وتولى (8) مناصب وزارية من مجموع (15) اضافة الى كونه زعيم الحزب والقائد العام للجيش فصار.

لم تكن الفاشية ايديلوجية متماسكة متكاملة، وكان سبب نجاحها ان المجتمع الايطالي كان على وشك الانهيار اضافة الى فشل النظام الديمقراطي البرلماني، واستهوت الفاشية جماهير ايطاليا بعواطفها وانفعالاتها البدائية حتى صارت ثورة جماهير مجردة من الانسانية تركت لرجل واحد مستبد ان (يستعبدها) وبلغ عدد المنتسبين الى ذلك الوباء اكثر من (8) ثمانية ملايين عضو عام 1939، ولم تكن حزباً او حركة في مقدمة الامر بل كانت (قوة بنيت على الارهاب)، ومثلت في التاريخ المعاصر حدثاً له مدلوله العالي حتى صارت ديكتاتورية موسوليني (الصورة الاكثر تقليداً في العالم)، ومنه عالمنا العربي، حيث اقتبست الانظمة عنها مظاهرها الخارجية، وهذه الانظمة تدين بالشكر لموسوليني.

لقد ظهرت في ايطاليا البلد المضطرب سياسياً، القلق اجتماعياً من جراء المعاناة الحادة من فقر وبطالة وصراع طبقي، فجاءت ثورة حركت الجماهير الهائلة ضد نظام حكم فاشل وفاسد وعاجز وفي ظل وضع اقتصادي لا يطاق الى جانب اذلال وطني خطير لكنها وقفت ضد الانظمة البرلمانية والرأسمالية والشيوعية وكانت قوتها في (الانضباطية العسكرية) والتدريب العسكري، والاستعراضات، والحشود الجماهيرية مع اجهزة دعائية كفوءة جداً من صحافة وراديو وسينما، ورقابة صارمة للناس مع التجسس عليهم، واصبح الحزب في حقيقة الامر عبارة عن (دم ضد الدم وعِرق ضد العِرق وشعب ضد الشعب)، وصار الفرد خاضعاً بالكامل للدولة والزعيم الذي كانت حياته في نظر مؤيديه (اثمن من كل شيء) فصارت وصاياه برنامج عمل للشعب ولابد من مراقبة التعليم والكنائس والرياضة والفن من قبل (الشبيبة) فلا يشذ احد ابداً عن الطوق ولا يخرج عن نفوذ الحزب ابداً والا فالموت مصيره، ولا حاجة لنظام حر وانما الحكم لنخبة من ابطال اشداء، غير ان المثقفين رأوا فيها فساداً ليس له نظير ومثالاً للطغيان المدعوم تكنولوجيا، وكان موسوليني موهوباً لكنه صار اضحوكة لقيامه بدور السوبر مان وواضح ذلك من وقفته الشهيرة، ومجدَ الحرب واعتبرها مثل الامومة للمرأة وان الحرب وحدها تفجرَ جميع طاقات الامة، واستهوت آرائه اصحاب الانفعالات البدائية والعواطف الجياشة حتى تجردوا من

انسانيتهم امام نظام وحشي تمكن من السيطرة والتغيير من خلال المظاهر المتوهجة بالحماس والحركة الطليعية وخلق اساطير في كل مجال وميدان مع انعاش امال الناس القومية الداعية لوحدة الامة وقوتها امام اعدائها وحتى خصوم الزعيم ففي عام 1924 قتل اشد معارضيه وهو زعيم الحزب الشيوعي ماتيوتي دون اكتراث لاتهامه بالقتل او التحريض عليه.

كان للحزب امين عام (موسوليني) وفي الاقاليم امناء اقل شأناً منه بكثير وسط ضجيج اعلامي هائل لاقناع الناس بالعمل من اجل اقامة حضارة ايطالية جديدة ويعتمد ذلك في تحقيقه على جيش قوي مسلح بأفضل الاسلحة وفي المجال الخارجي فان اهداف الحكومة الفاشية تمثلت في العمل على معالجة اسباب الضعف في السياسة الخارجية سابقا ووضع موسوليني نصب عينيه تقوية ايطاليا براً وبحراً وجواً بما يتناسب وآماله الكبيرة ولهذا وضع كل القوات بامرته منذ العام 1933، ووقف موقفاً فيه نزاع مع فرنسا بسبب استقبالها لمهاجرين طليان بعد حكم الفاشية وترحيب فرنسا بهم طالما انهم ضد الفاشية اضافة الى مطالبة الايطاليين بتونس (وكأن ذلك البلد العربي المسلم بلا شعب ولا تاريخ) وكذلك المطالبة بمالطا وكورسيكا الى جانب تقوية احتلال ليبيا للقضاء على ثورة الشهيد عمر المختار واحتلال موسوليني للبلد الاوربي المسلم (البانيا) مع دعم العلاقات مع المانيا والدعوة لاعادة النظر في قرارات مؤتمر باريس للسلام. واعادة توزيع المستعمرات في شمال افريقيا حيث قامت بريطانيا باسترضاء الديكتاتور باعطائه ارضاً (مصرية) لضمها الى ليبيا المحتلة من ايطاليا..!!

ثم بدا استعداداته لتوسيع رقعة استعماره في القرن الافريقي (الصومال) خاصة وتهديد الحبشة (اثيوبيا) وهكذا هددت السياسة الايطالية السلام العالمي عام 1936 باحتلال تلك البلاد المستقلة دون اكتراث للمجتمع الدولي وعصبة الامم والدول الغربية رغم استخدام الغازات السامة ضد رجال المقاومة في اديس ابابا عاصمة الحبشة وخرجت ايطاليا من عصبة الامم التي فشلت في وضع حد للعدوان الايطالي، فيما ايدت المانيا ذلك العدوان فتقاربت الديكتاتوريات هنا وهناك وقام (المحور) الذي ضم المانيا وايطاليا بعد عام 1937 وصار يوجه السياسة الاوربية الخارجية قبل ان تزداد متانة العلاقة بين المانيا وايطاليا حيث دخلت الحرب ضد فرنسا في وقت لاحق من نشوب الحرب العالمية الثانية، لكن ايطاليا لم تثبت أي كفاءة في الحرب وخسرت كثيراً في اكثر من مكان واحس الايطاليون بانهم دخلوا حرباً لا ناقة لهم فيها ولا جمل، وبدأ التذمر يزداد حتى حصل انقلاب على موسوليني وتم نقله الى مكان اخر، غير

ان هتلر الالماني النازي تمكن من انقاذ حليفه في منتصف الحرب قبل ان تهاجم قوات الحلفاء ايطاليا ليهرب الديكتاتور مع ما تبقى من جنود المان لكن رجال المقاومة الايطالية عثروا عليه في نيسان 1945 وتم اعدامه قبل ايام من انتحار زميله هتلر فتحقق ما اراده موسوليني بقوله انه مع صديقه وحليفه ليقاتلا معاً ويموتا معاً.

وهكذا تخلصت ايطاليا من كابوس الفاشية بعد 23 سنة من الخوف في نفس الوقت الذي تخلصت فيه المانيا من كابوس النازية.

جمهورية فايمر الالمانية

في 29 ايلول 1918 أبلغ قائد الجيش الالماني حكومته بأن المانيا ستواجه الكارثة ان لم تقبل بالهدنة مع الحلفاء وضرورة قيام البرلمان بتصريف شؤون الدولة، وتغيرت الحكومة وقتها في 3 تشرين الاول لكنها واجهت مشاكل جمة لعقد هدنة او صلح مع الحلفاء لا يضر المانيا مادياً او معنوياً، وفي 5 تشرين الثاني تم ابلاغ المانيا من قبل الولايات المتحدة استعداد الحلفاء للهدنة فيما كان الجيش الالماني في حال سيئة جداً وبلا أي أمل في تغيير نتيجة الحرب فتضعضع موقف الحكومة في برلين وحاولت ان توقف تيار التذمر بانهاء الحكم العسكري الديكتاتوري واقامة نظام ملكي برلماني دستوري في محاولة لمنع قيام عمل في المانيا يشبه ما حصل في روسيا، لكن العاصفة هبت على الحكومة اذ تمرد رجال الاسطول الالماني لاسباب عديدة اوائل تشرين الثاني وانتشرت روح الثورة في اماكن عديدة واستسلم النظام الملكي وتم اعلان الجمهورية يوم (8) تشرين الثاني في ولاية بافاريا واستولى الاشتراكيون المستقلون على السلطة وطالبوا الامبراطور بالتنازل عن العرش لكنه حاول استخدام الجيش ضد التمردات ففشل في ذلك المسعى وتنازل يوم (9) تشرين الثاني واصبح (إيبرت) مستشاراً ونال تأييداً من احزاب اساسية اضافة الى تأييد الجيش الذي خشي قادته من ثورة شيوعية.. وفي 11/11 انتهت الحرب العالمية فيما كانت المانيا تموج في الثورة والفوضى، واصدرت حكومة ايبرت مرسوماً يقضي باجراء انتخابات لتأسيس مجلس وطني، وحين اجريت الانتخابات الديمقراطية وكانت اول انتخابات ديمقراطية شهدتها المانيا، فان احداً من الاحزاب لم يحصل على اغلبية فتشكلت حكومة ائتلافية تضم عدة احزاب وعرفت بتحالف (فايمر) حيث انعقد المجلس المنتخب في هذه المدينة الجنوبية في المانيا وليس في برلين التي كان فيها الشيوعيون ثائرين ولم تكن

عاصمة مستقرة اذ تمردت فرقة من البحارة اوائل عام 1919 فاستنجد ايبرت بالجيش وحصلت مواجهة قاسية انتهت بهزيمة الشيوعيين والمتمردين فيما كان المجلس المنتخب قد اعلن النظام الجمهوري واصبح ايبرت رئيساً للجمهورية التي عرفت بـ(جمهورية فايمر)، وفي اواخر تموز 1919 تمت الموافقة على دستور جديد لالمانيا.

حرص الدستور الجديد على تأمين حقوق المواطن السياسية مؤكداً ان المانيا جمهورية ديمقراطية اتحادية، وتألفت السلطة التشريعية من مجلسين ينتخب اعضائهما لمدة اربع سنوات عن طريق انتخابات عامة مباشرة سرية، ويتم انتخاب الرئيس من قبل الشعب مباشرة ولمدة سبع سنوات قابلة للتجديد مع صلاحيات واسعة له تقترب من صلاحيات كانت للامبراطور وليم الثاني، ووعد الدستور بتحقيق مبدأ المساواة بين الجنسين وتوفير فرص التعليم المجاني والالزامي لكافة المواطنين، واجتمع المجلس الجديد في برلين يوم 30 تموز 1920 بعدما كانت حكومة فايمر قد وقعت على معاهدة فرساي في حزيران 1919 مع رفض بنودها فانذرها الحلفاء فوقعت بعدما اكد قادة الجيش انه لا يستطيع الاستمرار في الحرب او العودة لها، غير ان حكومة فايمر لم تكن مرغوبة من الشعب بشكل واسع، وقد واجهت مشاكل كثيرة وسط حقد وغضب الجيش على مقررات فرساي، ومحاولات البعض القيام بانقلاب استغلالاً لحالة الفوضى التي سادت البلاد بعد الهزيمة العسكرية، كما ان كثيراً من الناس انتقدوها لانها قبلت توقيع المعاهدة، وارتكبت الحكومة اخطاء سياسية اساءت لسمعتها ونظامها الجمهوري وكانت اولى هذه الاخطاء ان رجالها المدنيين كانوا في نظر الشعب هم الذين سلموا بشروط الحلفاء ووقعوا الهدنة فيما كان يجب ان يوقعها العسكريون ليسجلوا الهزيمة على انفسهم بدل الادعاء بانهم لم يخسروا بل طعنوا من الخلف.

وفي عهد الجمهورية وبالرغم من قيود نزع السلاح فان الجيش الالماني تمكن من الحفاظ على حلقة اساسية ستكون محور الجيش النازي، اذ درب الضباط على السرعة والحركة وانتعشت الحركات المعادية للجمهورية واصبحت العلاقة بين الجيش والحكومة قلقة ومما زاد من عدم الاستقرار للسنين الاولى من جمهورية فايمر هو تردي الوضع الاقتصادي لعدم وجود فرص كبيرة للنهوض به، كما ان أي محاولة لبناء اقتصاد قوي كانت ستشجع الحلفاء للمطالبة بقسط اكبر من التعويضات وزادت معدلات التضخم بشكل كبير، اضافة الى ان مناطق غنية بالمعادن انتزعت من المانيا.

جابهت الحكومة مزيداً من الصعوبات الداخلية وخاصة مع الجيش المتطلع الى السلطة غير ان الحكومة صمدت وعززت الثقة بالاقتصاد وجرت انتخابات عدة في عام 1922 وما بعدها. ولكن المشكلة الاقتصادية ظلت عقبة امام التقدم اضافة الى مشاكل السياسة الخارجية وخاصة مع فرنسا التي كانت تريد ارهاق المانيا الى ابعد الحدود، وتحطيم اقتصادياتها حتى لا تقوم لها قائمة فتأمن فرنسا شر المانيا الى ابعد مدة ممكنة، وبلغت الديون المفروضة على المانيا حوالي ستة الاف و600 مليون جنيه فعملت الحكومة على ترك العملة الالمانية تفقد قيمتها باصدار كميات هائلة منها فكانت وبالاً على الشعب الالماني بعد تدهور عملته حتى اصبح الجنيه الانكليزي يساوي في ايلول 1923 حوالي (480,000,000) مليون مارك وترتب على تلك الكارثة المالية نتائج اقتصادية وخيمة اذ فقد الكثيرون ثرواتهم وخصوصاً افراد الطبقة الوسطى ورفض الفلاحون نقل منتجاتهم الى المدن واغلق معظم التجار محلاتهم التجارية وانتشرت المجاعات في اماكن كثيرة من المانيا. وكثرت المظاهرات وحركات الانفصال واصبح الموقف شديد الخطورة فاتخذت الحكومة سلسلة اجراءات للنهوض بالاقتصاد ومن ذلك تحسين العلاقة بالحلفاء خاصة وان بريطانيا عارضت سياسة الارهاق التي اتبعتها فرنسا ضد المانيا وفي المقابل فقد حصل تغيير سياسي في فرنسا حيث خفضت الضغط من المانيا باتباع سياسة جديدة هي سياسة المصالحة والتهدئة وساعد في ذلك تعيين مستشار لالمانيا كان من رأيه العمل على انهاء عزلة المانيا واعادتها الى مكانتها السابقة وقد نجح فعلاً في تحسين علاقات المانيا السياسية والاقتصادية باعدائها القدامى وعقد قرض اجنبي لالمانيا بتثبيت قيمة العملة وكان قدره (800) مليون مارك ذهبي وحصلت المانيا على القرض المقترح وعادت الثقة بالنقد الالماني وتقدم وزير خارجية المانيا بمشروع تتعهد فيه المانيا باحترام حدودها الغربية والسعي لخلق استقرار سياسي في العلاقات مع الدول الغربية وخاصة فرنسا ووافق البريطانيون على ذلك وجرت مفاوضات في سويسرا وانتهت المفاوضات في جو من التفاهم لعقد معاهدة بين المانيا وبلجيكا وفرنسا وبريطانيا وايطاليا عرفت بمعاهدة (لوكارنو) واعترفت المانيا بموجبها بالحدود الغربية مع بلجيكا وفرنسا وسلمت للاخيرة بحقها بـ الالزاس واللورين وتعهدت مع فرنسا الا تلجأ احداهما الى الحرب كوسيلة لحل المشاكل وكان من تطور ذلك قبول الحلفاء بتعيين قائد الجيش الالماني خلال الحرب الاولى رئيساً للجمهورية طالما انه أقسم الولاء للدستور الديمقراطي الجمهوري الجديد، وفي عام 1926 قبلت المانيا عضواً في عصبة

الامم مما اتاح لها عرض قضاياها الخاصة بالتعويضات والتسلح وغيرها على العصبة وطالبت المانيا بجلاء الحلفاء عن الراين. وهكذا نهضت المانيا من كبوتها وصدمتها التي اصيبت بها واستفادت من تدفق الاموال الاجنبية عليها وخاصة الامريكية فانتعشت الصناعة المدنية والحربية وتحسن الاقتصاد وازدادت الصادرات ولم يبخل الامريكيون في تمويل الصناعات الالمانية كذلك فعلت بريطانيا فاستعادت المانيا بسرعة صناعاتها المختلفة من الاسلحة والسفن التجارية حاملة البضائع الالمانية ذات السمعة العالمية العظيمة وفيما كانت الاوضاع تشير الى التفاؤل لتحسن الوضع تماماً في المانيا فانها خسرت عام 1929 سياسياً لامعاً بوفاته وهو المستشار (شترسمان) وفي نفس العام حلت الازمة الاقتصادية العالمية وكان نصيب امريكا منها شديداً وشاملاً وبذلك ساء حظ المانيا وبدأ الامريكيون يطالبوها بديونهم وهي ديون ضخمة، وسحبت الاموال الامريكية منها واصاب المانيا العجز وتفشت البطالة ووصلت الى 6 ملايين عاطل، وحاول الساسة الالمان مواجهة المشكلة دونما نجاح فانتشرت عوامل القلق والغضب بين العمال العاطلين فساروا في مظاهرات صاخبة وخاف الالمان من انتشار الشيوعية وتوالى على السلطة عدة مستشارين اهمهم (فون بابن) الذي حاول كما يقول في مذكراته اقناع الحلفاء بتقليص حجم التعويضات لمواجهة الازمة لكنه فشل واراد الالمان ان يهتدوا الى زعيم قدير ينقذ المانيا فقام فون بابن باقناع الرئيس باستدعاء زعيم الحزب الاشتراكي الوطني (النازي) هتلر ليكون مستشاراً لالمانيا حيث بدأت صفحة جديدة في تاريخ المانيا.

النظام النازي

ليس من اليسير ايجاز الظروف التي أدت الى ذلك التغيير الخطير في المانيا وتوجهاتها التي هددت السلام العالمي بشكل لا مثيل له في تاريخ الانسانية. غير ان في الامكان تبيان لمحات عما حدث مع وجود آلاف البحوث والمراجع والوثائق عن المانيا النازية التي يعود تأسيسها الى ادولف هتلر.

ولد هتلر النمساوي الاصل في 20 نيسان 1899 عند الحدود مع المانيا وتوفي والده وهو في سن صغيرة مما منعه من اتمام تعليمه فذهب الى فينا عاصمة النمسا ملتحقاً باكاديمية فنية وعندما لم يحصل على هدفه بالالتحاق التام بها فانه بدأ يرسم وينقش ويبيع رسوماته البسيطة ليعيش عيشة متواضعة جداً حتى انه ذكر فيما بعد ان الفقر كان صديقه الدائم ولكنه

رغم ذلك صار مولعاً بمطالعة عشرات الكتب وهو في فينا، وكانت الكتب التي طالعها تتناول الاشتراكية الماركسية والكتب التي تهاجم اليهود.. وهكذا خرج من قراءاته تلك بكراهية شديدة للشيوعية ولليهود معتبراً ان الجنس الآري الالماني خاصة هو سيد الاجناس، وقبل نشوب الحرب الاولى توجه الى احدى المدن الالمانية ليكسب قوته من تزيين جدران البيوت وبيع الصور التي يرسمها، وما ان نشبت الحرب حتى ذهب سريعاً اليها بتطوعه في الجيش الالماني عريفاً في فرقة المشاة البافارية حيث قاتل بكفاءة وحصل على وسام الشجاعة لكنه اصيب في اواخر الحرب بغاز سام استخدمه الجيش البريطاني ونقل الى المستشفى بعدما كاد ان يفقد بصره، وما ان شفي واسترد عافيته حتى علم بأن المانيا قد انكسرت وان الامبراطور قد هرب مما اشعره بالغضب والأحباط والتفكير الشديد في الرد على تلك الهزيمة معتبراً ان الرد هو في ضرب الشيوعيين واليهود لانهما خانتا المانيا وهي تحارب وطعنا الوطن من الخلف اضافة الى الرد على الحلفاء الذين اهانوا واذلّوا بلاده وان الطريق الصحيح للرد هو ما أخذ به موسوليني في ايطاليا بحكم القوة لانقاذ البلاد من كابوس الهزيمة.. لقد وجد ان الجيش محطم، وروح الثورة تسري في النفوس، والوطن صريعاً، والحكم بيد الديمقراطيين الاشتراكيين، لذلك صمم على تأسيس حزب على غرار الحزب الفاشي الايطالي.

كان هتلر جاف الطباع، ناقماً على الحياة، يفكر طويلاً في كيفية الانتقام ممن تسببوا في هزيمة المانيا، وساعده صوته الأجش في ان يكون خطيباً بارعاً ومؤثراً وعنيفاً مع حماس واضح واعتزاز قوي بتاريخ المانيا المجيد والثقة المطلقة بامكانية عودتها مجيدة مرة اخرى ومن خلال شعبها الموهوب وباقامة دولة تكون السلطان الذي يجب ان يخضع له الجميع.

وفي احد ايام ما بعد الحرب دخل الى بيت فيه اجتماع ضم بضع رجال لا يعدون على اصابع اليدين واستمع الى احدهم يتحدث عن المانيا بنفس الافكار التي أمن بها هتلر الذي مالبث ان سيطر على الاجتماع واصبح زعيماً او قائداً لتلك المجموعة الصغيرة حيث قرر معهم تشكيل حزب تحت اسم حزب العمال الاشتراكي الوطني الالماني وعرف اختصاراً بـ(النازي) وكان ذلك حوالي عام 1920 وكانت مطالبهم هي توحيد المانيا في ظل حكومة مركزية، والغاء معاهدات الصلح، واعادة المستعمرات الالمانية، والغاء حقوق اليهود الانتخابية، وتأسيس جيش وطني قوي، وامتاز هؤلاء الرجال بوطنية شديدة التطرف وكانوا مصممين على انتزاع السلطة بأية وسيلة وقد نجحوا بذلك في نهاية الامر.

بدأ هتلر يجمع الناس ويخطب فيهم مهاجماً اعداء المانيا وهم الشيوعيين واليهود والرأسماليين والفرنسيين ومعاهدة فرساي وجمهورية فايمر، واثرت خطبه النارية القوية في مشاعر مستمعيه الذين كانوا يكرهون اليهود ويأملون في رؤية زعيم ينقذهم من الهزيمة ويبعث فيهم الأمل في احياء الامة الالمانية، وهكذا بدأ كثيرون ينظمون الى الحزب النازي الذي اصبح له علم وشعار فكان النسر الالماني والصليب المعقوف الذي كان موجوداً في العهد القديم حتى ما قبل المسيحية اذ كان هتلر غير مؤمن بـ(الفضائل المسيحية) بل كان شخصية عجيبة لا تخلو من تناقضات وتأملات وعصبية واضحة حتى في حركاته الى جانب عناد في الخطط وجرأة ونظر ثاقب وقوة ارادة لا تُقهر مع تنبوء سياسي ناجح جداً واختيار موفق للرجال الذين سيعتمد عليهم فكان (غورنغ) الذي اصبح فيما بعد وزيراً للطيران و(غوبلز) الداعية الشهير الذي كان ينظم الاجتماعات الجماهيرية الضخمة مع وسائل دعاية ربما كانت من أقوى ما عرفته اوربا في تاريخها، ثم (هس) الذي صار نائباً لهتلر، وقال له بأن الزعيم لكي يصل الى الاهداف المرجوة فانه يستطيع حتى ان يمشي على آلاف الجثث، والى جانب هؤلاء كان (روهم) الذي لم يكن يتورع عن قتل أي انسان لا يؤمن بخطة النازية واسس مع غيره ومع قائده منظمات مسلحة عرفت بمنظمة العاصفة ومنظمة الصاعقة واختصاراً S.S ثم S.A واخيراً وليس أخراً كانت له شخصية غامضة امسكت بجهاز المخابرات الرهيب وهي شخصية (هملر) مربي الدواجن وقاتل الآلاف من اعداء النازية.

في 1923 واجهت جمهورية فايمر مشاكل كبيرة جداً في الداخل والخارج فتعرضت لمحنة اقتصادية وسياسية ووطنية باحتلال الفرنسيين اقليم الرور وتدهور قيمة العملة والاعلان عن انتهاء المقاومة في الاقليم وما نجم عن المحنة الاقتصادية من مآسي اجتماعية وقد رفضت ولاية (بافاريا) الخضوع والاستسلام ورفض واليها تنفيذ اوامر الحكومة المركزية وراح هتلر يهاجم الجمهورية من صحيفة كان يصدرها هناك في بافاريا، وتطور الموقف بشكل سيء بين الولاية والمركز وشاعت الفوضى فاعتقد هتلر ان الوقت مناسب ليضرب ضربته ويحقق اهدافه كما فعل موسوليني في ايطاليا واستغل اجتماعاً لمنظمات العمال في ضواحي (ميونخ) اوائل تشرين الثاني من ذلك العام بحركة اراد منها الاستيلاء على السلطة في الولاية ثم الزحف على برلين لاسقاط الجمهورية مثل زحف موسوليني مع اعتقال كبار الشخصيات التي كانت تحضر الاجتماع وخلال حركته ايده قائد الجيش الالماني السابق (لودوندورف) وحصل اشتباك بين

الجنود النظاميين ورجال (العاصفة) النازية وانتهت الحركة الى الفشل مع مقتل عدد من اتباع الحكومة واتباع النازي وتم اعتقال هتلر وحوكم لمدة اسابيع عدة حيث حول محاكمته الى (محاكمة النظام الهزيل المستسلم للعدو) وتمكن الرجل خلال المحاكمة ومن خلال حماسته المنقطعة النظير وذلاقة لسانه خطيباً بارعاً ان يأسر قلوب وعقول الالمان وكان مما قاله لرئيس المحكمة ما يفيد بثقة هتلر ان يكون زعيم الامة وليصبح رئيس المحكمة احد مرؤوسيه سائراً وراء الزعيم وعندما اتهمه الحاكم بانه يسعى لكي يكون وزيراً جاء رده بما جعل القضاة يسخرون منه حيث قال بانه يستنكف ان يكتب على قبره انه كان (وزيراً) وتمكن ان يجعل من هزيمته في حركته نصراً بسحره للشعب الالماني من خلال المحكمة واشتهر في كل مكان خاصة عندما قال بأن الجيش الذي يؤسسه الحزب النازي يزداد يوما بعد يوم وسيأتي الوقت الذي تصبح الفصائل كتائب والكتائب الوية والالوية فرقاً وفيالق وحينها سترفرف اعلام المجد الالمانية من جديد وحكم عليه بالسجن خمس سنوات ثم خفف الحكم الى اقل من عام، وفي سجنه ذلك بدأ يكتب ويؤلف ما اعتبره الطريق الى انهاء الذل عن المانيا وبعنوان طويل، لكن (كفاحي) الذي اصبح فيما بعد اهم كتاب في المانيا كلها وحدد فيه هتلر نوع الدولة الالمانية التي ينوي ان يقوم بتأسيسها بعد ان يتولى السلطة، وانطلق في كتابه (المترجم للعربية) بأفكاره في كل موضوع ممكن فمن الثقافة والتعليم الى الفن والادب ومن التاريخ الى العنصرية ومن الحكم البرلماني الفاسد الى انانية اليهود التي دفعت المانيا الى الكارثة مثلما تدفع غيرها الى الكارثة بسببهم كما جاء في كتابه.

وبعد خروجه من السجن راح ينظم العمل دون ارتجال معتمداً على رجاله الاقوياء من قوات الهجوم والدفاع او قوات العاصفة S.S والصاعقة S.S لتنفيذ المهام التي يحددها لهم مع تقسيم البلاد الى 26 قسم مؤسساً في كل قسم خلايا نازية يعتمد عليها في الخطابة والتنظيم المتقن والعمل الدؤوب من قبل الزعيم لاجل الوصول الى السلطة عن طريق الانتخاب لا عن طريق الانقلاب أي بكسب الجماهير التي ستؤيد الحزب النازي عندما تجرى الانتخابات في البلاد، وساهم (غوبلز) مساهمة فعالة في كسب التأييد الشعبي الكبير للنازية ومن خلال (مهرجانات) ضخمة منظمة غاية التنظيم وخاصة في ميوينخ ونورمبرغ وغيرها من مدن المانيا اذ كان الحضور معطفون كأنهم بناء او مجموعة ابنية منظمة حاملين الاعلام النازية والمشاعل منتظرين هتلر لكي يخطب فيهم فيزداد حماسهم الجنوني وهم ينظرون اليه للاعلى رافعين

ايديهم مثله تماماً.. والملاحظ هنا ان اسلوب الاستعراضات الجماهيرية، والمهرجانات الصاخبة اصبحت مثالاً يحتذى به بعد ذلك في اماكن عديدة من العالم بما في ذلك اجزاء من الوطن العربي ايضاً، وهي تهدف الى رص صفوف مؤيدي الحزب، واخافة الاخرين ممن لم يؤمنوا بعد باهداف ومبادئ الحزب، واصبح هتلر زعيم الامة وعرف بـ(الفوهرر).

ازداد عدد منتسبي الحزب النازي بشكل مستمر واثبت الفوهرر انه قادر على اقناع الملايين من الالمان بافكاره بعبارات سهلة وقوية فدخلوا الى الحزب سواء كانوا جنوداً او عمالاً، طلاباً ومحامين، اساتذة واطباء ورجال اعمال ومع السنين اصبح الحزب النازي احد اقوى الاحزاب في المانيا وجاءت الفرصة التاريخية له لاجل الوصول الى الحكم عن طريق الانتخابات مع ان زعيم الحزب لم يكن مقتنعاً بالنظم الديمقراطية البرلمانية، وكانت الفرصة السانحة هي الازمة الاقتصادية العالمية سنة 1929 والتي اصابت المانيا بقوة.

ومن المناسب ان نستعرض ما حدث خلال ذلك العام قبل ان نجد تأثيراته العظيمة في المانيا على تقوية الحزب النازي ووصوله الى الحكم عام 1933.

الازمة الاقتصادية العالمية وتأثيرها على المانيا

نزلت بالمانيا نكبة اقتصادية عام 1923 كما ذكرنا، ثم اعقب ذلك خمس سنوات من الرخاء الظاهري حيث ازدهرت الصناعات، وتم تأسيس المصارف، وشيدت المصانع بفعل القروض الممنوحة لالمانيا والتي بلغت 750 مليون باون استرليني تقريباً وهو مبلغ كبير في وقته لكن ذلك كله اصيب بزلزال عندما حدثت الصدمة المفاجئة في نيويورك عام 1929 بتأثيراتها الكارثية على المانيا شعباً وسلطة حيث سحبت الاموال الامريكية من المانيا على الفور وادى ذلك الى اكبر النكبات على دوائر الاعمال الالمانية حيث اغلقت المصارف ابوابها، وطردت المصانع عمالها، وقلت الاجور والارباح بشكل مزعج ومثير، واضطرت الحكومة الى مواجهة معضلة كبيرة تتمثل في ايجاد عمل لـ(6) ملايين عاطل لا يجدون قوت يومهم فازدادوا سخطاً على اوضاع البلاد وظهرت الاعلام الحمراء الشيوعية مرة اخرى واكتسحت البلاد دعاية بارعة وباهرة جداً ادّاها الحزب النازي بنجاح ساحق وجعلت الالمان يؤمنون بأن الحزب وزعيمه هما القادران على انقاذ المانيا من مصيبتها، فما الذي حدث في نيويورك ووجد تأثيراته المفزعة في المانيا وغيرها من دول اوربا والعالم مثلما يحدث اليوم ايضا في عالمنا الذي نعيش فيه نهاية

العقد الاول من القرن الحادي والعشرين وبعد (80) سنة بالتمام والكمال من الازمة التي حدثت نهاية العقد الثاني من القرن العشرين.

بدأت الازمة العالمية في الولايات المتحدة اولاً بشكل ازمة اقتصادية ومالية ونقدية لم يسبق لها مثال في مداها وخطورتها، وقد بدأت في عاصمة المال نيويورك وفي سوقها يوم 24/تشرين الاول عندما بدأ الذعر عند نقطة انطلاق الازمة التي امتدت الى قسم عظيم من العالم ودامت لسنوات في بعض البلدان وحتى عام 1935 في فرنسا وسويسرا وكانت الاسهم في سوق الاوراق المالية في نيويورك وهو المعروف بـ(وول ستريت) قد ارتفعت بشكل كبير صيف عام 1929 ثم انتشر بين الناس ان الاسعار سوف تهبط مما جعل اصحاب الاسهم يبيعونها بشكل تدريجي ثم بشكل كبير، فاصل الازمة امريكي لان الرخاء الذي ساد امريكا بعد الحرب الاولى كان اصطناعياً ذلك ان رجال الاعمال اعتقدوا ان التوسع في الصناعة ايام الحرب سوف يستمر بعدها وصرح (فورد) احد رجال الرأسمالية الكبار في امريكا بانه لكي تستمر الصناعة وتنمو فانه لابد من خلق حاجات جديدة للمستهلكين، واعطاء اجور عالية للناس وهو ما يؤدي الى قوة شراء متجددة ومتصاعدة.

ان بداية الازمة ظهرت عام 1925 وتصاعدت حتى العام الذي انفجرت فيه فقد حصلت وثبة كبيرة في الاقتصاد الامريكي فترة الحرب العالمية بل وقبلها ايضا عندما زاد المزارعون من انتاجهم وتحسينه لوجود طلبات هائلة بانفتاح اسواق العالم كلها للمحاصيل الامريكية، الا ان عودة الانتاج الاوربي الغربي والروسي جعل الطلب على الانتاج الامريكي يقل فيما ظل على حاله من الزيادة رغم اغلاق الاسواق في وجهه بعدما بدأت المصانع الاوربية تعود الى مكانتها العالمية بعد سنوات من انتهاء الحرب، وتبعاً لذلك انخفضت نسبة الصادرات الامريكية مع استمرار الانتاج مما ادى الى انخفاض اسعار مختلف السلع بعد زيادة المعروض في الاسواق ولم يعد في مقدور المزارعين تسديد ما عليهم من قروض بسبب زيادة الانتاج الى جانب الجفاف، وحاولت المصارف الامريكية انقاذ الوضع الاقتصادي المتدهور عن طريق تقديم القروض لاصحاب المصانع والمشاريع الزراعية لكي تصمد امام الازمة غير ان امتناع المستهلكين في الولايات المتحدة عن شراء الحاجيات غير الضرورية مع انتظار وتوقع انخفاض الاسعار ادى الى حصول الكارثة او ما عرف بالكساد الكبير، وحدثت انفجارات اقتصادية متتابعة انتقلت من بلد الى بلد، وسحب الناس اموالهم من المصارف فافلست، وما لبث الوضع

ان تفاقم في امريكا التي كانت تقوم بدور كبير في حل القضايا الاقتصادية الاوربية وغيرها وقد أدت عملية الاقراض المالية الامريكية الكبيرة لدول في اوربا بعد الحرب الى ايجاد رابطة اقتصادية قوية وميتنة بين اوربا والولايات المتحدة مما ادى الى انتقال الازمة سريعاً من الولايات المتحدة الى اوربا بعد ان توقفت الاولى عن تقديم القروض لدول اوربا بل وبدأت تطالب بتسديد الديون الكبيرة المتراكمة على الاوربيين منذ الحرب، وادى ذلك الى انتقال الازمة فوراً الى المانيا والنمسا المعتمدتان على القروض الامريكية لاعادة الحياة لصناعاتها وللرد على ذلك وتخفيف الازمة سارعت المانيا والنمسا الى التفاوض من اجل انشاء اتحاد كمركي بينهما، والذي عرف بـ(الانشلوس) لكن الدول الغربية لم توافق على ذلك وسحبت اموالها من النمسا فاعلنت المصارف التجارية التوقف عن اداء وظائفها ثم اعلنت الافلاس.

وفي اعقاب حصول (الكساد العظيم او الكبير) راح كل طرف يتهم الاخر بانه المتسبب بالازمة، فالامريكان اتهموا الاوربيين بالتسبب بالازمة بعد معاناة الاقتصاد الاوربي من الحرب فيما رأى هؤلاء ان المتسبب هي الولايات المتحدة لانها لم تظهر استعداداً جدياً لتصفية ديون الحرب التي اثقلت كاهل اقتصاديات اوربا، غير ان هناك مدرسة اقتصادية اقرب في رأيها الى الحقيقة وهي تشير الى تكرار الركود في النظام الرأسمالي، فكل توسع او انتعاش يعقبه ركود قد يمتد ثلاث سنوات وربما اكثر من ذلك بكثير، وهناك من رأى بأن سبب الازمة هو ان فرص الاستثمار في الولايات المتحدة تقلصت بعدما وصل الاقتصاد فيها مرحلة النضوج ولم يعد يتطور لذا حدث الركود، كما علل اخرون السبب في ندرة انتاج الذهب مما كان له اثر سلبي على عملية الانتعاش الاقتصادي التي اعقبت الحرب، ثم هناك من يشير الى انخفاض النمو السكاني اضافة الى النظرية الطبيعية حول التغييرات المناخية التي اثرت بدوره على الانتاج والاموال المتأتية من بيع المحاصيل وعدم قدرة المزارعين ليس فقط على عدم دفعهم الديون بل ومن عدم قدرتهم على شراء المنتجات الصناعية التي توقفت لحصول الكساد.

لقد اثر الركود الكبير على الاقتصاد والسياسة الاقتصادية للدول الكبرى وعلى علاقاتها الدولية وصار للازمة المالية وانهيار النظام المالي الامريكي تأثير بالغ جداً وسلبي على العالم، وقد كان لتلك الازمة مظاهر ونتائج هامة وكان لها انعكاسات على انظمة الدول الهامة ليس في المجال الاقتصادي فحسب بل وفي المجالات السياسية والفكرية والاجتماعية والنفسية، فقد ادى تناقص النشاطات الاقتصادية في الدول الصناعية الى انتشار ذلك الى دول العالم غير المتقدمة

وغير النامية فتناقصت صادراتها التي كانت تحدد مداخيلها وحصل نوع من حرب الاسعار بين الدول المنتجة للمواد الاولية والزراعية لبيع ما لديها من انتاج الى الدول المختلفة حتى ان القمح نزلت اسعاره بشكل لم يحصل منذ قرون. وانخفضت صادرات دول غير نامية بنسب عالية ومثال ذلك الصين من 75-80% والبرازيل ومصر واليونان 60% واستراليا وبلغاريا 50%، وقررت دول اوربا عقد اجتماع في لوزان حيث اجتمعت 36 دولة عام 1933 بعدما تدهورت الاوضاع في اوربا غير ان الولايات المتحدة وهي ذات امنع وانشط اقتصاد في العالم رفضت اقامة اقتصاد دولي مستقر.

أدت الازمة الى ظهور مظاهر كما اشرنا حيث حصل انكماش عظيم في الصناعة، وصعود وهبوط في الاسعار باربع دول اساسية في العالم، الولايات المتحدة، بريطانيا، المانيا، فرنسا ثم من بعدها بلجيكا وهولندا وسويسرا وكندا وكلها تنتج 80% من انتاج العالم صناعياً، واضطر المزارعون الى تقليل اعتمادهم على الآلات، والاسمدة كما قلت الاجور في الريف بسبب تزايد عدد العاطلين وعدم نزوحهم الى المدن لان المصانع متوقفة عن العمل فزاد عدد العاطلين عن العمل، وتميزت الازمة عما سبقها من ازمات في العالم الرأسمالي بانها كانت الاعنف والاعمق والاشمل مع انحلال النظام الاقتصادي وشله تماماً مع ظاهرة افلاس واسعة في كل مكان ووضعت النظام الرأسمالي امام مشكلات لم يستطع السيطرة عليها فيما انهار النظام التجاري في جميع انحاء العالم وصار الاقتصاد العالمي كما وصفه مؤرخ فرنسي بانه (اقتصاد يتسكع في فوضى محزنة) وصار الجميع يسعى للخروج من الوضع الخانق والمأزق الحرج فاستخدمت الدول سياسة الحماية التجارية، وتدخلت الدولة للحد من نشاط رأس المال الخاص ووضعت كل قوتها ونفوذها لتأمين تنظيم النشاط الاقتصادي وقللت الاجور ووضعت رسوم على الواردات والعمل لاجل انقاذ مشروعات الاستثمار الكبرى التي هددها الخطر (كما هو الحال اليوم في 2009) واغلقت المصارف ابوابها وأُنزل سعر الدولار ومنع من الخروج، وتأثر بالازمة كل شيء وكل القطاعات وكل فئات المجتمع وطبقاته وكل العملات بلا استثناء حيث انهار سعرها مثلما انهارت اسعار السيارات بشكل خاص حتى ان فورد شغلت المصانع 3 ايام في الاسبوع فقط.

أدت الازمة الى تغييرات في بريطانيا وفرنسا والنمسا والمانيا فخفضت بريطانيا عملتها ونسبة تعويض العاطلين عن العمل مما أدى الى اضطرابات عمالية ثم حالة عصيان بسبب

تخفيض اجور العاملين في البحر فكان ذلك حدثاً خطيراً جداً في بلد اعتمد لقرون على رجال البحر ثم اتبعت بريطانيا سياسة التفضيل الامبراطوري بشراء وبيع الناتج الى الدول التي لها علاقة بالتاج البريطاني.

في فرنسا أدت الى اضطرابات سياسية خطيرة بفوز اليساريين في انتخابات عام 1932 ووقعت حوادث خطيرة قام بها من طالب حتى باسقاط الجمهورية وصارت الحكومات والانظمة تتساقط سريعاً، غير ان هبوط اسعار المواد أفاد اصحاب الدخل المحدود من موظفين شريطة عدم انزال رواتبهم لكن اصحاب الرساميل الضخمة واجهوا اضراراً بالغة للغاية ثم اصاب الطبقة الوسطى فصاروا فقراء فمثلاً في ايطاليا فان (5000) خمسة الاف شركة زالت من الوجود، وعاش المعلمون، والمحامون، والاطباء في قلق على حياتهم وصاروا حريصين على منع دخول غيرهم الى المهنة، اما الطبقة العاملة فقد تعرضت للحرمان من كل شيء واصابها الهوان والذل والهبوط الاجتماعي ولم تعد قادرة على تهديد احد مع توفر الايدي العاملة في كل مكان وعيشها في شقاء.

وبسبب الازمة وآلامها نقصت المواليد وكثرت الوفيات لقلة الغذاء ورأى سكان البلاد الرأسمالية ان عدداً قليلاً من الاولاد يوفر لهم معيشة افضل ويمنع البطالة عنهم غير ان هتلر وصف تحديد النسل بانه (انتحار قومي) وتوقفت الهجرة الى امريكا.

جعلت الازمة اوضاع اوربا مختلفة فقد ساد القلق مجتمعاتها وشوش افكار ابنائها بتأثير الضائقة المالية وما تلاها من مشاكل جعلت الغربيين يشككون بتطور بلادهم المادي والديمقراطي مع التفكير بامكانية حدوث (صراع هائل قادم) ودمار شديد تسببه حرب طاحنة قد تكون كيمياوية بشعة، وساد جو من التشاؤم في كل البلدان الرأسمالية، فيما راح الشيوعيون يعززون مكانتهم الفكرية لان الاتحاد السوفيتي لم تحصل به أزمة واعاد الماركسيون آلام البش الى تطرف الرأسماليين في حب الفردية والطمع والجشع والاحتكار، فيما رأى اخرون ان (العلم والتكنولوجيا) هما المسؤولان عما حدث من ويلات نزلت بالبشرية وان الحل هو في العودة (للدين) وإنهاء ديكتاتورية الآلة.

كانت الازمة الاقتصادية العالمية التي انتقلت سريعاً الى المانيا، عنصر خير لهتلر وحزبه استغلها بشكل ذكي لمصلحته، فصارت مصائب قوم عند قوم فوائد، ولقد تفوت النازية بعد

الازمة السيئة وازداد عدد النازيين بانتماء افواج لهم مع كل تطور في تلك الازمة من العمال والطبقة الوسطى فيما واجهت الحكومة الالمانية صعوبة كبيرة في محاولاتها حل الازمة وتطويق اثارها السياسية، مما ساعد الحزب النازي على اقناع الشعب بضعف جمهورية فايمر فقد تعرضت الحكومة لنقد شديد وعنيف من شتى الاوساط السياسية الالمانية فاستقالت في اذار 1930 وخلفتها حكومة جديدة تولاها (برونتك) التي ظلت حتى شهر مايس 1932 محاولة ان تنهي الازمة الاقتصادية من خلال ضغط الانفاق مما ادى الى تأثر الخدمات الاجتماعية وهي المعروفة في المانيا منذ عهد طويل، كما انقصت التعويضات والمساعدات للعاطلين وخفضت مرتبات الموظفين والاجور عموماً مع الاسعار ثم توقفت عن دفع التعويضات الى فرنسا واشترت اسهم المصانع وفرضت ضرائب على المنتجات الغذائية المستوردة لدعم الفلاح الالماني وانتاجه، غير ان تلك الاجراءات لم تحقق نتائج سريعة ووصل عدد العاطلين ربيع عام 1932 الى اكثر من (6) ملايين عاطل او ما يعادل نصف الايدي العاملة الالمانية تقريبا انذاك. وزاد السخط العام على رئيس الحكومة (مستشار المانيا) وزادت المظاهرات الشيوعية ثم النازية حيث تم اتخاذ اجراءات ضدها، وتشكلت حكومة اخرى برئاسة (فون بابن) الذي كان يمثل النبلاء ومصالح كبار رجال الصناعة الالمان ولكنه واجه مشاكل جمة منها حدوث اغتيالات قام بها رجال هتلر من قوات العاصفة، ويذكر بابن في مذكراته ان انتخابات جرت قبل وصوله السلطة بقليل وشارك فيها (37) مليون الماني فحصل الحزب النازي على حوالي (14) مليون صوت وصارت له في البرلمان (230) مقعد من اصل (608) وبدأوا يفرضون رأيهم على البرلمان وموقفهم على الحكومة لانهم يمثلون 37% من الاصوات ورفض الحزب بقيادة هتلر منصب نائب المستشار له او لأحد رجاله واصر على معارضة بابن وان يكون هتلر مستشاراً رغم عدم معرفة رئيس الجمهورية (هندنبرغ) له، ومعروف ان الرئيس كان احد ابرز قادة الجيش الالماني في معارك الحرب العالمية الاولى، فيما كان هتلر (عريفاً) في الجيش، وهكذا اخذت صحف هتلر تهاجم الحكومة لاسقاطها خاصة بعدما فشل بابن في اقناع الحلفاء بتقليص حجم التعويضات فيما تعهد هتلر بالغائها،

واستقال بابن وتشكلت حكومة اخرى اواخر عام 1932 وسط مشاكل سياسية واقتصادية عارمة، وعقد بابن اتفاق مع هتلر اوائل عام 1933 للوقوف ضد اخر حكومة في عهد جمهورية فايمر وقرر (هندنبرغ) منح هتلر منصب المستشار صباح يوم 1933/1/30 وهو تاريخ لا تنساه اوربا مطلقاً لانه وضع المانيا والعالم بعدها على عتبة مرحلة جديدة وخطيرة في تاريخ

اوربا.

المانيا بين 1933-1939

استلم هتلر الحكم في كانون الثاني 1933، وشكّل ذلك ضربة قوية للسلام العالمي ذلك ان برنامجه السياسي لم يكن فقط بعث قوة المانيا لما كانت عليه قبل الحرب الاولى وانما قلب الاوضاع القائمة على اساس مقررات مؤتمر الصلح في باريس رأساً على عقب، والغاء بنود معاهدة فرساي الظالمة كما رأها الالمان ثم توسيع رقعة الاتحاد الالماني بما يضمن للعنصر الآري وسائل العيش لانه انقى الاعراق كما كان يؤمن هتلر، وان ذلك العرق (الآري) قام بكل الاعمال الجليلة للانسانية وخلق الحضارة ولكي تصبح الامة قوية فعليها الحفاظ على نقاوة عرقها بالتجانس القومي.. وعندما تسلم المستشارية فان مئات الالوف من انصاره نزلوا ليلاً الى شوارع ميونيخ وغيرها حاملين مشاعل الانتصار حتى الصباح فيما تخوف الشيوعيون واليهود مما حدث ذلك ان هتلر نادى دوماً بانه لا يصح ليهودي ان يكون مواطناً المانياً لذلك لابد من حذف اليهود وتشكك في قصة صلب المسيح لان اسفار العهد القديم (التوراة) مزورة فهي اسفار اليهود كما قال، ولقد أدى موقفه ذاك من اليهود الى فرارهم من المانيا وهجرتهم الى فلسطين مما أدى في النهاية الى نجاحهم في انشاء (اسرائيل).

افكاره اصبحت برنامج عمل لكل الالمان فهو يعمل لأجل استعادة قوة المانيا، واستقلالها، وسيادتها عن طريق تمزيق المعاهدة، وتوسيع حدود البلاد مما سوف يستدعي إراقة الدماء كما قال، ويتطلب ذلك تشكيل جيش قوي جداً بالتدريب والتسليح والعدد، مستخدماً الدعاية من خلال وزيره الكفوء غوبلز وتكرار أفكار بسيطة دائماً ولو يؤمن بها الجميع حتى لو كانت ادعاءات زائفة، وخلال عام واحد من حكمه قضى على جميع النقابات، والاحزاب، والمعارضين حتى من داخل حزبه النازي، وقيدّ الحريات واقام منظمات لخدمة الحزب عسكرية ومدنية للرجال والشباب والفتيان مع صحافة لا تكتب الا ما يشيد بالحزب والقائد في تماثل شبه كامل بالفاشية والشيوعية، وفرض الخدمة العسكرية الالزامية منفذاً ذلك عملياً بعدم الالتزام بتحديد التسلح حتى اصبح عدد القوات 36 فرقة عام 1936 ثم 42 فرقة بعد عامين، وهيأ الاقتصاد للحرب واصبح القائد العام للجيش.

كان هتلر عازماً على ارساء دعائم سلطته الديكتاتورية رغم انه وصل السلطة بالديمقراطية

فكان عليه ان يصفي الخصوم بالاقناع أولاً ثم بالوعود، فالتهديدات، فالعنف والقتل والسجن والتعذيب من عناصر الشرطة السرية النازية (الغستابو)، وبفعل الارهاب واجوانه المخيفة اخذت بعض الاحزاب تحل نفسها طواعية وساد الرعب بين زعمانها ثم حل البرلمان بعدما وجد ان حزبه لا يملك الاغلبية فيه ثم دعا الى انتخابات جديدة جرت في اوائل اذار 1933 فحصل على 288 مقعد من مجموع 647 مقعد لكنه ابعد النواب الشيوعيين ومنح نفسه صلاحيات باصدار قوانين دون العودة للبرلمان لمدة اربع سنوات، وخلال فترة الانتخابات شب حريق بالبرلمان كان واضحاً انه من فعل النازيين غير انهم اتهموا الشيوعيين الذين أبعدوا عن البرلمان كما ذكرنا، وظهر هتلر لاول مرة بلباسه النازي وصليبه المعقوف على ساعده ووجد ارضية خصبة لدى الشعب الذي لم يقبل عن اقتناع بالديمقراطية بعد الحرب التي لم يؤمن احد من الالمان انهم خسروها، لان المانيا يجب ان تكون (فوق الجميع وسيدة الجميع) واعتقدوا ان ذلك يمكن تحقيقه من خلال هذا الرجل القائد الذي حول المانيا الى دولة معبودة بحزب واحد وقائد واحد ويذوب الافراد في الدولة لا في الدين ولا في غيره كما منع أي نوع من الحكم الذاتي في الولايات الالمانية باقامة مركزية مشددة بالحكم من (برلين) فقط والسيطرة حتى على التجارة.

ولان المانيا بحاجة الى انتزاع سيادتها بالقوة فان هتلر أولى اهتماماً خاصاً بضباط الجيش وعسكرة المجتمع، وصارت خطاباته الحماسية جزءاً من حياة الالمان الى جانب استعراضاته العسكرية الهائلة والمنظمة للغاية رافعاً يده بشكل دائم تحية للقوات الالمانية جاعلاً من كتابه (كفاحي) ابرز ما يجب على الالمان قراءته وتعلمه وحفظه حتى صار اجمل هدية يقدمها شخص لاخر في مناسبة سعيدة.

في آب 1934 مات رئيس الدولة (هندنبرغ) فقام هتلر بالاستيلاء على رئاسة الجمهورية ايضا الى جانب احتفاظه بالمستشارية (رئاسة الحكومة) وقيادة الجيش والحزب فصار (أقوى حاكم في العالم).

وفي نفس العام قامت القيادة الالمانية بعملية كان الهدف منها تقوية الجيش النظامي على حساب الجيش الشعبي الاكثر حماساً ويقوده صديق هتلر المقرب (روهم) وقد أعرب هتلر عن اقتناعه بضرورة تسليح المانيا من خلال الجيش النظامي لكي يجعل المانيا في منزلة القوى العظمى عسكرياً وهكذا نفذ في حزيران من ذلك العام بنفسه عملية تطهير في الجيش الشعبي

بقتل المئات منهم وعلى رأسهم قائدهم روهم، لان هتلر لم يكن يريد التضحية بولاء قادة الجيش النظامي، وأسس معسكرات اعتقال ضد المعارضين المحتملين ممن تلقى الشرطة السرية القبض عليهم وهو مثل موسوليني جعل كل انشطة المجتمع في خدمة الدولة والحزب وبشكل أصح في خدمة الزعيم (الفوهرر).

وسار قدماً في سياسة القوة داخلياً وخارجياً معتمداً على تسليح المانيا وتوحيدها مع النمسا ودمج الالمان في كل اوربا بها (بالمانيا) والقيام بالتوسع في اوربا ثم العمل على تحطيم معاهدة فرساي والانتقام ممن تسببوا في هزيمة المانيا، غير انه لم يكن راغباً في قتال بريطانيا بل العكس تماماً خاصة وانها بلد حضاري متقدم مثل المانيا وانها وقفت ضد المطالبة بعدم تسلح المانيا، واخذ هتلر يهيء الظروف للعمل العسكري لان المدة المتاحة لتحقيق الاهداف قصيرة وكان يرى انه اذا دخل الحرب وهو في الخمسين من عمره افضل مما يكون في الستين، وخدع بولندا بالاتفاق معها ثم اظهر الصداقة والود مع موسوليني حيث أدى ذلك الى زيارات متبادلة ثم اعلان اتفاق محور برلين- روما في ايلول 1937 والذي استمر حتى نهاية النظامين والزعيمين في شهر واحد عام 1945، وهو اراد في الاصل من حركاته عزل فرنسا مرة اخرى لانه كان يخطط لضم النمسا وجيكوسلوفاكيا الى بلاده.

في عام 1935 استردت المانيا منطقة السار عن طريق استفتاء اشرفت عليه عصبة الامم فتعززت مكانة المانيا في اوربا واعلن هتلر عن اقامة قوة جوية رغم معاهدة فرساي لكن المغامرة الكبرى جاءت من هتلر في 7 آذار 1936 عندما اقدم على اجراء لم يوافقه عليه قادته العسكريون والدبلوماسيون وهو (تسليح الراين وكسر طوق فرساي) ذلك ان الراين كانت منطقة منزوعة السلاح عند النهر وكانت تلك نقطة انطلاق المناورة الهجومية الالمانية فهي نقطة مزدوجة، اذ فتحت الباب لنجاح المانيا ولدمارها ايضا وكانت الفرصة الاخيرة او المناسبة الاخيرة لايقاف المانيا دون حرب عظمى فقد اصبح في مقدورها تحصين المنطقة دونما اعتراض او خوف وبناء خط دفاعي متين هو خط (سيجفريد) حيث وضعت فيه قوات محدودة لكي تقوم بعمل خطير ضد النمسا وجيكوسلوفاكيا، وقد أضاع الحلفاء فرصة إجبار هتلر على التراجع عن قراره، وفي هذا الصدد تشير الوثائق التي حصل عليها المؤلف الامريكي (وليم شرر) الى ان برلين اصدرت بياناً في حينه حذرت فيه الجميع من (عواقب ورد فعل قوي) اذا ما واجه القرار الالماني مقاومة الحلفاء فما كان من فرنسا الا ان قبلت مرغمة على القرار الا انه بعد

انتهاء الحرب الثانية ومحاكمة كبار مسؤولي المانيا تم توجيه سؤال الى احدهم عن رد الفعل القوي الذي كانت المانيا ستفعله لو ان فرنسا تحركت عسكرياً بعد القرار الالماني بتسليح الراين فكان الرد مدهشاً من المسؤول عندما قال (كنا سوف ننسحب) ولاصبحت المانيا في وضع حرج مع تعرضها للاهانة وللردع وضعف القيادة.

ومع ذلك العمل الجريء والهام جداً والذي كان بمثابة مقدمة اولى لنشوب الحرب العالمية الثانية، فان هتلر اصبح قوياً، وراح يخطط لضم النمسا وادخالها في (جسم الرايخ الالماني) وكان يفتتح كل مناسبة لكي يخطب بحماس حتى في خلال اقامة الالعاب الاولمبية في برلين عام 1936 لكنه كان قلقاً من موقف ايطاليا، غير ان قيام موسوليني باحتلال الحبشة نال تأييد هتلر الذي ضمن الموقف الايطالي مما عزل النمسا التي اخذت تشهد منذ مطلع عام 1938 اضطرابات داخلية كان للنازيين دور في اثارتها وسط موقف صارم من مستشار النمسا انذاك (شوشنغ) الذي لم يجد دعماً من بريطانيا وفرنسا ولا ايطاليا وبعد اتصالات ومناورات وتهديدات قام هتلر بغزو النمسا في اذار من ذلك العام دون أية مقاومة ودون أي تحرك ضده، وهكذا حقق هدفاً اخر من اهدافه التي ذكرها في كتابه كما اصبح في نظر الالمان رجلاً عبقرياً موهوباً بكل معنى الكلمة.

وجاء الدور هذه المرة على جيكوسلوفاكيا وهي الدولة التي تم انشائها بعد الحرب العالمية الاولى وموقعها في وسط أوربا واعطى هتلر للعمليات الواناً فهناك العملية البيضاء والصفراء والخضراء محدداً تواريخ يتمسك بها وينفذها في وقتها وفقاً لتخطيط متقن جداً لم يصل اليه كبار قادة الجيش حيث كان عدد منهم لا يستطيع ان يُظهر امتعاضه من انه ينفذ أوامر (عريف) فيما الضباط برتب عالية جداً.

كانت جيكوسلوفاكيا تضم اقليماً يعرف بـ(السوديت) وفيه عناصر من اصل الماني، وقد اعتمدت الدولة في سلامتها وصيانة أمنها واستقلالها على بريطانيا وفرنسا لمساندتها اضافة الى انضمامها الى اتفاقيات دفاعية مع دول شرق اوربا، غير انها وجدت نفسها عام 1938 معزولة في مواجهة المانيا مباشرة.

اخذ هتلر يشجع النازيين في أقليم السوديت على القيام باعمال سياسية لاثارة الاضطرابات والمطالبة بحق تقرير المصير وشعرت حكومة (براغ) بخطورة موقف فرنسا وبريطانيا الدفاعي

من نشاطات هتلر التوسعية ومخاطر تحالف ايطاليا مع المانيا وتقارب الاخيرة من بولندا وهنغاريا ورومانيا مما اشعر الجيك بالقلق والعزلة امام هذه القوة الصاعدة بسرعة.

بدأ هتلر عمله بمشاورات مع رجال الخارجية والدفاع خريف عام 1938، وكان الراي استخدام الطرق الدبلوماسية لتحقيق الاهداف في جيكوسلوفاكيا، فيما وجد هتلر ان الوقت لا يتسع للعمل السياسي لانه خطط لدخول حرب في اوربا بداية الاربعينيات، غير انه اجتمع بمسؤول بريطاني وفهم ان بإمكان المانيا القيام بعملية محدودة لا تؤدي الى حرب واسعة وهكذا اعلن في 12 ايلول 1938 ان المانيا تريد حق تقرير المصير لالمان السوديت مما جعل براغ في حال من التوتر الشديد لان هتلر حدد أياماً لها لتنفيذ ما يريد، وحاول رئيس وزراء بريطانيا استرضاء هتلر لكنه تصلب في موقفه ولم يعد يريد منح السوديت حق تقرير المصير وانما اراد ضم جيكوسلوفاكيا كلها، وعند هذه النقطة تحرك موسوليني ودعا الى مؤتمر يعقد للنظر فيما يطلبه هتلر ويضم رؤساء الدول الكبرى الاوربية، واصر هتلر ان يكون المؤتمر في مدينة (ميونيخ) الالمانية وبسرعة، وهكذا عقد المؤتمر في 9/29 وتقرر اعطاء جزء من جيكوسلوفاكيا الى المانيا، وأمر هتلر سكان المنطقة المعطاة له بأن يغادروها دون ان يأخذوا أي شيء منها فيما بدأ البولنديون والمجريون يطالبون ايضا باعطائهم اجزاء من جيكوسلوفاكيا.

كان مؤتمر ميونيخ دليلاً على عبقرية هتلر ومخططاته المنظمة جداً فهو يضرب ضربات سياسية تؤدي الى انتصارات سريعة دون خسارة لجندي الماني واحد واصبح في مركز قيادي نادر بامتلاكه السطوة والنفوذ محققاً بالمناورات السياسية الباهرة، والمغامرات الجريئة ما تعجز الجيوش عن تحقيقه بالقوة المسلحة مستغلاً ضعف العلاقة بين خصومه في اوربا احسن استغلال بانياً تحالفاً قوياً مع ايطاليا واسبانيا وهنغاريا واليابان الى جانب سرعة بناء قواته المسلحة وحماسة الشعب في مقابل التراخي والتردد والضعف لدى خصومه في اوربا.

وقد خطب رئيس وزراء بريطانيا امام البرلمان في لندن بعد عودته من المؤتمر قائلاً لشعبه (لقد جلبت لكم السلام مع الشرف) فكان رد (تشرشل) السياسي البريطاني المعروف رداً قوياً حين قال موجهاً كلامه لرئيس الوزراء (لقد كان على بريطانيا وفرنسا ان تختارا بين الحرب والعار، ولقد اختارتا العار ومع ذلك فستقتحم الحرب نفسها عليهما) وصحت نبوءته.

وفي اعقاب ميونيخ الذي كان نصراً دبلوماسياً باهراً لهتلر فانه تشجع اكثر في المضي قدماً لتحطيم مقررات معاهدة فرساي واخذ يشدد الضغط على ما تبقى لحكومة براغ من

اراضي طالبا من رئيسها (بنيش) ان تخرج بلاده من عصبة الامم لكن الرحل استقال وحل محله (هاشا) الذي واجه مشكلة مع سياسي متمرد في سلوفاكيا مما جعل الاخير يستنجد بهتلر الذي دعا اليه الرئيس الجيكي الجديد (هاشا) لزيارة برلين وفي عملية مسرحية عجيبة تم وضع هاشا في غرفة مع اعطائه وثيقة ليوقعها ولم تكن الا (تسليم) بلاده الى هتلر عن طيب خاطر لكي تصبح ولاية المانية، وما لبث جنود هتلر ان دخلوا العاصمة براغ في اذار 1939 ومحيت الجمهورية من الخارطة.

لكن العمل الالماني كان خطيراً في الموقف الدولي واحتجت الدول الكبرى الاوربية مع الولايات المتحدة على ذلك العمل وبدأت بريطانيا مع فرنسا العمل المشترك لمقاومة اعتداءات هتلر وخاصة بولندا، واخذت فجوة الخلافات بين المانيا وكلا من بريطانيا وفرنسا تتسع، وخطب هتلر منددا بفرض الدولتين التجنيد الالزامي معدداً الدول التي تعاني من استعباد الانكليز والفرنسيين والامريكيين ذاكراً المغرب العربي وفلسطين ثم حمل حملات النارية ضد بولندا وبدأ منذ ذلك الوقت ما وصفه احد مؤرخي تلك الفترة بـ(تسليط الحرارة على بولندا) واظهرت الوثائق الالمانية بعد الحرب الثانية بأن هتلر وضع مخططاً كاملاً لمحاربة بولندا كان في غاية الدقة حتى بتحديد يوم الهجوم ولاجل ذلك بدأ نشاطاً واسعاً جداً لتحقيق هدفه سواء في المجال الحربي واعداد السلاح لهذا الغرض، او في المجال الدبلوماسي لعزل بولندا قبل مهاجمتها رغم انه كان في اوقات محددة يزيد من حديثه عن السلام، فيما هو يعمل بكل سرعة وقوة وسرية لاشعال حرب عالمية ماحقة.

استعدادات المانيا لمهاجمة بولندا

أجلت اتفاقية ميونيخ موعد اعلان الحرب العالمية الثانية عاماً كاملاً، لكنه كان عاماً مليئاً بالمخاوف والتهديدات، والازمات ودون ان تؤدي الاتفاقية الى تغيير سلوك هتلر ومخططاته التوسعية مثلما لم تغير الاتفاقية كثيراً من الخمول في المسلكين الفرنسي والبريطاني رغم علمهما بأن ميونيخ كانت نصراً دبلوماسياً مؤزراً لهتلر تمكن من خلالها ضرب معاهدة فرساي مرة اخرى في مقابل خوفهما من حرب ضده لوقفه عند حده وهو خوف ليس بين الزعماء، فقط بل بين الناس في البلدين وكرههما للحرب.

انتظر هتلر بعد نصره في ميونيخ، انتظر الاحداث لتمده بالنجاح في المستقبل ونجح كما

اشرنا في تصفية جيكوسلوفياكيا لكن الراي العام البريطاني لم يقبل ذلك العمل الظالم الذي قام به هتلر متجاوزاً الحدود وجاعلاً كلماته غير موثوق بها وانه يجب مقاومة اية محاولة للسيطرة على العالم بالقوة، كما اعتقد سياسيون ان اية اتفاقيات مع هتلر لا قيمة لها دائماً ويجب العمل لردعه بدل استفزازه، ورغبت بريطانيا في اصدار بيان للامن الجماعي على ان توقع عليه اضافة لها كل من فرنسا والاتحاد السوفيتي وبولندا.

اعترضت بولندا على ذلك نظراً لرغبتها في خلق توازن بين الاتحاد السوفيتي والمانيا الدولتان القويتان على حدودها مع اصرار بولندا على بقاءها في دانزنغ الميناء الهام الذي اعطي الى بولندا وفقاً لاتفاقية فرساي وكانت بولندا في وضع تفاوض مع المانيا واحتمال الفشل قائم وفي اختيار الانكليز لبولندا خسروا الاتحاد السوفيتي كما سنبين لاحقاً مما كان له اخطر النتائج على العالم.

وفي اواخر اذار 1939 اصدرت لندن بياناً يضمن حدود بولندا ويعدها بتقديم العون الى جانب باريس، وأدى البيان الى تعجيل هتلر في حل المشكلة مع بولندا بالقوة واخذت صحف المانيا تشن هجمات شديدة ضد البولنديين مطالبة بوضع نهاية للارهاب الذي يلقاه البولنديين من اصل (الماني) ثم تقدم هتلر الى الحكومة البولندية مطالبا إياها باعادة مدينة وانزنغ وما حولها من ممر بولندي الى المانيا، ثم سلط على البولنديين حرب اعصاب مخيفة منذراً اياهم بالهلاك والدمار اذا لم يوافقوه على مطالبه، وكان الالمان لا يتمكنون من الوصول الى بروسيا الشرقية (شرق المانيا) الا عن طريق سكة حديد قطار يسيطر عليها البولنديون مما يزعج الالمان جداً، وعندما شعروا بالقوة بدأوا مطالبهم بانهاء هذا الوضع وكان بامكانهم انهائه بالقوة والسيطرة على الممر غير ان موقف فرنسا وبريطانيا القوي وتحذيرهم المانيا من أي عمل عسكري جعل هتلر يخطط للمدى البعيد في هذا الشأن.

في صيف عام 1939 أبدى موسوليني تخوفه من قيام هتلر بهجوم على بولندا لان ايطاليا ليس مستعدة للحرب، غير ان هتلر استمر في مخططه الرامي الى مهاجمة بولندا في الخريف اعتقاداً منه ان بريطانيا وفرنسا لن تدخلا حرباً من اجل بولندا.

خلال ذلك كان لموقف الاتحاد السوفيتي اثر مهم في تطور الاحداث وقد حاولت الدولتان المذكورتان الوصول الى اتفاق مع الروس بشأن بولندا لكنهما لم يتمكنا من اعطاء الروس ما

طلبوه في منطقة بحر البلطيق واستغل هتلر تعثر المفاوضات بين الروس والفرنسيين والانكليز واتجه الى التفاوض مع الروس حيث جرى الاتفاق الخطير في 23/اب/1939 بينهما مما ادى الى اطمئنان هتلر من الجانب الروسي لشن الحرب ضد بولندا مع اعطاء الروس قسماً من بولندا.

ومع توقيع الاتفاق سارت اوربا نحو الحرب وحاول كل من رئيس وزراء بريطانيا ورئيس وزراء فرنسا تحذير هتلر من القيام بحرب دموية لا يمكن لاحد ان يتنبا بتطوراتها الخطيرة، لكن هتلر زاد من دعايته القوية ضد بولندا وبدأ يبحث عن مبرر لاجل شن الهجوم وهكذا اطلق دعايته بشأن هجوم مفترض من جنود بولنديين على دار اذاعة المانية عند الحدود ومقتل عدد من الالمان فثارت ثورة هؤلاء وصمموا على الثأر لقتلاهم، غير ان ما قيل بعدئذ لم يكن الا تمثيلية بارعة قام بها الالمان.

وفي الاول من أيلول 1939 انتهى عهد السلام في اوربا والعالم بقيام الالمان صباح ذلك اليوم باجتياح بولندا.

7

الفصل السابع

الحرب العالمية الثانية تطوراتها ونتائجها

بدأت الحرب العالمية الثانية في الاول من ايلول 1945 عندما انطلقت الجيوش الالمانية الهائلة نحو اهدافها المرسومة، وظلت الحرب قائمة حتى ايار / مايو من عام 1945 في واحدة من اشد الحروب فتكا وتدميرا وألما ودموية في تاريخ البشرية، واكثرها نفقة، واوسعها نطاقا حيث شملت القارات فيما عدا امريكا الجنوبية حتى صار العالم ساحة واسعة جدا للنزال والقتل، واكرهت جميع الدول على تحمل آثارها بدرجة كبيرة او صغيرة بما في ذلك بلداننا العربية في المشرق والمغرب .

ومثلما عالجنا اسباب الحرب العالمية الاولى فمن الاوفق التطرق الى الاسباب التي ادت الى نشوب الحرب العالمية الثانية، ولعل من الاسباب الوجيهة هي تلك المعاهدة التي فرضها الحلفاء على المانيا بعد الحرب الاولى (معاهدة فرساي) التي سببت الما وحقدا وغضبا لدى الالمان وخلقت شعورا كبيرا بالمرارة عندهم ورغبة عارمة للانتقام ممن وضعوها، والعمل اولا على التصدي لبنودها المجحفة بحق المانيا والغائها عمليا وبالقوة اذا لزم الامر كما فعل النازيون باستخدامهم اساليب عنيفة لالغائها، فقد انتهت مشكلة التعويضات بايقافها والغائها، ولم تعد اوربا تلح على مسألة تسلح المانيا وخاصة بعد وصول هتلر للسلطة عام 1933 حيث اعاد تسليح الراين وسكوت الحلفاء عن اجرائه ذاك كما وحد المانيا مع النمسا وقام بحماية الالمان في احد اقاليم جيكوسلوفاكيا ثم ضمهم الى المانيا وقامت بريطانيا بتهدئة المانيا في ميونيخ، لكن هتلر ومن معه ظلوا يحبذون الثأر والانتقام .

من ناحية اخرى فان المانيا اخذت تطالب بتغيير الواقع القائم في العالم من حيث تقسيم النفوذ والمستعمرات مؤيدة في ذلك حليفيها في اليابان وايطاليا مما قرب من فرص اندلاع نزاع مسلح الى جانب التقاء المصالح والافكار الاستبدادية في انظمة اليابان وايطاليا الفاشية والمانيا ورغبة تلك الانظمة جميعا في العدوان مما تسبب في الحرب، اضافة الى ان هتلر لم يكتف باستعادة ميناء داننزغ البولندي اذا كان راغبا في استعادة حق: وانما احتل بولندا مع وجود رأي يشير الى انه لم يكن راغبا في اثارة حرب واسعة النطاق لتشمل اوربا الغربية وروسيا فيما راى اخرون العكس وانه كان يعمل لاجل السيطرة على العالم من خلال السيطرة على اوربا لتصبح (المانيا فوق الجميع) ويمحو بذلك عار الهزيمة في الحرب العالمية الاولى اضافة

لحقده الدفين على الاتحاد السوفيتي او بشكل ادق على الشيوعية وامله في سحقها وانهائها رغم اتفاقه مع استالين في اب 1939 في مناورة منه لخداع الروس، ومما لاشك فيه ان شعور هتلر بقوته الطاغية غير المسبوقة ونجاحه الباهر في تحقيق اهدافه دون خسائر في النمسا وجيكوسلوفاكيا قد اعطاه ثقة عالية جدا بالنفس وامن بقدرة المانيا على تحقيق مكاسب اخرى كثيرة اما بالتلويح بالقوة او باستخدامها اعتمادا على خمول الدول الاخرى وعدم تحركها ضده لا في الارض ولا في عصبة الامم التي عجزت عن حل اية مشكلة والحفاظ على السلام في العالم وهو اهم عوامل انشائها فلم تستطيع تحقيق نزع شامل كامل للسلاح ولامنعت اليابان من احتلال منشوريا في الصين عام 1931 ولا فعلت شيأ ضد ايطاليا عندما اعتدت على الحبشة والبانيا وليبيا، وكان من اهدافها صيانة الامن وتوثيق التعاون بين الدول من خلال تشجيعها على عدم اللجوء الى القوة لحل مشاكلها، واحترام قواعد القانون الدولي، واحترام الالتزامات التي تنص عليها المعاهدات الدولية، والعمل من اجل اقامة علاقات طيبة بين الدول على اساس العدل، ولاجل فرض السلم وفض المنازعات تشكل مجلس العصبة وكان فيه دول دائمة العضوية هي الدول الكبرى، واخرى يتم اختيارها لمدة محددة (مثل مجلس الامن في هيئة الامم المتحدة) وكان عددهم 11 عضو، وتمتع المجلس بصلاحية المحافظة على الامن العالمي بالطرق السلمية او باللجوء الى العقوبات الاقتصادية او العسكرية، لكن العصبة فشلت لعدم انضمام كافة الدول المؤثرة اليها وسيطرة الاوربيين عليها، وربط عهدها باتفاقيات الصلح لعام 1919، وترددها في اتخاذ مواقف حازمة وشجاعة، وفشلها في منع نشوب الحرب عام 1939.

ومن الاسباب الاخرى للحرب كما يراها البعض هي تلك السياسة اللينة الهينة التي اتبعتها بريطانيا خاصة تجاه المانيا مما دفع فرنسا هي الاخرى الى السير في ركاب بريطانيا في استرضاء هتلر من اجل التهدئة ومنع نشوب الحرب وعدم اتخاذهما سياسة حازمة حاسمة منذ بداية عهد النازية في المانيا والمبادرة الى وضع خطة عمل ضدها وهي في بداية ثورتها على فرساي وبنودها وخاصة عند قيام هتلر بتسليح الراين في 1936 وهو في بداية قوته اذ كان بالامكان زجره وهزيمته لكنهما تقاعسا عن ذلك مما جعله يشعر بالاطمئنان الى انهما لن يحارباه، وزاد من ثقته بنفسه وثقة الالمان به بشكل اخذ يتسع مع كل فوز يحرزه فيجعله اكثر ثقة وغرورا وطمعا بالمزيد، بل ان بريطانيا وفرنسا حثتا زعماء جيكوسلوفاكيا على الخضوع لمطالبه من خلال مؤتمر ميونيخ وهذا مازاده تصميما على العمل لكسب اخر في بولندا دونما خوف من الحلفاء.

ومن الاسباب الاخرى التي يمكن ذكرها لنشوب الحرب الثانية ذلك الموقف الغريب من ستالين الذي وقع ميثاق عدم الاعتداء مع هتلرعام 1939 بعكس ماكان متوقعا بان يتحالف مع بريطانيا وفرنسا ضد اطماع هتلر المعادي الشديد للشيوعية وللاتحاد السوفيتي. غير ان الروس زعموا فيما بعد انهم وقعوها لكسب الوقت من اجل اعداد البلاد لمواجهة غزو الماني اكيد لبلادهم ولاجل ان تتلقى فرنسا واوربا الغربية الضربة الالمانية القوية الاولى لاان يتلقاها الروس، فيما الوقائع تدل على وجود مساومات واتفاقات بين الروس والالمان لاقتسام بولندا.

احتلال بولندا

مع بدء الهجوم الكاسح للجيش الالماني تنفيذا للمخطط الموضوع قبل الاول من ايلول. فان العاصمة وارشو اضحت تحت القصف الجوي خلال الساعة الاولى من الهجوم مما جعل المدنيين لاول مرة في التاريخ يعانون من الحرب مثلهم مثل الجنود في الحدود والخنادق واراد هتلر ان تكون الحرب ضد بولندا خاطفة وسريعة مدمرة شارك فيها الجنود بمئات الالوف ومعهم مئات الدبابات والمدافع والطائرات تدعمهم بقوة نارية لم ير العالم لها مثيلا من قبل. وجاء الهجوم دون اعلان الحرب بصورة رسمية، وتمكنت اعداد ضخمة من الطائرات الالمانية ان تدمر 400 طائرة بولندية خلال ساعات فقط من بدء الهجوم العظيم الذي قامت به (55) فرقة عسكرية، وانزلت الطائرات اضافة لذلك خرابا تاما بكل المدن البولندية في عملية يبدو فيها الانتقام الشامل واضحا فتحطمت معنويات الجيش البولندي الذي كان بعضه يقاتل جنود هتلر بالخيول تواجه المدرعات القوية جدا والفتاكة.

لم تمض الايام قليلة الا وكانت (دانزغ) والممر البولندي قد اصبحت في يد الالمان، واضطرت الجيوش البولندية المبعثرة للتسليم وظلت العاصمة وارسو تدافع عن نفسها لكنها استسلمت في 9/27 وانتهت مقاومة بولندا بعدما تمكن هتلر بوسائل الحرب الحديثة وجودة الاعداد التي وصلت حدا كبيرا من الكمال بلغ صيته الى ابعد الحدود وكتب عنه الكثير في التاريخ ومآثر الالمان العسكرية واداؤهم المرموق في الحروب بلغ ارقى درجة من درجات التفوق العسكري حتى وهم في حالة الدفاع بعد سنوات من الحرب فكانت فرقهم المقاتلة كفوءة الى الحد الذي جعل كل فرقة تعادل ثلاث فرق من اعدائهم مع استمرارهم بالتفوق القتالي على غيرهم بنسبة 20ـ30% موقعين في صفوف اعدائهم اصابات اكثر بكثير مما اوقعه الاعداء بهم

سواء كانوا بريطانيين او امريكيين او روس حيث كان التفوق الالماني بالنسبة للسوفيت فيما بعد مايقارب 200% وكانت فرقة المانية واحدة قادرة على الدفاع وايقاف سبع فرق سوفيتية.

كانت حملة بولندا اول مناسبة ظهرت فيها طبيعة التفوق العسكري الالماني امام العالم الذي كان مذهولا مما يحصل على ارض المعركة التي اسموها (بالحرب الخاطفة) بسبب السرعة والمهارة العسكرية المتفوقة في اسلوب جديد تماما عن اساليب الحرب العالمية الاولى وما قبلها، وقد فاجأوا البولنديين تماما باختراق اولي للحدود بمجموعات قتالية من الدبابات والمشاة المدرعة بسرعة وتحت غطاء نيران كثيفة من المدفعية والطائرات المنقضة ثم تقوم مجموعات قتالية ضخمة بالاقتحام لتدمير اية قوى معادية امامها، وعندها يتم استثمار السرعة في التقدم والاستفادة من الاتصالات اللاسلكية المتفوقة بكل ما تستطيعه القوات.

كان التاكيد من القادة العسكريين الالمان لجيوشهم الكبيرة العدد ان يحرصوا على الجرأة في الهجوم مع السرعة وقوة النيران لتحقيق افضل النتائج باسرع وقت بحيث لايستطيع العدو ان يستعيد قواه ووعيه او يرسل قوات احتياط الى الجبهة المخترقة مع الحفاظ الدائم لوصول الامدادات الهائلة للقوات الالمانية من خلال طرق منظمة غاية التنظيم وخاصة سكك الحديد، واستخدام احدث ماانتجه العلم والتكنولوجيا من اجهزة في كل المجالات... المواصلات... الاتصالات... الذخائر... العدد... الخ.

تم بهذا الاسلوب العالي المستوى تدمير الجيش البولندي خلال اسبوعين رغم انه وضع امام الالمان 800 الف رجل تقريبا امام 55 فرقة المانية تعدادها حوالي مليون وربع المليون رجل استخدمت (2000) دبابة في اعلى استخدام للدبابات في الحروب حتى ذلك الوقت.

وفيما كانت القوات الالمانية تتوغل في بولندا شعر الروس بالحرج لانهم لم يتوقعوا ان تتقدم تلك القوات بهذه السرعة لينفذوا الاتفاق المبرم بين ستالين وهتلر، وهكذا بدات القوات السوفيتية في 17 ايلول زحفها على بولندا من جهة الشرق بتبريرات عدة، وخلال يومين التقت القوات المهاجمة مع بعضها وانتهت كل مقاومة لبولندا دون ان تقدم لها فرنسا او بريطانيا اية مساعدة رغم الحاحها الشديد واستولى الاتحاد السوفيتي على بولندا الشرقية ومساحتها 77 الف كلم2 وبسكان عددهم 13 مليون نسمة فيما استولت المانيا على مناطق في بولندا الغربية بمساحة اقل من المساحة التي استولى عليها الروس وبسكان يصل عددهم الى 22 مليون نسمة.

في الثالث من ايلول وردا على العدوان الالماني على بولندا اعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب ضد المانيا دون ان تقوما باية اجراءات عسكرية ضدها فيما عدا قيام فرنسا بتعزيز دفاعاتها في خط (ماجينو) وشن غارات محدودة ضد مواقع المانية حدودية، فيما نقلت بريطانيا بعض من قواتها الى فرنسا عسكرت عند الحدود مع بلجيكا.

وفي اعقاب الانتهاء من احتلال بولندا لجأ الاتحاد السوفيتي الى التوسع عند بحر البلطيق في جمهوريات صغيرة هي (استونيا ولاتفيا ولتوانيا) ثم مالبث ان هاجم (فنلندا) التي قاومت الروس اربعة اشهر قبل ان تستسلم للروس في اذار 1940، وبسبب مقاومتها اعتقد هتلر ان كفاءة الروس العسكرية ليست جيدة وهو ما شجعه فيما بعد على مهاجمة الاتحاد السوفيتي اعتقادا منه انه ضعيف عسكريا.

في الجبهه الغربية كان هناك ماعرف بـ(الحرب الصامته) اذ لم تهاجم المانيا احدا فيما ظلت القوات الفرنسية محتمية بخطها الدفاعي حتى ملّ الجنود من وضعهم وفقدوا الثقة في زعمائهم السياسيين وقادتهم العسكريين، وظل كل شيء هادئ هناك مع وجود حيرة وترقب لدى الجميع مع اعتقاد هتلر ان تفوقه العسكري يضمن عجز الحلفاء عن مجابهته فيما اراد هؤلاء كسب الوقت لتهيئة القوات الكافية لمواجهة الالمان.

في البحر تمكنت الغواصات الالمانية من ايقاع خسائر كبيرة بالبحرية البريطانية في وقت مبكر جداً من بداية الحرب، وتمكن ضابط الماني ان يخترق الدفاعات البحرية البريطانية ليصل الى قاعدة (سكاباولو) واغرق سفناً عدة وقد غرقت اثنتان من حاملات الطائرات الضخمة البريطانية والمدمرة الشهيرة في حينه (رويال اوك)، لكن الانكليز سادة البحار ارادوا منع وصول امدادات الى اعدائهم الالمان من الخارج مع القلق من أي تواجد الماني في النرويج الواقعة في شمال غرب اوربا مما يؤدي الى عدم احكام الحصار حول المانيا نظراً لطول الممر الماني حول النرويج (800 ميل) لذلك عزمت بريطانيا على منع الالمان من الاقتراب والاستفادة من الحديد الوارد من السويد عبر النرويج ووضع الانكليز قوة لهم في ميناء (نارفيك) النرويجي لاتخاذها قاعدة بريطانية تحرم الالمان من فوائدها.

احتلال النرويج والدانمارك

في اعقاب الانتصار السريع المبين الذي حققه الجيش الالماني في بولندا، اوقف الالمان نشاطهم العسكري رغبة منهم في اعادة تنظيم القوات وبسبب اعتقاد هتلر بان بريطانيا قد

تستجيب لمطالبه بوقف الحرب والدخول في مفاوضات لاعادة السلام الى اوربا، واستمر ذلك التوقف ستة اشهر لتنتهي بشكل مفاجئ ومثير في شمال غرب اوربا عندما اراد الالمان انهاء حصار الانكليز لهم لمنعهم من وصول الحديد اليهم كما ذكرنا، وفيما كان الهدوء شبه كامل في الجبهة الغربية اذا بالالمان يبدأون هجوماً عند الفجر من يوم 9/نيسان/1940 على الدانمارك رغم وجود معاهدة عدم اعتداء بينهما، وبسرعة وفي نفس اليوم انزل الالمان جيشهم في نقاط عديدة من النرويج وكان الهدف النهائي احتلالها لتأمين وصول الحديد من السويد لالمانيا اضافة الى ايجاد قواعد (جوية) وبحرية لها لهجوم على شمال بريطانيا خاصة وان النرويج تمتلك ساحلاً طويلاً ويؤدي وضعه تحت سيطرة الالمان الى منع أي حصار لها من قبل خصومها.

استخدم الالمان خطة بارعة جداً لدى نزولهم على الساحل النرويجي وكانت خطة (من ابدع النماذج الحربية لحسن التصميم وسرعة التنفيذ ودقة التعاون بين مختلف اسلحة الجيش) كما وصفها كاتب ومؤرخ بريطاني فيما يفصل مؤرخ امريكي ما حدث بشكل مثير للاعجاب اذ انه اتسم بالدهاء والمكر والذكاء عندما وصلت السفن الحربية الالمانية قرب الساحل النرويجي، وزعم رجالها انهم اصدقاء ورفعوا اعلاماً بريطانية كما انهم غيروا اسماء السفن الى اسماء انكليزية.. وبعد بدء الهجوم حاول الانكليز نجدة النرويجيين الذين قاوموا الالمان بعناد ونجحوا في اغراق سفينة حربية المانية حمولتها عشرة الاف طن ودار قتال عنيف على طول الساحل، ونزلت قوات بريطانية في ميناء (نارفك) يوم 15/ نيسان لكن الالمان سحقوا تلك القوات بسهولة وما انتهى الشهر الخامس الا وكانت النرويج كلها تحت سيطرة الالمان ولمدة اربع سنوات.

نجح الالمان اذاً بسبب مباغتتهم التامة لعدوهم بعدما احاطوا عمليتهم بسياج شديد من التكتم والسرية كما لعب النازيون النرويجيون دوراً هاماً في تسهيل عملية الغزو السريعة فيما لم يتمكن الانكليز من افشال الغزو لافتقارهم انذاك الى غطاء جوي كافي. لكن الالمان خسروا ثلاثة طرادات وعشر مدمرات مما ساهم في ضعف قوتهم البحرية بعد قليل، فيما أدت عملية الغزو الى استقالة رئيس الوزراء البريطاني (تشمبرلن) وتشكلت حكومة (إئتلافية) رأسها ونستن تشرشل في 1940/5/10.

وما ان استقر الموقف الالماني في النرويج حتى اشتعلت الجبهة الغربية بشكل مخيف يوم العاشر من ايار أي في اليوم الذي اصبح فيه (تشرشل) رئيسا لوزراء بريطانيا الذي خطب

خطبته المشهورة بأن بلاده وحلفائها سيقاتلون العدو في كل مكان جواً وبراً وبحراً حتى تحقيق النصر وعندما خرج من مقر الحكومة البريطانية اوما للمواطنين باصبعه بعلامة النصر (7) (فكتوري) والتي اخذ كثيرون جداً بعده يستخدمونها للتدليل على الانتصار.

الهجوم الالماني في الجبهة الغربية

بدأ الالمان هجوماً هائلاً قبيل فجر العاشر من ايار على هولندا وبلجيكا ولوكسمبرج وهي المعروفة بالاراضي المنخفضة، وكان هجومهم في وقت واحد دون اعلان للحرب والهدف هو القيام بحركة التفاف حول القوات الفرنسية التي كانت ترابط وراء خط ماجينو الدفاعي الفرنسي، وفي بداية هجومهم قاموا بانجاز فريد هو الاستيلاء المثير على حصن مسلح اسمه (ابين ايمايل) والذي كان عنصراً حيوياً في نجاح الغزو المباغت للاراضي المنخفضة ثم لفرنسا بعدهما، فقد كانت تلك القلعة الحصينة بحاجة من الالمان الى ما لا يقل عن 4000 جندي للاستيلاء عليها مع وقت يستغرق عشرة ايام مما يعطي وقتاً كافياً للحلفاء كي يستعدوا لمواجهة الهجوم الالماني ضد الاراضي المنخفضة غير ان الالمان استخدموا (77) رجلاً يقودهم ضابط شجاع مع (10) طائرات شراعية و(56) متفجرة ذات حشوات جوفاء تمكنوا من هزيمة (780) رجل كانوا يدافعون عن (أقوى حصون الدنيا) في يوم واحد بل في اول 20 دقيقة كما يقول ضابط امريكي كتب خصيصاً عن تلك القلعة، وكانت فكرة الهجوم عليها بواسطة الطائرات الشراعية تعود الى هتلر وكبار رجال الاركان الالمان اذ انشأ ضابط من سلاح الجو فرقة من 100 رجل ظلوا يتدربون ستة اشهر لحل اشكالية الوصول الى القلعة المرتفعة المشرفة على سهل كبير امامها وخلفها وفي القلعة (6) قبب فولاذية ضخمة مزودة بمدافع من عيار ثقيل، مع اعداد جيدة من الرشاشات، ولغرض التدريب اقيم حصن نموذجي يشابه الحصن الحقيقي الذي اخذت له صور من الجو، وعندما تم شن الهجوم ليلة 9-1940/5/10 اصيب قائد المجموعة وهو برتبة ملازم لكن الرجال استمروا في الهجوم برباطة جاش، فدمروا اسلحة الحصن ثم سيطروا على قمته قبل ان تصل ارتال الاقتحام الالمانية التي ارغمت الجنود البلجيك على الاستسلام فيما كان قائد المجموعة قد عاد بشكل عجيب الى جماعته في اعلى الحصن قبل وصول القوات الالمانية الكثيفة وهي في طريقها لتدمير فرنسا عبر بلجيكا وهولندا اللتان استسلمتا بعد خمسة ايام من الدفاع، وفي الخامس عشر من ايار سقطت مدينة هامة حصينة بأيدي الالمان وهي (سيدان) وانفتح الطريق امام القوات الالمانية لتسارع نحو الساحل وتحصر

قوات الحلفاء الموجودة في شمال بلجيكا وشمال شرق فرنسا، ودخل الالمان الى مدينة (امبان) في 5/19 وهاجموا (كاليه) في 5/23 وبدا كأن كل شيء ينذر بكارثة مروعة للحلفاء وهزيمة ماحقة بعدما انحطت معنويات الجيش الفرنسي الى الدرك الاسفل وراحت تتراجع امام النار الحاصدة للالمان فيما سمي بـ(فوضى النصر) وامتلأت الطرق بمئات الالوف من النساء والاطفال الهاربين من الغزاة، وجعلت السرعة الخارقة للتقدم الالماني مركز الحلفاء في غاية الخطر والحرج اذ تم حصر القوات البريطانية والفرنسية والبلجيكية في مثلث عند الساحل في (دنكرك) ولاجل انقاذ الرجال قام الاسطول الانكليزي بنقل كل القوات عبر القنال الى بريطانيا ليلة 27-5/28 وتمكن (334) الف مقاتل من الهرب تاركين ورائهم اسلحتهم وعتادهم بالكامل. وهكذا كانت الهزيمة التي قال تشرشل وقتها (ان النصر في الحرب لا يتم بالانسحابات)،ونجحت القوات الالمانية بعد ذلك في اختراق خطوط الدفاع الفرنسية في كل مكان ومزقت القوات الفرنسية تماماً فقررت الحكومة الانتقال من باريس الى غيرها.

في 8/ حزيران فيما اعلن موسوليني الحرب على فرنسا بعدما آمن بانها اندحرت مثلما يفعل أي انتهازي للحصول على مغنم سهل رغم ان عدداً من رجاله لم يوافقوه على اعلان الحرب ومنهم زوج ابنته الكونت شياتو والذي قام موسوليني فيما بعد بـ(اعدامه).

حقق البريطانيون شيئاً من النجاح بسحب القوات من دنكرك وظل العديد من العسكريين والمؤرخين يناقشون المسألة وسبب عدم قيام هتلر بسحق تلك القوة وتركها تنسحب وكان خطأً جسيماً منه لان تلك القوات اصبحت الاساس الذي تشكلت منها بعدها خيرة القوات الحليفة ضد المانيا، وهناك من يرى ان هتلر لم يرغب في (إذلال) الانكليز لكي يتصرفوا بحكمة ويقبلوا بالسلام.

في 15/حزيران سقطت باريس بيد القوات الالمانية للمرة الثانية خلال اقل من قرن واعلن تشرشل ان فرنسا سقطت قبل ان تسقط لانها لم تجابه هتلر وعدوانه بشكل حازم منذ البداية وقبل ان يستفحل أمره.

في باريس سقطت الحكومة وحلت محلها حكومة رأسها المارشال بيتان بطل فردان في الحرب الاولى فطلب عقد الهدنة مع الالمان مما جعله في نظر الفرنسيين (خائناً) نقل حكومته الى مدينة (فيشي) فاراد الابقاء على أي شيء لفرنسا، وفي 6/22 وقع الطرفان شروط الهدنة

في نفس عربة القطار ونفس المكان الذي كان الالمان قد وقعوا في ذل وهوان صك الهدنة في تشرين الثاني 1918 بعد خسارتهم الحرب الاولى فكان ذلك اعلى درجات الانتقام ثم وصل هتلر باريس وصعد برج ايفل ليقول ان اعلى مكان في البلاد تحت قدميه، وقد فرض على فرنسا نزع سلاح قواتها المحاربة وتسريحها وتحمل نفقات قوات الاحتلال، وتجريد سلاح الاسطول وابقاء الاسرى الفرنسيين لدى الالمان وعددهم حوالي مليوني اسير واطلاق الاسرى الالمان لدى فرنسا، لكن ضابطا فرنسيا رفض الاستسلام واعلن المقاومة وهو الجنرال (ديغول) واصبح فيما بعد رئيس فرنسا المعروف، وقد ذهب الى بريطانيا بعد هزيمة بلاده وتزعم هناك حركة (فرنسا الحرة)، وكان هتلر معتقداً ان بريطانيا سوف تطلب الصلح بعد هزيمة فرنسا وسقوطها لكنه اخطأ، فيما اخذت علاقته بروسيا تتأزم بسبب اطماع (ستالين) التي لا تنتهي وخاصة في اوربا الشرقية وبلاد البلقان مما جعل هتلر يخفي مخططه لتدمير الاتحاد السوفيتي في الوقت المناسب فيما كان هناك موقف يتبلور في الولايات المتحدة بشأن الحرب وتطوراتها.

موقف الولايات المتحدة ومعركة بريطانيا

ظلت الولايات المتحدة بعيدة عن الحرب ترقب وتنتظر ما يسفر عنه الموقف الحربي بين المانيا والحلفاء مع عزم الرئيس روزفلت على منع انتصار دول المحور (المانيا وايطاليا واليابان) وكان واضحا ان الولايات المتحدة كانت منحازة بعواطفها الى جانب الحلفاء وقدمت لهم مساعدات عدة حربية واقتصادية واحتفظت اسميا بحيادها فيما كانت عملياً تقف مع بريطانيا وفرنسا منذ بدء الحرب رغم وقوف عدد من زعماءها ضد الاشتراك في حرب اوربية لكن اخرين رأوا ان هزيمة البلدين سيكون بمثابة كارثة للولايات المتحدة لانه سيخنقها اقتصادياً وربما عسكرياً مما يستدعي منها المشاركة في الحرب وبريطانيا التي تقاتل بدل ان تقاتل امريكا لوحدها بعد اندحار بريطانيا امام المانيا، وبدأ روزفلت بتقديم كل عون مادي ومعنوي لاعداء المانيا وحلفائها ومن ذلك بيع اسلحة للحلفاء، وهز سقوط فرنسا مشاعر الامريكيين وشعرت واشنطن ان بريطانيا اصبحت خط الدفاع الاول بالنسبة لامريكا ضد الاندفاع النازي الديكتاتوري وهكذا ارسل روزفلت في الحال الى بريطانيا عدداً جيداً من المدمرات البحرية القديمة مقابل تأجير بريطانيا عددا من القواعد للولايات المتحدة.

في 11 اذار 1941 اعتمد روزفلت قانون الاعارة والتأجير لتقديم مواد حربية وغذائية للحلفاء، وبلغ حجمها خلال الحرب ما ثمنه خمسين مليار دولار ثم تنازلت الولايات المتحدة عن ذلك كله بعد انتهاء الحرب سنة 1945 وقد قدمت المساعدات حتى الى الصين وروسيا لكن القسم الاعظم من تلك المعونات ذهب الى بريطانيا عندما صارت تقاوم المانيا لوحدها في معركة بريطانيا التي وقفت وحدها امام جبروت المانيا بعد سقوط فرنسا القوية وغيرها من دول اوربا الغربية، وفشلت محاولات هتلر لاقناع او اجبار بريطانيا على طلب الصلح او الهدنة كما انه لم يقم بغزو بريطانيا بعد نجاحه الباهر ضد فرنسا مما جعل النصر بعيد جداً عنه بل لن يحصل عليه نهائياً لاسباب منها ان بريطانيا حكمها رجل صمم على عدم التسليم والقاء السلاح فيما بدأ هتلر العمل لتنفيذ (خطة اسد البحر) وتتلخص في العمل على انزال جيش الغزو الالماني على جبهة واسعة من الجزر البريطانية باستخدام الموانئ البلجيكية والفرنسية قواعد استعداد عسكري للمهمة الاساسية وهي انزال قوات عند جنوب بريطانيا ثم الاندفاع شمالاً لاحتلال لندن، لكن الخطة كانت خيالية ومتسرعة ولو كان يريد غزو بريطانيا لما سمح لقواتها في دنكرك بالانسحاب الآمن الى بلادها وتكوين جيش قوي في مواجهة الالمان، لذا اعتقد بعض الالمان ان الخطة كانت خدعة سياسية ذلك ان أي انزال كان يستوجب السيطرة على القنال الانكليزي فيما كانت القوة البحرية الالمانية اضعف بكثير من الاسطول البريطاني الحربي ولاجل تحييد الاسطول البريطاني تمهيداً للانزال المأمول بدأت معركة جوية هائلة شنتها الطائرات الالمانية على كل شيء في بريطانيا طوال صيف وخريف عام 1940 ناشرة الخراب والدمار فيها بشكل منظم وبهدف اثارة الرعب في نفوس الانكليز لحملهم على قبول انهاء الحرب، واستمرت الهجمات من 1940/8/12 وحتى 1940/9/30 وكانت اكبر معركة جوية في التاريخ حشدت لها المانيا (3000) ثلاثة الاف طائرة هاجمت لندن لاول مرة اوائل شهر ايلول رداً على مهاجمة الطائرات البريطانية للعاصمة الالمانية برلين واشتركت (1300) طائرة في الهجوم على لندن تلك الليلة (7 أيلول) ثم استمرت الغارات الالمانية (ليلاً) بعدما كانت تنفذ نهاراً بالاساس، غير ان كل تلك الغارات الرهيبة لم تحطم سلاح الجو البريطاني وبالتالي لم يتمكن الالمان من القيام بغزو ناجح، وتمكنت بريطانيا من الافلات من مصير فرنسا وتمكنت خلال معركة الطائرات اكتشاف الرادار الذي ازعج الالمان جداً وسبب لطائراتهم خسائر جسيمة بلغت (1733) طائرة سقطت فيما خسر الانكليز (800) طائرة مع سقوط (100) الف قتيل وجريح من المدنيين لكن خطة المانيا فشلت وتوقف هتلر عن عملية اسد البحر ابتداءاً من (17) أيلول 1940 وكان فشله

سبباً من اسباب هزيمة المانيا في النهاية فقد كانت معركة حاسمة في الحكم على ما تبعها من معارك وخصوصاً معركة روسيا فلو انه نجح ضد بريطانيا لتهيأ لهجوم اكبر واستعداد اضخم ضد روسيا، ومع فشل الالمان في معركة بريطانيا ارتفعت معنويات المقاومة في هولندا وبلجيكا والنرويج ضد المحتلين الالمان كما اثارت حماسة الشعب الامريكي للوقوف مع بريطانيا ومساعدتها فيما اخذ هتلر ومعه موسوليني يوليان اهتماماً لافريقيا والبلقان مع الاستعدادات الالمانية لضرب الاتحاد السوفيتي بأمل قهره ثم العودة الى تحطيم بريطانيا.

جبهة شمال افريقيا

عندما اعلن موسوليني الحرب على فرنسا اخذ يفكر في المكاسب التي سوف يحصل عليها من الموقف السيء الذي اصاب الفرنسيين لكن هجومه على جبهة فرنسا الجنوبية الشرقية لم يأتِ بنتيجة طيبة حتى انه طلب مساندة هتلر له ضد المقاومة الفرنسية العسكرية، وتفرغ بعدها لافريقيا لمهاجمة مناطق النفوذ البريطاني مستغلاً انشغال الانكليز في مواجهة الالمان جواً واراد ان يضرب ضربته في المتوسط والاحمر وهكذا في أب 1940 أمر 200 الف جندي ايطالي واريتري بمهاجمة القوات البريطانية المعسكرة عند مدخل البحر الاحمر اضطرها الى الجلاء عن الصومال وفي 14/ أيلول امر قائده في ليبيا بزحف قواته البالغ عددها ربع مليون رجل من ليبيا شرقاً نحو مصر فنجح الطليان اول الامر في اجبار الانكليز على التراجع نحو مرسى مطروح قرب الاسكندرية لكن الايطاليين لم يتوغلوا في الاراضي المصرية بما فيها من صحراء وشعر الانكليز بالخطر على أهم المناطق حيوية واهمية لامبراطوريتهم لذا قامت بحريتهم المتفوقة بوضع خطة لقطع خطوط الامدادات الايطالية كما قام الانكليز من مصر بهجوم مضاد اكتسح الجيش الايطالي حتى مدينة برقة الليبية ثم الى مدينة (درنه) وفي شباط 1941 استولى الانكليز على بنغازي وهكذا تمكن الانكليز في ثلاثة اشهر ان يقضوا على عشر فرق ايطالية واسروا حوالي 120 الف جندي ايطالي والاستيلاء على 400 دبابة ايطالية والتي كانت تذيق الشعب الليبي المرارة، وتمكن الانكليز ايضا من غزو اريتريا من السودان ومن (نيروبي) في كينيا لغزو الصومال واعادته الى الحكم البريطاني ثم سقطت عاصمة اثيوبيا اديس ابابا في 6/ نيسان 1941 فانتهت الامبراطورية الايطالية في شرق افريقيا فيما اصاب الاسطول الايطالي تدميراً قاسياً على يد الاسطول الانكليزي في المتوسط وامام هذا الموقف المتسم بهزيمة الايطاليين الكاملة في افريقيا ارسل هتلر قواته الى ليبيا بقيادة (رومل) الذي تمكن في غضون اسبوع

واحد من قهر الانكليز في (طبرق) واجبارهم على التراجع حتى مرسى مطروح وظهر وكأن مصر كلها ستسقط في يد رومل في حزيران 1941 فيما كانت بريطانيا وحليفتها فرنسا قد نجحتا في سوريا والعراق لمنع وقوعهما تحت النفوذ الالماني.

في خلال ذلك استدار هتلر الى البلقان بعد تورط موسوليني في حرب ضد اليونان خسر فيها الكثير وهزم الايطاليون شر هزيمة نهاية عام 1940 فغضب هتلر لانه كان يريد السيطرة على البلقان لكي يكون في موقف قوي عندما يهاجم الاتحاد السوفيتي اضافة الى قلقه من حكم بريطانيا لجزيرة كريت لذلك بدأ تحركه العسكري في اذار 1941 خاصة بعد انقلاب يوغسلافيا ضده بشكل جسور اثار غضبه فأمر في نيسان ان تدك طائراته مدينة بلغراد عاصمة يوغسلافيا فارسل (20) فرقة استولت على المدن الهامة في البلاد ثم تدفقت قواته نحو اليونان التي كانت قد حققت نصراً على الايطاليين حلفاء هتلر والذي تقدم بنصف مليون جندي مع غطاء جوي كبير فكان الهجوم سريعاً وكاسحاً كلف الانكليز (15) الف قتيل وانهزموا الى البحر الى كريت فلاحقهم الالمان واحتلوها في عملية قام بها المظليون من الجو وخسر الانكليز اكثر من 5000 رجل مع (150) طائرة فيما وقع في الاسر اكثر من (11) الف رجل واصبح للالمان قاعدة بحرية يهاجمون منها الاسطول البريطاني في المتوسط وكان بامكانهم الانطلاق منها نحو الشرق في المنطقة العربية وشمال افريقيا لكن هتلر بدلاً من ذلك كان يفكر في تنفيذ رغبته بالهجوم على الاتحاد السوفيتي في اخطر تطور في تاريخ احداث الحرب الثانية.

الحرب ضد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة

عقدت المانيا معاهدة مع الاتحاد السوفيتي في آب 1939 كما مر بنا ولم يكن الطرفان قبلها على ود فيما بينهما، ولم يكن في نيتهما تبادل المصالح استناداً الى (مبادئ) واخلاق بل كان كل منهما قد تحرك وفقاً لاستراتيجية خاصة به وجدا ان ذلك يستوجب اتفاقية يعلم كليهما انها لا يمكن ان تدوم في ظل مصالحهما المتناقضة على الساحة الاوربية او في ظل تناقض نظامي الحكم فيهما بل وكراهية كل نظام للنظام الاخر وهكذا لم يكن تحالفاً قلبياً صادقاً. ووقعت الحرب وخسر الالمان الكثير من التضحيات حتى احتلوا اجزاء من بولندا فيما لم يخسر الروس شيئا واخذوا جزءاً اكبر من بولندا، اضافة لجمهوريات البلطيق الصغيرة، وفلندا، وتطورت الحرب بالشكل الذي عالجناه، واصبحت اوربا الغربية تحت سيطرة النازية وشعر

هتلر انه في مركز القوة في اوربا، وان الوقت صار مناسباً للهجوم على الاتحاد السوفيتي، والسبب خلافات جسيمة اخذت تظهر على ارض الواقع بشأن امتداد النفوذ استغل ستالين انشغال المانيا بالحرب في غرب اوربا وتقدم واحتل الجمهوريات الصغيرة في البلطيق الى جانب فنلندا واجزاء من رومانيا واقترح هتلر عليه اواخر عام 1940 اجراء مفاوضات جديدة بين الطرفين وانظمام ستالين الى دول المحور، لكن الروس اشترطوا شروطاً لاجل ذلك منها السماح لهم باقامة قواعد عسكرية في اماكن منها منطقة المضائق التركية واعطاء امتيازات لهم قرب اليابان والاشراف على بلغاريا واطلاق يد الاتحاد السوفيتي في فنلندا. واثارت هذه الشروط استياء هتلر جداً خاصة وانها تظهر اطماع ستالين التي تتعارض مع اطماع هتلر في اوربا مما جعله يزداد تصميماً على مهاجمة الاتحاد السوفيتي فيما استعد ستالين لمثل هذا المحتمل الخطير فزاد من الانتاج الحربي ونقل الصناعات الحيوية في غرب روسيا الى اماكن بعيدة أمنة في الاورال (منطقة جبال وعرة) وبدأ تجنيد مئات الالوف من الشباب، ومع ذلك فانه ارسل وزير خارجيته الى المانيا لاجراء مباحثات وخلال وجود الاخير في برلين صرح للوزير الالماني بأن روسيا تأمل في الوصول الى الخليج العربي ليكون ضمن مناطق نفوذها اضافة الى اوربا الشرقية، وفي وقت من اوقات المباحثات كانت الطائرات البريطانية تقصف برلين فيما يشير الوزير الالماني الى ان المانيا آمنة فيرد الوزير الروسي (اذا كانت آمنة فلماذا نحن في الملجأ)؟ وكان في هذا الرد دليل على توتر العلاقة، ثم جاءت خسارة المانيا في عملية اسد البحر لغزو بريطانيا فتخوف هتلر ان يهاجمه الاتحاد السوفيتي من الخلف وهو يخطط لغزو بريطانيا اضافة الى ان الحصار منع عنه اشياء هامة لصناعته وآلته الحربية فاراد توفيرها باحتلال اراضي روسية فيها الموارد المطلوبة.

في 5 حزيران 1941 اصبح ستالين رئيساً للوزراء، الى جانب كونه الامين العام للحزب الشيوعي وتوقع حدوث هجوم الماني ضد بلاده رغم كل ما بذله لمنع المانيا من الاقدام على هذا العمل الحربي ولكن دون جدوى ففي فجر الثاني والعشرين من حزيران بدأ الهجوم الالماني الكاسح الذي شاركت فيه (150) فرقة عسكرية يصل عددها الى اكثر من مليوني مقاتل تعززهم اكثر من 3500 دبابة وتدعمهم (5000) خمسة الاف طائرة.. وكان الهجوم على جبهة طولها 1800 ميل واعلن هتلر في بيانه حول الهجوم الهائل (لقد قررت اليوم ان اضع مصير الشعب الالماني ومصير اوربا في ايدي جنودنا) ولقد فوجئ العالم وناله العجب لتلك المغامرة الجسورة بل والمقامرة العظيمة مدركاً انه سيكون لها ابعد النتائج واخطرها لا على تاريخ اوربا فقط بل على تاريخ البشرية كلها.

ومثلما حصل ضد بولندا وفرنسا فقد كان الهجوم خاطفاً وكثيفاً حتى استطاع الالمان في يومين تدمير (2000) الفي طائرة روسية على الارض في مطاراتها وكانت تشكل ثلث القوة الجوية السوفيتية، واتجهت ثلاثة جيوش كل منها من مليون جندي الى موسكو ولينين غراد وكييف مكتسحين كل شيء امامهم من وسائل دفاعية حتى حاصروا (لينين غراد) التي اراد هتلر اسقاطها لانها تحمل اسم القائد الشيوعي (لينين) لكنها صمدت في الشتاء وقاومت مقاومة مستمية، وواصلت القوات المتجهة نحو موسكو سيرها ووصلت قريبا منها فيما اتجهت المجموعة الثالثة جنوباً نحو اوكرانيا ثم شبه جزيرة القرم على البحر الاسود وخلال 20 يوماً من الهجوم توغلت القوات الالمانية مسافات كبيرة داخل الاتحاد السوفيتي بعمق يتراوح بين 400- 500 كم وعلى امتداد الجبهة، واحتلوا مدناً هامة خلال الهجوم منها (سمولنسك) و(كييف) و(خاركوف) حتى اصبح موقف الاتحاد السوفيتي خطيراً ومنذراً بأفدح الكوارث في خريف عام 1941، وفقد الروس في اوائل الهجوم ما لا يقل عن مليون شخص بين قتيل وجريح وكأنه مشهد لمذبحة رهيبة فعلاً مسؤول عنها تلك الزعامات الشريرة البعيدة كل البعد عن الانسانية والتي زعمت كلها انها تقاتل دفاعاً عن شعوبها التي لم تكن الا وقوداً للحروب التي اشعلها هؤلاء الزعماء بحجج ومبررات غير منطقية وكانت الحرب بين المانيا والاتحاد السوفيتي مثالاً صارخاً على ذلك اذ نرى هتلر يصفها بانها حرب (من الطراز الذي لا تتبع فيه اصول الشهامة والفروسية)[1] مذكراً بان (الصراع صورة للخلافات العقائدية والعنصرية ومن الواجب ان يسير في قسوة ولا هوادة فيها ولا رحمة ولا تردد)[2]

قال ذلك المسؤول الالماني كما تشير الوثائق الى ذلك (نحن لا نرى مطلقاً أي داعٍ لأي التزام من جانبنا لاطعام الشعب الروسي بالفائض من منتجات بلاده رغم قسوة ذلك، وسيخبئ المستقبل عدة سنوات قاسية للشعب الروسي)[3] وهكذا تعمد الالمان في اعداد العدة بصورة متعمدة لتجويع ملايين الروس من الموت، ومعروف ان مصادر عدة تذكر ان الروس خسروا في الحرب (28) مليون مواطن من العسكريين والمدنيين مثلما خسر بقية المتحاربين ملايين القتلى من الجنود والمدنيين في بريطانيا والمانيا وفرنسا والاراضي المنخفضة وحتى في اقطار عربية لم تكن مشاركة بالحرب مطلقاً.

(1.2.3) انظر وليم شرر/ تاريخ المانيا الهتلرية/ الكتاب الرابع ص387

لقد حقق الالمان انتصارات واضحة في بداية هجومهم على الاتحاد السوفيتي لانه لم يكن قد اكمل استعداداته للحرب فيما ارسل ستالين بعض من قواته الى المناطق التي استولى عليها في فنلندا وبولندا ودول البلطيق الصغيرة اضافة الى عنصر المباغتة الكبيرة التي نجح الالمان في تحقيقها رغم كثافة القوات المحتشدة على الحدود،ثم ان نوعية الاسلحة الالمانية كانت تفوق ما لدى الروس رغم كمية الاسلحة الوفيرة لديهم، غير ان التقدم الالماني لم يلبث ان توقف بعد بضعة اشهر من بدء الهجوم الكاسح اذ واجه الالمان مشاكل كبيرة منها مواجهة مقاومة شعبية متعددة الجوانب مع استخدام سياسة الارض المحروقة لمنع الالمان من الاستفادة من موارد الروس، ويضاف لذلك ان شتاء ذلك العام والعام الذي تلاه كان قاسياً للغاية في برودته وامطاره وثلوجه ووصلت درجة الحرارة الى (40) درجة تحت الصفر فكانت المدافع الالمانية والدبابات تغرس في الارض الموحلة ثم اصبح الجنود الالمان يموتون متجمدين اذ لم يتهيأ هتلر لحرب طويلة تمتد للشتاء، وانحطت معنوياتهم بعد فترة عندما كتبوا لاهلهم رسائل فيها الاستغراب من ظروف روسيا الطبيعية وانها ارض واسعة للغاية فكان الجيش الالماني يتقدم مئات الكيلومترات ليجد امامه آلافاً غيرها، لكن الطغاة لا يقرأوون التاريخ فقد جرّب نابليون بونابرت حظه في غزو روسيا وكانت النتيجة سقوطه ومعه امبراطوريته عام 1815 مثلما فشل الروس بعدئذ في غزوهم لافغانستان.

تعثر الهجوم الالماني في روسيا بعد ستة اشهر من بدايته لكن هتلر ظل مصمماً على دحر الاتحاد السوفيتي وتصور ان يتم ذلك بسرعة، وقاوم الجيش السوفيتي قوات الغزو بشكل صلب رغم الخسائر التي كان يقدمها الجنرال الروسي (جوكوف) ورفض هتلر فكرة او مقترح انسحاب قواته حتى يأتي الربيع وتولى القيادة بنفسه لكن الروس اثبتوا ان المدرعات الالمانية يمكن ان تهزم مثلما يمكن هزيمة جيش الغزو رغم انه كان يطرق ابواب موسكو خاصة حتى اصابهم الاعياء امام ذلك الخصم العنيد الجبار الذي لا تنتهي موارده من الرجال بالملايين، وتكفي الاشارة الى ان المصادر تشير الى خسارة الروس (9) ملايين عسكري حتى نهاية الحرب عندما كانوا محتفظين باكثر من ذلك العدد من الجنود، اذ لم يكن صعبا على الديكتاتور ستالين ان يأمر الملايين بأن تشارك في (الحملة الوطنية) طالما هناك (اعدامات) بالجملة، والغريب في هذا المجال ان صحف ستالين الشيوعية كانت تصدر كل يوم وفيها صور لشباب يرقصون وشيوخ يضحكون (ابتهاجاً) بحياتهم في ظل الحرب الطاحنة الضروس.

خلال ذلك اجتمع الرئيس الامريكي (روزفلت) مع رئيس وزراء بريطانيا بعد بداية الهجوم الالماني في 22/ حزيران واقرا تقديم مساعدات كبيرة للروس، وقبل منتصف عام 1942 كان مقرراً ان يرسل الطرفان الى روسيا ما مجموعه (4500) دبابة و(3000) طائرة مما ساهم في عرقلة الهجوم الالماني عام 1942 حتى اضحى مركزاً على القطاع الجنوبي، ورغم ذلك فان الالمان احتلوا عاصمة شبه جزيرة القرم فدخلت كلها في حوزتهم وتوجهوا منها الى الشرق نحو آبار النفط في (غروزني) في الشيشان ونحو (ستالين غراد) ذات الاهمية الاقتصادية والمعنوية الكبرى، ووصلوا في تشرين الاول 1942 الى جورجيا ثم توقفوا امام ستالين غراد حيث نشبت معركة دموية طاحنة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً من قبل من حيث ضراوتها واستبسال المقاتلين الذين خاضوها، فقد قاوم الروس مهاجميهم الالمان في المدينة بروح وطنية عالية ودافعوا عن مدينتهم شارعاً شارعاً وبيتاً بيتاً في حرب مدن رهيبة وخسر الالمان مليون مقاتل حتى استولوا على المدينة لكن (جوكوف) بدأ هجوماً عظيماً في تشرين الثاني مستخدما 5000 مدفع ضد الالمان وحاصرهم في المدينة حتى استسلموا بالكامل يقودهم المارشال (باولس)وذلك في 1943/1/31 الذكرى العاشرة لوصول هتلر للسلطة في كارثة عسكرية ماحقة اثرت بشكل كبير على معنويات الالمان فهي هزيمة من النوع الثقيل فكانت نقطة تحول في نتيجة الحرب جاءت بعد هزيمة ماحقة اخرى كانت قد اصابت الالمان في (العلمين) قبل ذلك بعدة اشهر في مصر بين القوات البريطانية يقودها الجنرال (مونتغمري) والقوات الالمانية يقودها المارشال (رومل) مما سنوضحه لاحقاً.

وفي الوقت الذي كانت تجري فيه المعارك في كل مكان من اوربا وشمال افريقيا، كانت اليابان تخطط لمد نفوذها في اقصى اسيا ضد املاك الانكليز والامريكان معاً والذين كانوا منحازين بعواطفهم مع الحلفاء ووجد اليابانيون حليفاً لهم يمثله الالمان والطليان وبدأت تنشر عدوانها ضد الصين وكوريا والهند الصينية فردت الولايات المتحدة باجراءات خاصة بأسبابا البعيدة لعرقلة المسعى الياباني صيف عام 1941 لكن اليابان قامت في 1941/12/7 بهجوم مباغت قاتل على الاسطول الامريكي في المحيط الهادي عند ميناء (بيرل هاربور) فقضت بضربة واحدة على التفوق البحري الامريكي هناك، ثم ضربت بالقنابل مطارات الامريكان في الفلبين وانزلت بها خسائر جسيمة مروعة، وكان للهجومين تأثير حاسم في الموقف الامريكي بعد ان اصاب الشعب الامريكي غضب شديد هائل وتصميم قاطع على الانتقام الشامل فاعلنت

الحكومة الامريكية الحرب فوراً ضد اليابان وردت المانيا وايطاليا باعلان الحرب ضد الولايات المتحدة، في وقت كان فيه الالمان (كما مر بنا) منتشرون بنجاح في ربوع اوربا ويصيبون الحلفاء بخسائر هائلة من خلال حرب الغواصات التي شنوها بكفاءة ضد تلك السفن. وصار شمال افريقيا من مصر الى تونس خاضعاً لسلطانهم وهدد رومل بشكل واضح مركز الانكليز في كل الشرق الادنى.. واصاب الاذى قوات الحلفاء بشكل كبير امام اليابانيين المقاتلين الاشداء فسقطت هونج كونغ وسنغافورة واجزاء من اندونيسيا الغنية بالنفط كما سقطت الملايو وبورما واستطاع اليابانيون ان يضطروا قوات امريكية في الفلبين الى الاستسلام وعددهم حوالي (13) ثلاثة عشر الف مقاتل.. وهكذا تمكن العنصر (الاصفر) ان يلحق الذل والهوان بالعنصر (الابيض) بشكل كبير في التاريخ الحديث، وبلغ اليابانيون باعتبارهم شعب اسيوي اعلى درجات التفوق والنجاح منتصف عام 1942 ثم توقف الاندفاع الياباني مثلما توقف الاندفاع الالماني الساحق بعدما كان الطرفان قد هجما بشكل بديع وسريع خاطف، وفي هذا الوقت (منتصف 1942) كان الحلفاء متفوقين في عدد المقاتلين على المحور في ساحات القتال وفي عدد العاملين في المصانع الحربية والمهنية حتى كانوا ينتجون فعلياً آلاف الدبابات وآلاف الطائرات والمدافع لكي يستمر (القتل) فيما بينهم.

وفي اعقاب دخول امريكا الحرب بدأ الحلفاء بعد فترة وجيزة هجوماً ناجحاً في كل الميادين من روسيا الى مصر ومن تونس الى فرنسا اضافة للحرب في اسيا ضد طموحات وعدوان اليابان وانشغال هتلر تماماً في حرب طاحنة ضد الروس مما جعله يواجه (عالماً مسلحاً غاضباً) في رأي تشرشل، واتفق الحلفاء على شن هجوم كبير في شمال افريقيا تمهيداً لفتح الجبهة الغربية التي كان ستالين يلح على فتحها لتخفيض الضغط الالماني في روسيا، وتم الاتفاق الامريكي- البريطاني على قيام الانكليز بهجوم كبير ضد الالمان انطلاقاً من مصر، وفي نفس الوقت يهاجم الامريكيون الالمان في تونس.. وخلال بضعة اشهر خسر الالمان معركة (العلمين) داخل مصر خسارة حاسمة وثقيلة حتى اضطروا الى التقهقر نحو ليبيا والانكليز في اثرهم حتى دخلوا طرابلس، فواجه رومل قوات الانكليز القادمين من شرق تونس وقوات الامريكان القادمين من المغرب والجزائر وما حل شهر مايس 1943 الا واستسلم الالمان في تونس وعددهم ربع مليون جندي وهناك اشارة الى ان احد قادة الجيش البريطاني اصدر امره لقواته المقاتلة ضد الالمان جاء فيه (اغرقوا، واحرقوا، ودمروا) وقد نجح الانكليز بالقتل والتدمير

للالمان مع انهم جميعاً (غربيون متحضرون) وبعد فترة وجيزة قام الحلفاء بالانزال في جزيرة صقيلة مستخدمين (3000) سفينة نقلت (114) الف سيارة مع (600) دبابة و(1800) مدفع استخدمها (160) الف جندي تقدموا واحتلوا روما في حزيران 1944 بعدما تساقطت المدن الايطالية بيد الحلفاء مدينة مدينة حتى سقطت روما بيد الامريكيين في 4 حزيران 1944 قبل يومين من الانزال الامريكي في (نور مندي) في شمال فرنسا، وانهارت سريعاً قوة الالمان في ايطاليا وانسحبوا شمالاً مع استسلام اعداد كبيرة منهم للحلفاء فيما كان زعيم ايطاليا الديكتاتور موسوليني قد طرد من الحكم قبل ذلك ثم انقذه الالمان فعاد معهم وانسحب معهم حيث القى رجال المقاومة الايطالية القبض عليه واعدموه في 28/ نيسان/1945 وقبل يوم واحد من استسلام من تبقى من جنود الالمان.

في الجانب الروسي فان الامريكان ارسلوا للروس كميات ضخمة من العتاد عن طريق ايران وبحر قزوين البعيد عن ساحات القتال بعد ان احتل الروس والانكليز اجزاءاً من ايران منذ صيف 1941، وتحول المد الالماني في روسيا الى انحسار بعد هزيمة ستالينغراد اذ تحول الروس من الدفاع الى الهجوم الشرس والمستمر والناجح، وما جاء عام 1943 الا وكان الروس متفوقين على الالمان مثل تفوق الحلفاء عليهم في شمال افريقيا، ونجح الروس في تحرير مدنهم الكبيرة بشكل كامل وجرفوا الالمان امامهم في كل ساحة وخاصة خلال عام 1944 حيث مُني الالمان بهزائم منكرة في اوكرانيا والبلطيق عندما قام الروس بتطويق عشر فرق المانية وابادتها، كما غزا الروس شبه جزيرة القرم واستعادوها خلال اسبوع بداية صيف ذلك العام واصبحوا صيف ذلك العام عند حدود البلطيق شمالاً وعند حدود بولندا في الوسط وتجاوزوا حدود رومانيا في الجنوب.. فكان ذلك انحساراً واضحاً للمد النازي واستمراراً للفزع الذي اصاب الالمان من نتيجة الحرب بعد ان اصابهم الغرور الشديد في بدايتها.

- المراحل الاخيرة للحرب الثانية ونتائجها -

في اعقاب النجاح الذي حققه الامريكيون والبريطانيون في شمال افريقيا وايطاليا والذي تزامن مع النجاحات العسكرية السوفيتية، رأى الامريكيون وحلفائهم في الغرب ان يمهدوا لفتح الجبهة الغربية باوربا مستغلين حالة التراجع في الاندفاع الالماني والزخم الذي اخذه في العامين الاولين من الحرب، واستغل الحلفاء ايضا حالة التذمر العام للشعوب التي وقعت تحت

الاحتلال النازي مما ادى الى قيام حركات ثورية تقاوم المحتلين في كل مكان من فرنسا الى النرويج مروراً ببولندا ويوغسلافيا وروسيا رغم البطش الشديد للالمان ضد الاخرين وخاصة الروس والبولنديين والجيك وساهم ذلك في اشغال اعداد ليست قليلة من الالمان لمجابهة المقاومة في كل مكان حتى انهم ابقوا اكثر من عشر فرق لمواجهة المقاومين الروس في كل المدن بعدما قام الالمان بقتل الملايين من الاسرى الروس في مذابح رهيبة تؤكد لا انسانية المحاربين رغم انهم اصحاب حضارة راقية.

وفيما كانت حركات المقاومة تزداد حدة ضد قوات الاحتلال في كل مكان، كان الحلفاء يستعدون في ميادين كثيرة لضرب اعدائهم الضربة القاضية النهائية، ففي اعقاب سقوط روما بيد الحلفاء في 4 حزيران 1944 وقعت اعظم حادثة في تاريخ الحرب وهي الانزال الحليف في (نورماندي) الفرنسية في 1944/6/6 باشتراك (326) الف جندي و(100) الف طن ذخائر لكن الحلفاء رأوا قبل الانزال ان يمهدوا له بغارات جوية هائلة للغاية قبل الواقعة بشهور طويلة ضربوا فيها من الجو الجسور والسكك الحديدية والموانئ والقنوات والمصانع في المانيا وفرنسا ضرباً متواصلاً دون توقف ولا رحمة طوال الساعات بهدف القضاء على الانتاج الالماني وبث الذعر بين الناس وكانت الغارات فتاكة جداً ومؤثرة فكان الانكليز يقصفون الاهداف ليلاً فيما يقصف الامريكيون نهاراً باستخدامهم آلاف الطائرات انزلت تدميراً رهيباً بكل شيء في المانيا منذ ربيع عام 1942 وحتى حزيران 1944 قبل ان يقوم الامريكيون بتكثيف الغارات باستخدام قاذفات قنابل ضخمة تحمل قنابل اكثر فتكاً مع الدقة في اصابة الاهداف، وتذكر احدى المصادر ارقاماً تدل على ضخامة الحشد الجوي والقصف الذي استمر عامين كاملين او اكثر فقد ارسل الامريكيون والانكليز طيلة ايام القصف حوالي مليون ونصف المليون طائرة قاذفة واكثر من مليونين ونصف المليون طائرة مقاتلة بطلعات دائمة القت كلها قنابل زاد وزنها على 2,700,000 مليونين وسبعمائة الف طن على الاراضي الالمانية، وبلغ عدد الطيارين والمهندسين الذين شاركوا في القصف 1,335,000 رجل وفقد الحلفاء اربعين الف طائرة و158,000 الف طيار وقتل من المدنيين الالمان حوالي مليون شخص ودمر لهم اكثر من ثلاثة ملايين منزل وخربت كل مدينة المانية تخريباً شبه كامل حتى تحولت الى انقاض، فيما استخدم الالمان قنابل صاروخية طائرة ذات مدى بعيد وسرعة هائلة ضد لندن وغيرها من المدن منذ حزيران 1944 وحتى تشرين اول من ذلك العام، وحافظ الالمان على عزيمتهم وصبروا على ذلك القتل اليومي

واحتملوه برباطة جأش واستمروا في اعمالهم وواجباتهم في مختلف ميادين الحياة رغم الخراب الشامل فانتجوا عام 1944 الاف الطائرات و357 غواصة وازداد انتاج المطاط الصناعي، والحديد والصلب، والمصفحات والمتفجرات وغيرها.

وبالعودة الى الانزال في نورمندي نشير الى ان الامريكيين والانكليز استعدوا للعملية الكبيرة استعداداً واسعاً ليل نهار فقد احتشدت فرق الغزو والمعدات احتشاداً يفوق الوصف في جنوب بريطانيا وقاد الانكليز (مونتغمري) بطل معركة العلمين في مصر، وقاد الامريكان (آيزنهاور) الذي اصبح بعدئذ القائد العام لكل الجيوش ثم صار بعد الحرب رئيس الولايات المتحدة الامريكية، وقد قام ايزنهاور بالتنسيق مع القوات السوفيتية المتقدمة نحو المانيا مما ادى الى تأخير الغزو اربعة اسابيع لكي يتزامن مع هجوم الصيف السوفيتي، وتم تدريب مليون ونصف المليون من الرجال للقيام بعملية الانزال وبناء موانئ صناعية على السواحل.

وبدأ الغزو صباح 6/ حزيران بنزول الجنود على الساحل الفرنسي الشمالي وسط سيطرة بحرية وجوية كاملة للحلفاء مما أدى الى تدمير مواصلات الالمان وايصال المؤن بوفرة عبر البحر بالاستفادة من التفوق البحري لقوات الغزو، وتوقع الالمان ان الغزو حاصل لكنهم لم يتأكدوا انه في نورمندي فيما عدا هتلر الذي توقعه من حيث وقع ودارت معارك ضارية قبل نجاح الحلفاء في الاستيلاء على مدينة (كان) الفرنسية رغم استماتة الالمان في الدفاع عنها.. ثم دار صراع رهيب بالدبابات انتهى باستيلاء الحلفاء على ميناء (شيربورغ) الهام وخسارة الالمان اربع فرق دافعت عنه حتى الموت.. وتقدمت قوات الحلفاء داخل فرنسا من الجنوب والشمال حتى وصلت باريس وحاصرتها فيما كانت المقاومة فيها تضرب الالمان بشدة متناهية حتى سلمت الحامية الالمانية في 25/آب/1944 ودخل (ديغول) باريس.

وهكذا اصبحت المانيا تواجه مخاطر شديدة جداً بالهجوم ضدها من الشمال والجنوب ومن الروس الزاحفين نحوها ومن الطائرات اضافة لرجال المقاومة.. ومع ذلك استمر هتلر بالحرب الطاحنة دون يأس او تفكير بالتوقف لكن الهزيمة تجسدت للالمان وخاصة ضباط الجيش الذين ادركوا ان بلادهم خسرت الحرب، غير ان داعية النازية (غوبلز) كان مستمراً في اعطاء الوعود للالمان بان (النصر) قريب، وقام عدد من الضباط خلال ذلك بمحاولة التخلص من هتلر بقتله ففشلت وقام باعدام المتآمرين بشكل وحشي ونال (رومل) ايضا عقاب الديكتاتور حيث انتحر ثعلب الصحراء دون ان يغير ذلك من تقدم الحلفاء وانتصارهم وخسارة هتلر النهائية، فقد

ازدادت قوة الهجوم السوفيتي في كل مكان واخذ الروس يقتربون من المانيا نفسها بعد ان حرروا جمهوريات البلطيق الصغيرة وبولندا وبلغاريا وجيكوسلوفاكيا فيما كانوا يواصلون عملياتهم العسكرية في البلقان واجبروا الالمان على التراجع واحتلوا بوخارست عاصمة رومانيا ثم احتلوا بلغاريا في ايلول 1944 ثم هاجموا المجر ويوغسلافيا وحررتاهما من الالمان اواخر العام وحدث الشي نفسه مع البانيا واليونان، وامام هذا التقدم السريع والكثيف للسوفيت فان القلق اصاب (تشرشل) من المستقبل وخطورة اتساع النفوذ السوفيتي في البلقان فاجتمع مع (ستالين) في اوائل تشرين الاول واتفق معه في جلسة واحدة ومن خلال (قصاصة ورق) على تقسيم مناطق النفوذ بينهما في البلقان وقد اصبح ذلك المصطلح معروفا لسنوات بعد الحرب للتدليل على بساطة توزيع المغانم بين الدول الكبرى.

في ذلك الوقت من خريف عام 1944 كانت الصورة واضحة فاتفاق ستالين مع تشرشل لتوزيع النفوذ في البلقان بغياب الولايات المتحدة لم يكن الا جانباً من هزيمة المانيا فيما كانت القوات الامريكية- البريطانية- الفرنسية تستعد استعداداً هائلاً للمعركة الكبرى والنهائية وهي (غزو المانيا) بعد ان ازداد التعاون بين الفرقاء الثلاثة الى جانب الاتحاد السوفيتي بشأن الهجوم الاخير لهزيمة المانيا، ففي طهران عقدوا مؤتمراً اواخر عام 1943 واعدوا خططاً لتمزيق المانيا ثم اتفقوا في (يالطا) بشبه جزيرة القرم في اوائل عام 1945 على خطة العمليات الحربية ضد المانيا واحتلالها بشكل مشترك ولقد اضطرت القوات الالمانية الى التراجع من الشرق ومن الجنوب، ومن الغرب الى داخل الحدود الالمانية، وكان ذلك اشارة واضحة جداً على بدء انهيار النازية رغم ان القوات الالمانية قامت بهجوم فاجأ الحلفاء في منطقة (الآردين) منتصف شهر كانون الاول 1944 وكأنه صحوة الموت فقد استطاع الالمان ان ينفذوا خطة جريئة باحداث ثغرة في خطوط الحلفاء طولها 60 ميل والاستيلاء على أهم قاعدة تموينية بحرية في ميناء (انتورب) البلجيكي، ونجح الهجوم الاخير في بث الفوضى في صفوف الجيوش الامريكية وكان هدف الالمان الاستيلاء على مدينة جمع فيها الحلفاء مقادير هائلة من المؤن والعتاد، لكن وفرة القوات الامريكية لدى أيزنهاور منعت الالمان من تحقيق انكسار في جبهة الحلفاء وتمكن الامريكيون اوائل عام 1945 من وقف الهجوم الالماني الذي اخرّ الحلفاء بضعة اسابيع مع تقديم تضحيات جسيمة وايجاد ثغرة نفسية لدى مقاتليهم وقلل من ثقتهم بنصر قريب، لكن الهجوم السوفيتي في الشرق كان اشد فتكاً ونجاحاً في ضرب الالمان حتى ان عددا

من مسؤلي النازية فكروا كما تشير بعض المصادر في الاتصال بالحلفاء في الغرب لتخفيف هجومهم لكي تستطيع القوات الالمانية ايقاف (الزحف الاحمر) الخطير على غرب اوربا، لكن الامريكيين رفضوا فيما راح ملايين الالمان يهربون من امام الروس الذين دخلوا الاراضي الالمانية بداية عام 1945 واصبحوا على بعد 40 ميل فقط من (برلين) فيما لم يتبقَ لهتلر ما يكفي من قوات للقتال بعدما استنفذ هجوم (الآردين) معظم قواته مما ساهم في هزيمته بعد اسابيع.

في 8 شباط بدأ الهجوم الامريكي البريطاني الشامل ضد المانيا واخذت مدنها تتساقط تباعاً من الشرق بيد الروس ومن الغرب بيد الامريكيين والانكليز والفرنسيين وتقدموا ايضا باتجاه الدانمارك وبحر البلطيق وتمكنت القوات الامريكية ان تأسر (ربع مليون) الماني من الجنود، وفي 11 نيسان وصلوا نهر الالب على بعد (60) ميلاً من برلين وانتهت مقاومة الالمان في منطقة الروهر بعد ذلك باسبوع وبدأ زحف الحلفاء بسرعة في قلب المانيا وبدأ الروس يستعدون للاستيلاء على برلين قبل الامريكان فيما كان أمل هتلر الاخير يتمثل في حاميات المدينة من جنوده المستعدين للدفاع عن برلين وهتلر حتى الموت لكي ينتحر اعدائهم على ابوابها واضحت برلين خراباً واكواماً من الحطام دون ان يعترف الزعيم الفوهرر بالامر الواقع، وحاول ايزنهاور ان يسبق الروس في احتلال برلين لكنه واجه صعوبات كبيرة عسكرية ودبلوماسية ومنها طول خطوط الامدادات لقواته، لكن الطائرات كانت تمطر برلين بالاف الاطنان من القنابل يومياً والقت معها الرعب في نفوس الاهالي، ورغم ذلك استبسل الجنود في الدفاع عن مدينتهم التي بدأ الروس يهاجمونها بقوة ابتداءاً من 16/نيسان/1945 ثم تم تطويقها بالاعداء من كل جانب بعد (10) ايام من ذلك وادرك هتلر ان النهاية اقتربت مع عيد ميلاده السادس والخمسين في 20/ نيسان، وفي 28 نيسان كانت الدبابات الروسية قرب مقر هتلر لكن وزير الدعاية النازي (غوبلز) صرح للشعب الالماني بان (يوم النصر قريب)، وما لبث هتلر ان انتحر في 30 نيسان فيما دخل الروس كل برلين في الاول والثاني من ايار (أي في عيد العمال العالمي الشيوعي)، وبسقوط برلين العاصمة انهارت كل مقاومة للالمان انهياراً تاماً والقت الجيوش الالمانية في كل مكان سلاحها واستسلمت بعد هزيمة النازية هزيمة ساحقة، والتقت القوات السوفيتية والامريكية جنوب غرب برلين فيما كانت (زعامة) جديدة واخيرة قد ظهرت في برلين عقب انتحار هتلر لكن النهاية اصابت ذلك البناء النازي الذي توقع له الفوهرر (الزعيم) ان

بعيش 1000 ألف سنة، وفي 7 ايار 1945 وقع الجنرال الالماني (جودل) رئيس هيئة الاركان على وثيقة الاستسلام دون قيد او شرط وانتهت الحرب (في اوربا) تماماً بعد ان دامت (68 شهراً)كاملة دون توقف وكلفت (50) مليون قتيل وشاركت بها (59) دولة اصابها الى جانب القتل في الانفس جرح (80) مليون انسان، وخسائر مادية لا يمكن تقديرها بشكل دقيق

ومع انتهاء الحرب في اوربا بهزيمة المانيا واستسلامها ظلت اليابان تقاتل وركزت الولايات المتحدة وبريطانيا كل مجهوداتهما ومواردهما لقتالها بعد ان هزموها في معارك عدة عام 1944 وبداية 1945 وتم لهما التفوق عليها براً وجواً وبحراً وسحقوا سلاحها البحري قرب الفلبين اواخر عام 1944 ودخلوا العاصمة (مانيلا) في شباط 1945 ولكن القتال الطاحن استمر بعد ذلك لخمسة اشهر واخذ الامريكيون يقتربون تدريجياً من اليابان نفسها وجزرها مما اضطر اليابانيين الى الارتداد رغم استبسالهم في القتال ورغم الحاق الامريكيين من خلال القصف الجوي الواسع باستخدام آلاف الطائرات خسائر مروعة بالسكان والاملاك وخاصة طوكيو، واصبح موقف اليابانيين حرجاً للغاية عندما علموا بانتصار الحلفاء على المانيا وسقوط حليفهم هتلر، وقدم الحلفاء انذاراً نهائياً لليابان في 26/تموز/1945 بعد ان هيأوا (3000) سفينة ومليون مقاتل ضدها وخيروها فيه بين الاستسلام الكامل او انزال الخراب التام بها، لكنها استمرت في القتال الشرس وقامت الولايات المتحدة لاول مرة في تاريخ الحروب بين البشر باستخدام سلاح جبار ومخيف هو السلاح النووي في 6/أب ثم في 9/أب محدثة تدميراً وتقتيلاً ليس له نظير من قبل فخسر اليابانيون في قصف القنبلة الاولى (400) الف قتيل وجريح وفاقد مأوى، وتسلل ستالين في 1945/8/8 باعلان الحرب على اليابان وهي في الرمق الاخير واعلن زعمائها في 10/أب عقد الهدنة وفقاً لما قرره الحلفاء، وفي 2/أيلول وقع المندوبون اليابانيون وثيقة التسليم على ظهر بارجة امريكية، وبذلك انتهت الحرب في كل مكان من العالم، بعد (6) سنوات تماماً من اندلاعها في الاول من أيلول 1939، مخلفة شقاءاً وألماً واسعين في جميع البلدان التي ساهمت بها او اكتوت بنارها رغماً عنها، وكان الكابوس الحقيقي في البلدان الاساسية التي ساهمت في الحرب الثانية هو (حالة الخراب الاخلاقي)، وبرزت في فرنسا وغيرها مشاعر الغضب ضد الالمان وعملائهم مما أدى الى مقتل واعتقال الآلاف قبل ان يقرر الحلفاء عقد محكمة دولية لمحاكمة كبار قادة النازية في مدينة (نورمبرغ) الالمانية التي كان هتلر يقيم فيها مهرجانات الحزب النازي، وحكم على عدد منهم بالاعدام وتم اعدامهم فيما

انتحر عدد من شخصيات الحزب قبل او خلال المحاكمة ومنهم (غوبلز) و(هملر) زعيم الشرطة السرية المخيفة، و(غورنغ) قائد القوة الجوية الالمانية، وخلال المحاكمة ابدى رئيسها استغرابه واستهجانه من انخراط (المثقفين) الالمان مع الرعاع في الحزب النازي الفاشي الديكتاتوري ووجد المنتصرون صعوبة بالغة في العثور على (المان) غير نازيين لادارة ما تبقى من بلادهم حيث قسمها الحلفاء فيما بينهم الى جزء محكوم من السوفيت في الشرق وقسم اخر في الغرب محكوم من قبل البريطانيين والفرنسيين والامريكيين، وهكذا انقسمت المانيا قسمين يعادي احدهما الاخر حتى انتهى ذلك بعد (45) سنة بتوحيدها بعد سقوط الاتحاد السوفيتي.

وبالعودة الى ما نجم عن الحرب الكريهة التي شنها هتلر مدفوعاً مع الذين حاربهم باطماع لا حد لها نشير الى احصائيات اقرب الى الصحة فقد توقفت المصانع عن العمل تماماً في المانيا بعد تحطيمها، واصبحت المدن والقرى الالمانية كوماً من حجارة مثلما هو الحال في هولندا وايطاليا، وتم تدمير 55,000 الف مصنع في فرنسا و135,000 منشأة زراعية، ومليوني مسكن، واكثر من 7000 سبعة الاف كيلومتر من السكك الحديد و7500 جسر، وتم تدمير منازل ومنشآت كثيرة في بريطانيا وخسارتها مليارات الدولارات في الداخل والخارج فيما تهدمت في روسيا مدن لا تقل عن 1700 مدينة واكثر من 170,000 الف قرية واصبح 25 مليون انسان يعيشون في العراء وتحطم 30,000 الف مصنع، ونهب النازيون 20 مليون رأس من الماشية والخيول، ولاجل تحقيق النصر السوفيتي على المانيا خسر الروس من العسكريين والمدنيين 18 مليون قتيل اضافة لخمسة ملايين من الاسرى لم يعودوا، ولهذا كان الانتقام الروسي ضد الالمان رهيباً.

وحدثت مشاكل اجتماعية لا حصر لها من البؤس، والفقر، والخوف، وملايين الاسرى في كل البلدان، اضافة لملايين اخرى من المشردين، واللاجئين مع ضرورة اعادة عشر ملايين عامل اخذتهم المانيا من بلدان شتى الى بلادهم بعد تحريرهم، وقام صراع سياسي في البلدان التي تم تحريرها من النازيين مما اظهر الى الواقع خلافات ايديولوجية وظهور ثورات اجتماعية ادت الى حروب اهلية في بعض البلدان كما حركت بلداناً عدة ضد الاستعمار لاجل التحرر منه في آسيا وافريقيا وضعفت بريطانيا وفرنسا وبرزت الى العالم قوتان عظيمتان هما الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، وتم تأسيس الامم المتحدة وفقاً لميثاق الاطلسي الذي وقعته بريطانيا والولايات المتحدة لتدخل المنظمة الدولية أية دولة اعلنت الحرب ضد المانيا كما فعلت

بعض الدول العربية ومنها العراق وبسبب الحرب فان الافكار تفتقت عن امور جديدة وهكذا ظهرت اسلحة حديثة جداً غيرّت من مفاهيم الجغرافية السياسية ولم يعد احد سالماً من الدمار الشامل اذا ما قامت حرب (نووية)، وتغير الوضع السياسي في العالم بعد ان اتفق المنتصرون خلال الحرب وبعدها على اقامة السلام وفقاً لمصالحهم حيث اخذت الخلافات تظهر فيما بينهم سريعاً وهو ما سنتناوله لاحقاً مما يستدعي اعادة بناء النظام العالمي بعدما سادت المنافسات القومية والجشع الاستعماري كل اوربا فكلفها وكلف البشرية حربين ضروستين لا مثيل لهما عبرالتاريخ في أهوالهما مما ينبغي معه النظر بتعقل الى ما حدث والاستفادة منه لكي لا تتكرر مأساة قيام نظام يظن انه متفوق سياسياً وقومياً مثل النظام الفاشي مما جر على العالم حرباً كارثية ونزاعات لا نهاية لها، وهي منازعات انبثقت عن حركة القوميات الاوربية اصلاً.

موجز عن تطورات اهم دول اوربا بعد الحرب الثانية

نتج عن الحرب الثانية رسم خارطة سياسية جديدة في اوربا اذ لم تخرج دولة اوربية سالمة من ويلات الحرب وآثارها على الاوضاع العامة وتطورات الدول الاوربية الاساسية وفي صفحات قليلة سنوجز اهم التطورات التي حدثت في تلك الدول التي شاركت ايضا في الحرب الباردة.

في فرنسا بدأ تاريخها الجديد بانزال الحلفاء قواتهم في نورماندي يوم 1945/6/6 وتحرير اول جزء من البلاد وقيام اول سلطة فرنسية حرة قبل الدخول الى باريس يوم 25/أب ومواجهة مشاكل لا حصر لها، فهناك شعب جائع مزقته المحن والآلام ولا تصله المؤن بيسر بسبب تحطم او اضطراب المواصلات الى جانب قيام الجماعات المسلحة المتعطشة للثأر بقتل وملاحقة من هادن او تعاون مع المحتل النازي، ولم يكن للدولة اجهزة ادارية ولا قوانين للامة ولا مكانة لفرنسا في العالم واصبحت فرنسا تبحث عن السلام، والنظام، والغذاء، وبدأ العمل لتأمين الغذاء واصلاح المواصلات، والاذاعة، والمطارات، والموانئ والمناجم اضافة الى الحاجة لتأمين عودة مليونين ونصف المليون من الاسرى والمنفيين من قبل الالمان، وأمن الفرنسيون بأن (المحررين الامريكيين الابطال) سيغمرونهم بالهدايا والموارد التي لا تنتهي وان عودة الامور الى نصابها لن يأخذ من الوقت الا اسابيع او اشهر.. الى اخر تلك الاوهام التي ولّدت لدى الفرنسيين خيبات أمل فظيعة، وخلال ذلك كان ديغول الشخصية الاساسية الفاعلة والنشطة في

فرنسا يعالج المشاكل ويؤطر لمستقبل واعد لبلاده ويعمل على المشاركة في تحرير ما تبقى من مدن فرنسية يحتلها الجيش الالماني.

ومع انتهاء الحرب بدأت حملة اصلاحات واسعة في مختلف المؤسسات ومعالجة اثار مقتل ملايين الفرنسيين بسبب الحرب، وعمل ديغول على اعطاء فرنسا (مكانتها) بين الكبار رغم انها لم تكن تملك ادوات القوة لكنها حصلت على مكانة في احتلال اجزاء من المانيا ومكانة في الامم المتحدة ومجلس الأمن ثم في حلف الاطلسي بعد ذلك بقليل كما عمل الرجل على تغيير الدستور حيث سقطت الجمهورية الفرنسية الثالثة التي كانت قد قامت بعد اندحار فرنسا في حرب السبعين ضد الالمان في 1870، وقامت الجمهورية الرابعة بعد الحرب الثانية وواجهت حياة صعبة وكان اخطرها الحرب الباردة والاختلافات السياسية والفكرية العميقة داخل المجتمع الفرنسي ثم مواجهة الثوار في الجزائر العربية وفي الهند الصينية (فيتنام) اللتان كانتا تحت احتلال الاستعمار الفرنسي، ومثال على الخلافات بين السياسيين في فرنسا فقد اصبح (11) سياسي فرنسي رئيساً للوزارة بين 1947- 1951 حيث واجهوا اضرابات وصدامات عنيفة وتخريبات ومواجهات مسلحة مما يجعل المتابع لما جرى في فرنسا وفي غيرها ينبه الى (جريمة الحرب) في كل وقت وكل مكان فليس ورائها الا الدمار والأحزان والضياع وليس كما زعم دكتاتور ايطاليا الفاشي بان الحرب للرجل مثل الامومة للمرأة فاذلّه الله عندما علقت جثته (مقلوبة) في بلاده.

ورغم المشاكل التي واجهتها الجمهورية الرابعه فانها شاركت فعلاً في الدعوة لتأسيس (الاتحاد الاوربي) مثلما تسببت وشاهدت نهاية الامبراطورية بفشل فرنسا في فيتنام ومصر عام 1956 ثم عنف وقوة الثورة الجزائرية المباركة التي أدت الى سقوط الجمهورية الرابعة وقيام الجمهورية الفرنسية الخامسة عام 1958 وعودة ديغول للسلطة التي ظل فيها اكثر من عشر سنوات دعا خلالها الى ما اسماه (سلام الشجعان) في الجزائر رغم الظلم القاسي الذي عاناه الجزائريون على أيدي الجيش الفرنسي السري الذي قتل مئات الالوف من المسلمين الجزائريين المدنيين حتى اضطرت فرنسا الى الدعوة للتفاوض في (إفيان) وأدت الى الاعتراف باستقلال الجزائر عام 1962 وعاد ديغول للرئاسة الفرنسية عام 1965 ثم اتخذ خلال ذلك اجراءات (استقلالية) ومنها وقوفه مع العرب عام 1967 لكن ديغول واجه بعد عام واحد (ثورة الطلاب) قادها دانيل كوهين ضد تصلب التعليم العالي فاحرق هؤلاء كل شيء في الشوارع مع

الاضرابات العامة التي جعلت البلاد في حال اضطراب وفوضى وخسائر كبيرة مالياً. وتخوف كثيرون من وقوع كارثة فتماسكوا بعد انسحاب ديغول من الحكم ومجيء رؤساء مثله من بعده اي ساروا على سياسته حتى عام 1980 عندما تولى اليساري (بومبيدو) الرئاسة ليظل فيها حتى عام 1994 وقيام فرنسا بتزعم الاتحاد الاوربي.

وفي بريطانيا لم تعد الحياة للسكان بعد الحرب مثلما كانت قبل ذلك بعشرين سنة وعندما استسلمت المانيا لم يبقَ الا ذكرى ما كان في السابق يؤلف المجتمع البريطاني وسياسته الخارجية وحياته الاقتصادية وظلت مآسي الحرب وتطوراتها المخيفة حتى اخر يوم من الحرب الى حد ان (5) ملايين رجل بدأوا خدمة العلم في عام انتهاء الحرب الى جانب (4) ملايين مدني ناشطين في خدمة الحرب وبلادهم في اوربا والشرق الاوسط وافريقيا والشرق الاقصى وسط اجراءات مزعجة من الحياة بالبطاقة التموينية، وما ان انتهت الحرب بانتصار الحلفاء وفوز تشرشل بها الا وقام الناخبون الانكليز باستبداله بزعيم حزب العمال (كليمنت اتلي) وسط تعجب العالم من ذلك لكنها الديمقراطية وحب الانكليز وغيرهم للتغيير ذلك ان تشرشل (رجل الحرب القوي) اثبت زعامته الفذة في الحرب فلما حل السلام اراد المواطنون رجلاً اخر يناسب فترة السلام مع الاحتفاظ بكل التقدير لرجل الحرب.

عمل حكام بريطانيا الجدد على معالجة آثار الحرب ونتائجها المزعجة وتطلب ذلك ترك المستعمرات والاكتفاء ببعض المناطق ذات الاهمية الستراتيجية والرضا برابطة الشعوب البريطانية بديلاً عن الامبراطورية البريطانية التي كانت الشمس لا تغيب عنها قبل قرن من ذلك، ولم تكن الرابطة الا رابطة عواطف ضعيفة، وراح زعماء بريطانيا يركزون جهودهم لازدهار بلادهم لا بمجد امبراطورية غابرة، ومن هنا صار الاهتمام برفاه الدولة، واصلاحات التعليم، وتوظيف الموظفين الاداريين، والسكن، وتنمية التقنيات العلمية، واصلاح ما خربته الحرب، واقتربت بريطانيا من الثورة الصناعية الثالثة لها فبعد الثورة الاولى (ثورة الفحم والحديد) جاءت الثانية (ثورة النفط والكهرباء) لتأتي الثالثة (ثورة الذرة).

في مجال اخر انتهى الحلف الكبير الذي تشكل خلال الحرب في ظل شخصيات تشرشل وروزفلت وستالين واخذت بريطانيا تعمل لاجل تقوية مركزها بين الكبار الجديد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي حتى اصبحت دولة نووية هي ثالث دولة في العالم وذلك عام 1947 غير ان ذلك لم يخف المشاكل الاقتصادية التي واجهتها بعد الحرب وخاصة الديون عليها وعالجت

الامر باعادة تصدير منتجاتها الجيدة الى العالم وساهمت في قيام حلف الاطلسي عام 1949 ووقفت مع امريكا ضد الاتحاد السوفيتي، وانسحبت من فلسطين لتترك المجال امام قيام اسرائيل، كما ان بريطانيا اخذت تقلل من تواجدها العسكري في اكثر من مكان تخفيفاً للاعباء غير ان المحافظين عادوا للحكم عام 1951 برئاسة تشرشل مع ايدن ووصلت البلاد خلال ذلك الى شيء من الرخاء الاقتصادي رغم المنافسة الكبيرة للمنتجات البريطانية عالمياً، وخسر ايدن مركزه بعد فشل الهجوم على مصر عام 1956 وحل محله ماكميلان لكن الولايات المتحدة اخذت تتدخل في كل سقطة تقع فيها بريطانيا وفي أي مكان من العالم تحل محل الانكليز فيما كانت هناك خلافات مع فرنسا بشأن دخول الاتحاد الاوربي، حتى بعد عام 1964 حينما عاد العمال الى الحكم وكان لهم موقف خجول من حرب امريكا في فيتنام وساروا وراء الموقف الامريكي من حرب حزيران ثم انسحبوا من شرق السويس ثم من عدن، واخذ الحكم يدور بين العمال مرة والمحافظين مرة اخرى فيما ظل لبريطانيا دورها رغم تراجع ذلك الدور عالمياً، وظلت قوية بحيث استطاعت بعد سنوات كثيرة ارسال قوة الى قرب الارجنتين والدخول معها في حرب جزر (فوكلاند) والتي انتصر فيها الانكليز على عهد ماركريت تاتشر المعروفة بالمرأة الحديدية، كما كان لبريطانيا دورها في الحروب التي شهدتها منطقة الخليج العربي اضافة الى دورها القيادي في الاتحاد الاوربي بعدما اصبحت عضواً فيه وساهمت في ايجاد العملة الاوربية الموحدة (اليورو) الى جانب كثير من الانشطة الدولية الاخرى مع استمرار الرفاه الاجتماعي والرخاء الاقتصادي في الداخل حتى منتصف التسعينيات من القرن العشرين عندما تولى (توني بلير) رئاسة الحكومة العمالية.

في المانيا التي كانت عام 1940 اقوى قوة عرفها التاريخ الانساني، فانها لم تعد موجودة منتصف عام 1945، لانها اصبحت تحت اربع جهات محتلة لها فقد زالت الدولة ونظام الحكم قبلها، غير ان ذلك لم يعن الغائها تماماً، فقد تقرر مصيرها في ختام مفاوضات معاهدة سلام، ورسمت حدودها بيد الجيوش المنتصرة عليها، لكن الالمان عملوا جهدهم وخاصة في الغرب من المانيا، على الخروج من دمار الهزيمة الجذرية الكاملة الماحقة وما نجم عنها من ظروف حياتية لا تطاق حتى استطاعوا بناء اقتصاد متين تدريجياً مع توازن اجتماعي طيب، فيما حاول الالمان في القسم الشرقي من المانيا الحفاظ على وهم مفاده ان تقسيم المانيا مؤقت جداً.

في ايلول 1949 تألفت الجمهورية الالمانية الاتحاديه وضمت الجزء الذي تحتله قوات امريكية وبريطانية وفرنسية، وبعد ذلك بشهر تم تأسيس الجمهورية الديمقراطية الالمانية وهي منطقة

الاحتلال السوفيتي وظلت برلين قانونياً تحت اشراف الاحتلال الرباعي، وقد جاء الى المانيا في الاسابيع الاخيرة من الحرب (14) مليون الماني من مناطق اخرى في بولندا مثلاً. جاؤوا هاربين من الغزو السوفيتي الكاسح حيث اقتلعهم من جذورهم، وفقدت المانيا عام 1945 عن المانيا 1937 ما يقدر بـ(114) الف كيلومتر وقسمها الاحتلال الى قسمين خصمين عند حدود اصطناعية وصار الحرس في الجانب الشرقي يسهرون لمنع اي الماني يريد الانضمام الى الجانب الغربي، فيما صار الحرس في الجانب الغربي ينتظرون الهاربين لاستقبالهم ومساعدتهم.. ووراء هؤلاء الحراس الاخوة الاعداء هناك جيوش معادية لبعضها ومسلحة بالسلاح النووي ثم قسمت العاصمة من خلال سور بناه الشيوعيون في اب/1961 وقد صار مثالاً قاسياً على تمزيق المانيا وكأنه تقسيم لاوربا.

في المانيا الغربية ظهرت شخصيات سياسية واقتصادية مرموقة تمكنت ان تعيد الحياة الى جسم الاقتصاد وهي كل من (ايرهارد) و(اديناور) فعاد الانتاج الصناعي، وتم امتصاص البطالة خلال عامين، وصار لالمانيا تجارة خارجية، وظهرت البضائع في المخازن، وتم انشاء المجلس الاقتصادي الالماني مع مشاكل العلاقة مع الشرقية فقد قام الروس بمحاصرة برلين الغربية الواقعة في القسم الذي يحتله الجنود الروس واستمر الحصار اكثر من عام لكنه انتهى بفشل سوفيتي امام الاصرار الامريكي على تقديم كل احتياجات سكان برلين الغربية من خلال جسر جوي مستمر نقل اطناناً من المواد لهؤلاء السكان، ثم اصبح حلف الاطلسي يحمي المانيا الغربية بقوات تصل الى اكثر من ربع مليون جندي معظمهم امريكيون وسط تقدم كبير لالمانيا وخاصة في المجال الاقتصادي حتى اصبحت بعد عشرين سنة من انتهاء الحرب تمثل ثالث اقتصاد في العالم غير ان انقسامها ظل يؤرق اهلها ويؤلمهم سنين طويلة حتى أدت التطورات في الاتحاد السوفيتي اواخر الثمانينيات الى اعادة توحيد المانيا وعاصمتها برلين.

في مواجهة الدول الاوربية الغربية الثلاث بريطانيا وفرنسا والمانيا، وقف الاتحاد السوفيتي بلداً قوياً، مخيفاً، وعنيفاً بعدما انتصر انتصاراً ليس له نظير في الحرب العالمية الثانية واراد ان يستثمر ذلك في مد نفوذه الى شرق ووسط وغرب اوربا وفي خارج اوربا ايضا بما في ذلك المنطقة العربية.

في شباط 1945 تحدد مصير العالم بعد الحرب خلال المؤتمر الذي عقده القادة الثلاث في يالطا بشبه جزيرة القرم على رأسهم ستالين ومعه تشرشل وروزفلت الرئيس الامريكي، وكان

على رأس القائمة تحديد مصير اوربا التي تم (تحريرها) من الالمان، وكان روزفلت يأمل كما امل ويلسن الرئيس الامريكي الديمقراطي خلال الحرب الاولى، يأمل في قيام عالم متآخي تحكمه العدالة والسلام من خلال منظمة عالمية كانت عصبة الامم بعد الحرب الاولى واصبحت هيئة الامم المتحدة بعد الحرب الثانية اما ستالين فكان يبحث عن امور اشد خصوصية لبلاده بأن يؤمنها ضد أية محاولة لاعادة الروح العسكرية الالمانية، ومنح بلاده منطقة نفوذ في اوربا بشكل يؤمنها ضد أي تهديد ابداً من اوربا مع حذره من مستقبل العلاقة مع الغربيين شركائه في الحرب لان روزفلت كان معجباً جداً بستالين وشخصيته القوية عكس تشرشل الذي ابدى تخوفه من طلبات واطماع الزعيم الشيوعي لكن المؤتمر اعترف بسيطرة الاتحاد السوفيتي على النصف الشرقي والجنوبي لاوربا وما ان انتهت الحرب باستسلام الالمان الا وبدأ الاتحاد السوفيتي يحسب ما خسره وما ربحه او سيربحه فكان الميزان رهيباً اذ خسر من الارواح (18) مليون قتيل عسكري ومدني واكثر من (3) ملايين اسير اكثرهم ما عاد الى بلاده وملايين كثيرة جداً من الجرحى والمعوقين وتدمير (32) الف مشروع صناعي واتلاف (71) مليون هكتار من الاراضي الزراعية مما فرض على ستالين مهمات صعبة وتحقيقها اصعب مالياً بعد ان رفض بسخرية صدقات الامريكان وصمم على ارتقاء البلاد بامكاناتها.

أهتم بالصناعات الثقيلة بهدف الوصول الى مستوى الصناعة الامريكية المتطورة بل والتغلب عليها وهكذا امر الجميع وبالملايين لكي يشاركوا معاً لتحقيق تلك الاهداف رغم الجراح والموت والدمار والتعب الذي اصاب كل الروس حينها وعددهم (170) مليون نسمة.

في نفس الوقت كان ستالين وهو يأمر ببناء البلاد وبالقوة فانه كان متعباً ومرهقاً لحلفاء الامس بل وكان فظاً ووقحاً ايضاً معهم اراد ان يحول لصالحه ولصالح بلاده كل المقررات الصادرة عن المؤتمرات التي عقدت بين الحلفاء زمن الحرب في موسكو وطهران عام 1943 وفي يالطا 1945 وبوتسدام الالمانية في آب 1945 بعد انتهاء الحرب، واراد اقامة سور من الدول تحميه من أية مخاطر فاصبحت جيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبولندا وبلغاريا والمانيا الشرقية كلها تحت سيطرته مما جعل تشرشل يصف الوضع ذاك بانه (ستار حديدي) تم اسداله على اوربا ولا احد يعرف ما يحدث وراء ذلك الستار المخيف وكان ذلك في الواقع بداية للحرب الباردة.

كان ستالين سيداً مطلقاً في امبراطوريته التي تمتد على (22) مليون كيلومتر مربع ونصف المليون او ما يعادل (45) مرة مساحة فرنسا ويجمع بين يديه كل وسائل السلطة الرئيسية

واصبح (المعبود) المخيف الذي وصل التطرف في عبادة الفرد مما لا يمكن تصوره الى حد الجنون والاجرام طبعاً حتى صارت البلاد تعيش اجواء الارهاب تماماً اذ كانت حملات (التطهير) تصيب العسكريين والمدنيين بين وقت واخر.

وفي بداية عام 1953 اشيع عن مؤامرة دبرها اساتذة واطباء ضده مما استدعى حملة اخرى من حملات الاعدام لكن القدر كان بالمرصاد لهذا الرجل اذ مات في الخامس من اذار من ذلك العام وبعد ان طمأن بيان قيادي الى ان اسم ستالين سيعيش في قلب كل الروس وكل البشرية فان القادة الجدد ما لبثوا وقد تحرروا من الخوف ان هاجموه وهو ميت كما فعل (خروتشييف) الذي اصبح الرجل الاول في الاتحاد السوفيتي سنة 1958 بعدما القى خطاباً في قيادة الحزب اوائل 1956 وضم اكثر من (100) صفحة أفاده لتسلق السلطة ووضع ستالين على (مشرحة التاريخ)، وتمكن الاتحاد السوفيتي خلال ذلك من تحقيق اكبر انجاز علمي عرفه الانسان باطلاق قمر صناعي الى الفضاء وانطلاق اول انسان الى الفضاء الخارجي وهو الطيار (يوري غاغارين) الذي اشتهر عالمياً.

ومرت السنين وحدثت تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية مع تغييرات في القيادة السوفيتية كانت اعقل قيادة سوفيتية، واستمرت في انعاش الاقتصاد وزيادة قوة الصناعة وانتاج السلع الاستهلاكية مع وجود حرمان شديد لدى كل الناس من الامور الترفيهية فيما عدا قيادات الحزب الشيوعي فقد عاشت مرفهة في فلل مؤثثة وسيارات فارهة ورواتب جيدة ومكانة عالية في المجتمع البائس حتى انتقلت عدوى ذلك الى اقطار اخرى خارج الاتحاد السوفيتي ومنها بالطبع اقطار عربية وافريقية، وقد اظهر الشباب الروسي استياءاً وسخطاً على الحياة رغم ان البلاد صارت تنتج ملايين الاطنان من النفط والفحم والحديد والمكائن والسيارات والمحاصيل المختلفة، ورغم عدم وجود عاطلين عن العمل لكنه عمل بأجر ضعيف زهيد وحياة محدودة الامكانيات جداً مع توفر الأمن لابسبب الرضا والرفاه بل بسبب الخوف الذي استمر بشكل أقل مما كان عليه في عهد ستالين، وتكفي الاشارة هنا الى ان الشخصية التي تولت القيادة بعد وفاة (بريجينيف) اوائل الثمانينيات وهو الذي كان يحكم منذ عام 1964، تلك الشخصية التي حكمت بعده كانت المسؤولة الاولى عن المخابرات السوفيتية الشديدة البطش (اندروبوف) لكن الاتحاد السوفيتي حظي اخيراً بالرجل الذي غيرّ خارطة العالم السياسية باسقاطه له وهو (غورباتشوف) وفي عهده انتهت تماماً الحرب الباردة.

8

الفصل الثامن

الحرب الباردة والادوار التي مرت بها

1947 – 1981

شكل سقوط برلين الدليل القاطع على الهزيمة بالنسبة للشعب الالماني، وكان خوف الانكليز من قيام الروس لوحدهم باسقاطها ان يثير (حالة فكرية) تزعج الغربيين بعدئذ وتسبب لهم الكثير من المتاعب الخطيرة والقاسية في المستقبل لذلك كان راي (تشرشل) الزحف سريعاً لاحتلال برلين من قبل الامريكان والانكليز دون ان يفهم الامريكيون ما كان تشرشل يفكر به للمستقبل الاوربي وعبر عن ذلك في مذكراته المشهورة (عندما توجد الذئاب فعلى الراعي ان يحرس قطيعه جيداً حتى وان لم يكن شخصياً يحب لحم الغنم)[1] وهو قصد ان تقوم امريكا بحماية اوربا من ستالين وطمعه الشديد فيما كان الامريكيون (معجبين) تماماً بستالين!! مؤكداً في مذكراته انه كان يشعر بكابوس من المخاوف والقلق يملأ عقله عندما اخذت (الاستعمارية الروسية) تمارس ضغطها دون ان ترى حداً لمطامعها ورغبتها المطلقة في السيطرة كما قال وكان ذلك قاعدة الحرب الباردة،

بعدما وجد الاوربيون ان ما لمسوه من الحرب كان كابوساً بل حقيقة من خراب شامل واهوال شديدة اذ قضت الحرب على كل تقاليد الاجداد الاوربيين وانتاب مفكري اوربا رعب وقلق مما شاهدوه من تدمير المدن التاريخية مثل برلين وباريس وفينا.

لكن الخراب المادي لم يكن الا ظاهرة مأساوية للخراب الذي حل بـ(الاخلاق) ووجد الاوربيون ان الروس لم يكونوا راغبين في تحرير اوربا من بطش النازيين الالمان بل هم راغبون في (استعباد) اوربا لذلك اتجه الاوربيون الى (الامريكان) لانهم ارحم من الروس السوفييت وان كان الاثنان (غاصون في جنونهم التكنولوجي) الكئيب، وجاء تفجير القنبلة الذرية ليعلن عن تطور رهيب لوسائل التدمير اشد فتكاً واوسع تدميراً، حتى ان حرباً نووية اذا قامت فان (200) مليون انسان سيموتون خلال ساعات ويقتل مئات الملايين من الحيوانات، وتزول النباتات من مساحات واسعة وتلتهم الحرائق مدناً كاملة، وتهدد الغيوم الاشعاعية حياة من تبقى حياً.

1. تشرشل/ المذكرات ص1496

لقد طهرت الحرب الثانية العالم من ديكتاتوريات الفاشية والنازية والقومية ومن بعدها الشيوعية، وراح الناس يطلبون اعادة القيم والمبادئ الانسانية المطهرة للنفوس، بعدما اثرت الحرب على شعوب الارض قاطبة، لكن الحرب أدت الى تقدم علمي وصناعي بشكل اكبر من الايديولوجيات والعقائد واكثر تأثيراً في تطوير حياة الشعوب والعلاقات فيما بينهم، وصار التقدم التقني يقرب تدريجياً من الدول التي تختلف ايدلوجياً.

وبعد فما هي الحرب الباردة وما هو مفهومها وما هي تطوراتها؟

أُستخدم مصطلح (الحرب الباردة) منذ عام 1946 واصبح معبراً عن الصراعات السياسية والاقتصادية والايديولوجية التي تشبه انصاف الحروب، ويمكن اعتبار مؤسس وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية (ألن دالاس) احد منظري ومنفذي الحرب الباردة كما يرى كاتب روسي يذكر ان الامريكان بدأوا اواخر الحرب الثانية بتوجيه حرب سيكولوجية (نفسية) للتأثير على امزجة ووجهات نظر الاعداء والاصدقاء على السواء بما يحقق مصالح واهداف الولايات المتحدة، ثم اصدر مجلس الامن القومي الامريكي بعد الحرب مذكرة دعا فيها الى انتهاج سياسة هجومية دعائية ضد الشيوعية لتقوية القوى المناهضة لها في العالم اجمع لاجل (تقويض) الاتحاد السوفيتي واسقاطه.

لقد اتضح منذ عام 1947 انه لا أمل في عقد تسوية عالمية ترتكز على اتفاق بين الكتلة الغربية (الديمقراطية) والكتلة الشيوعية الشرقية مع عدم وجود أمل لتوحيد المانيا قريباً وصار الحلفاء السابقون مختلفين واخذوا يراقبون بعضهم ويعززون مواقعهم لاية مجابهة محتملة، واتسعت الازمة مع الوقت وفيما لم يعد الاوربيون يعيشون حالة حرب من الناحية القانونية فانهم لم يعيشوا في سلام كامل، وبلغت الازمة حداً واسعاً في حزيران 1948 عندما حاصر السوفييت جميع الطرق والخطوط الحديدية والطرق المائية التي تصل برلين الغربية بالمانيا الغربية (وكان القسم الشرقي من المانيا قد احتله الروس وفيه العاصمة برلين فيما احتل الغربيون القسم الغربي من المانيا وتم الاتفاق على تقسيم برلين الى شرقية تتبع الروس وغربية تتبع الغربيين لكنها تقع ضمن المانيا الشرقية دون ان يكون لها اتصال جغرافي بالمانيا الغربية) ونتيجة لذلك الحصار الذي هدف منه الروس (ترويع) الغرب وضم برلين كلها لالمانيا الشرقية،

كرست الولايات المتحدة جهدها لفك الحصار الروسي بتنظيم جسر جوي لتموين قسم المدينة الغربي واستمر ذلك حتى مايس/ ايار 1949 مع جو من القلق والخوف حتى توقف الحصار، بعدما نجح الامريكيون في ارسال مليون طن من المؤن الى برلين.

وخلال اربع سنوات كان الامريكيون يمتلكون التفوق بسلاحهم الذري مقاومين ضغوط موسكو بشكل حاسم وافشال أية محاولة روسية للتوسع من خلال تطويق الروس الذين امتلكوا السلاح الذري في ايلول 1949 وصار هذا الحادث العظيم دليلاً على عدم انتهاء الحرب الباردة مع قيام (توازن الارهاب النووي) مع سيطرة الاتحاد السوفيتي على بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبلغاريا والبانيا ويوغسلافيا اضافة لالمانية الشرقية واجزاء من النمسا تسير كلها وبالقوة بالفلك الشيوعي، وقامت انظمة حكم فيها تحت التأثير السوفيتي الواضح الفاضح، ونظراً لمعرفة الروس ان الغربيين لا يكنون لهم المودة فان القطيعة بدأت واخذت تتسع وصار واضحاً ان العالم قد انقسم الى كتلتين عظيمتين تمثلهما امريكا والاتحاد السوفيتي ولم تعد اوربا الغربية مركز القوة الدولية.

خرجت الولايات المتحدة بعد الحرب وهي اغنى واقوى دولة على وجه الارض بينما تصدعت دول اوربا، فيما قفز الاتحاد السوفيتي الى مركزه العالمي مستفيداً من مساحته الكبيرة الضخمة المتصلة، وحجم السكان الكبير، والموارد الطبيعية الهائلة، لكن الولايات المتحدة تزعمت العالم الغربي واخذت على عاتقها مواجهة العالم الشيوعي ولاجل ذلك خصصت اموالاً كبيرة لاوربا الغربية ولكل (الشعوب المحبة للحرية) لمساعدتها على الوصول الى حياة افضل. وكان الهدف من ذلك المشروع الامريكي عام 1949 الانتصار في الحرب الباردة التي كانت فترتها الاولى انتقالية بين 1945–1947 حيث انتهى التحالف العظيم الذي سحق المانيا النازية، فيما كانت فترتها الثانية ممتدة من 1947-1949 حيث وصلت الى ذروتها.

في **الفترة الاولى** عزم الاتحاد السوفيتي على تقوية نفسه بالسلاح وتأمين حدوده بدول تضم (100) مليون نسمة فيما ارادت امريكا ايجاد اداة دولية تأخذ على عاتقها حفظ السلام العالمي فكانت هيئة الامم المتحدة، وارادت ايضا سحب قواتها من اوربا سريعاً اذ كان لديها هناك عند انتهاء الحرب (12) مليون جندي فاصبح اكثر بقليل من مليون ونصف المليون جندي

في حزيران 1947.

في الفترة الثانية جاء مشروع مارشال الامريكي لدعم اوربا اقتصادياً ودعم تركيا واليونان ماليا وعسكريا لمكافحة الشيوعيين فيما دعا النظام السوفيتي شيوعيي الدول الغربية الى العمل ضد حكوماتهم من خلال الاضرابات والمظاهرات والعصيان، ونقل النظام الشيوعي نشاطه الى آسيا في الهند الصينية وبورما واندونيسيا وغيرها حيث قامت حرب العصابات وانقلبت الحرب الباردة الى حرب ساخنة في كثير من بلدان العالم، وسط سباق للتسلح الذري بين القطبين ولاجل تنظيم العمل الغربي ضد الشيوعية تأسس حلف شمال الاطلسي في نيسان 1949 وضم في بدايته (12) دولة اوربية اضافة لامريكا راعية الحلف، وقام في المقابل حلف (وارشو) (وهي عاصمة بولندا) وضم الدول الواقعة تحت النفوذ الشيوعي وقاد الاتحاد السوفيتي ذلك الحلف الذي اصبح اداة المواجهة السوفيتية الرئيسية ضد الحلف الاطلسي، وبدأت المبارزة بين الحلفين وسط خوف العالم من اية حرب نووية، غير ان الولايات المتحدة اتبعت سياسات تدريجية في تعاملها مع الخطر فهي حاولت عزل واحتواء النظام السوفيتي حتى ينهار وتنهار معه منطقة نفوذه الواسعة في شرق اوربا، فاقامت عدة احلاف ممتدة من باكستان الى بريطانيا مروراً بايران وتركيا والعراق ثم عززت ذلك الاتجاه باستراتيجية اخرى قامت على الانتقام الكبير بأن يتم انذار السوفييت بشكل قاطع ان امريكا سوف تستخدم سلاحها النوي بشكل فوري وشامل اذا وقع أي اعتداء ضد الغرب.

وفي ظل تلك الاجواء المتوترة جداً انهمك الطرفان بتعزيز وتدعيم ما لديهم من مخزون سلاح نووي وتنويع وسائل الردع فيها، واذا كان الامريكان متفوقين على الروس في تكنولوجيا الاسلحة النووية وفي مجال قاذفات القنابل الستراتيجية (مثال ذلك ارسال قاذفات من الاراضي الامريكية لضرب العراق عام 1991 دون توقف ثم العودة في رحلة دامت 35 ساعة)، فان السوفييت كانوا متفوقين على عدوهم او خصمهم بانشاء (اكبر قوة برية ضاربة في العالم)، فكان هناك نوع من التوازن بين العملاقين، واذا كان الخطر الشيوعي غير ظاهر خلال تحالف الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتي سابقاً، فانه ظهر جلياً بعد ذلك في اوربا الشرقية والصين حيث كسب السوفييت مواقع هامة في المنطقتين بل حتى في اوربا الغربية ومن هنا

جاءت سياسة واشنطن القائمة على الضغط الشديد عليه حتى يتخلى عن استراتيجيته القائمة على التوسع ولتخويفه من شن حرب ضد الغربيين في اوربا لان ذلك قد يؤدي الى اسقاط النظام الشيوعي في موسكو خاصة وان الولايات المتحدة واجهت القطب الاخر من خلال حلف شمال الاطلسي حيث اخذت دول الحلف تتسابق الى التسلح لمواجهة تسلح خصمها المتفوق في قواته البرية المسلحة وصار الحلف يتخذ موقفاً واضحاً وهو استعمال القوة في الوقت المناسب وفي ادنى الدرجات وذلك باستخدام الاسلحة الاعتيادية او التقليدية كما تعرف وبما يكفي لمنع المعتدي من الوصول الى هدفه، وفي نفس الوقت تعهدت الولايات المتحدة لاوربا بوضع سلاحها النووي في الحرب الباردة باعتباره سلاحاً رادعاً للمعتدي لاستخدامه الفعلي عند الضرورة القصوى اذا فكر الروس في تجاوز الحرب الباردة حتى اصبح في اوربا عام 1960 ما يصل عدده الى (7000) سبعة الاف رأس نووي لحمايتها ضد الاتحاد السوفيتي، وهكذا كان من نتائج الحرب العالمية الثانية انها افرزت نظامين اجتماعيين متناقضين بصورة صارخة وما لبث ذلك ان ثبت وترسخ لسنين فكان لابد ان تتعامل وتتأثر مجمل العلاقات السياسية والاقتصادية الدولية مع تلك الحقائق المزعجة، حيث حاول كل نظام عالمي متناقض مع خصمه ان يثبت افضلية احد النظامين لكن النظام الذي سيطرت عليه الولايات المتحدة كان في البداية عاجزاً عن متابعة وحل المشكلات الدولية لو ظل اوربياً حتى اصبحت امريكا حاملة مشعل حضارة الغرب والعالم الحر كما وصفوه، وفي نفس الوقت أدت الحرب الباردة الى نتيجة ايجابية بالنسبة للامريكيين انتموا الى بلادهم امريكا ضد التهديدات الخطيرة لها وتصلبت الوحدة الوطنية وبدأ العمل لانهاء التمييز العنصري مع الفخر بانهم تصدوا لايديولوجيات ثلاثة خلال قرن واحد وهي النازية، واليابانية، والشيوعية السوفيتية بشكل خاص عندما صارت (عدواً ايديولوجيا مثالياً للامريكان) كما يعبر عن ذلك احد ابرز الامريكيين المحدثين صموئيل هنتغتون الذي يعقب على السنوات التي اعقبت انتهاء تلك الحرب الباردة بانها (ستؤدي الى تآكل التماسك السياسي الوطني واضعاف الارادة على تقديم تضحيات للبلاد، وتضاؤل الثقة بالحكومة وتقلص الحاجة الى سياسي قائد مجرب، ولم يعد امام

1. من نحن / صفحة 268 - 269

الديمقراطية منافس ذو اهمية يكافئ امريكا مما أدى الى (فقدان الهدف) وبدا وكأن الولايات المتحدة (تبحث) عن عدو مثالي ايديولوجي ليكون مهدداً معقولاً لها لتحاربه فوجدته في الاسلام وخاصة بعد هجمات 11/ ايلول).[1]

لقد زادت شدة الحرب الباردة بعد انتصار الثورة الصينية التي قادها الشيوعي (ماوتسي تونغ) عام 1949 ثم سيطرة ومحاولة سيطرة الشيوعيين على كوريا دون ان يعني ذلك عدم وجود أية ازمات حادة في اوربا ذلك ان الصراع المستمر بين مخابرات الروس ونظرائهم الامريكان وصلت الى درجة متقدمة،

لانها كانت تجري بين قوى هائلة المقدرة تملك اعداداً كبيرة من ادوات الصراع لاجل (السيطرة على العالم) من قبل احداهما.

وقد حاولت امريكا ذلك بجهود ضخمة جداً بما في ذلك سباق كبير للتسلح فكان ذلك مفهوم الحرب الباردة حينما ابقت كل دولة عظمى على جيوش كبيرة، وابحاث كثيرة عن التسلح، بعدما فرقت الدولتان خلافات النظام الاقتصادي والاجتماعي، اضافة للاهواء والمصالح وحل محل التوازن المتعدد الاطراف ومركزه اوربا، نظام توازن نووي بين طرفين اثنين غير اوربيين لكنهما يتحكمان في مصير دول اوربية كثيرة.

كانت الحرب الباردة قد اثارت خوفاً لدى الاطراف الاساسية فيها من قيام احدى القوتين بهجوم مباغت وضربة اولى مفاجئة تدمر عصب القوة العسكرية والاقتصادية للاخر مما ضاعف من ازمات عدم الثقة بين الكتلتين وانعكست في مفاوضات نزع السلاح وقللت الى حد بعيد من مرونة التعامل الدولي بينهما ووضعت جداراً فاصلاً بينهما وزاد من التأهب والمواجهة تعاظم دور الايديولوجية في تعميق الصراع حتى قيل ان الحرب الباردة انما هي (صراع عقائدي بحت) وساعد في ذلك تنوع ادوات الصراع بالتأثيرات الدعائية التي كانت تجري وفقاً لمخطط مسبق من الدعاية المعتمدة على موارد هائلة، وصور السوفييت الحرب على انها بين قوى الخير وقوى الشر او قوى السلم وقوى الحرب، بين نظام اقتصادي واجتماعي اكثر ملائمة للتطور الانساني وهو النظام الاشتراكي، وبين نظام اخر يتصادم ومنطق التطور

التاريخي وتسيره الاحتكارات التي تتغذى على الحروب وتعتمد على استغلال الاقلية للاغلبية حتى يأتي وقت يتحلل فيه ذلك النظام ويسقط، اما امريكا فقامت دعايتها العالمية على ان الديمقراطية هي اساس المجتمعات الغربية الرأسمالية وتعتمد مبدأ احترام الحريات الفردية في مختلف صورها، مقابل ديكتاتورية شيوعية طبقية، ولاجل ذلك ارادت الدعاية الغربية ترسيخ الخوف لدى المواطن الغربي من الشيوعية وخلق مناخ من النفور والكراهية لها.

اظهرت الكتلتان قدرتهما على عرض مواقفهما بطريقة ملتوية فقد ظلتا تبحثان في نزع السلاح سنوات وسنوات بلا طائل بسبب المناورات لدى كل طرف نحو الاخر لاظهاره للعالم بانه سبب استمرار الخوف من الحرب.

ومن الدعايات التي شهدتها فترة الحرب الباردة مقولة الروس بأن الكتلة الغربية سوف تنهار تحت ضغط التناقضات الحادة والاستنزاف الاقتصادي والفراغ العقائدي، فيما كانت مقولة الغرب ان الكتلة السوفيتية كانت محكومة بالحديد والنار والاستبداد وان ضغط الغرب عليها سيؤدي الى تشققها وفي النهاية انقلاب دول اوربا الشرقية على روسيا تمهيداً لضرب الاتحاد السوفيتي نفسه.

لقد أدت الدعاية المتضادة الى انعكاسات سلبية على عمل الامم المتحدة وخاصة مجلس الأمن حيث أساء الطرفان الى حق الاعتراض (الفيتو) مما اضعف من فعاليته مجلساً مسؤولاً عن صيانة السلم والأمن الدوليين وزاد الامر سوءاً كثرة استخدام حق النقض مما سمم مناخ التعامل في المنظمة الدولية وساعد في توسيع فجوة عدم الثقة بها مع ان المجتمع الانساني كان يأمل في ان تقوم المنظمة بدور ايجابي كبير لحل المشاكل التي حدثت أبان الحرب الباردة حتى عام 1988، فقد شهدت تلك الفترة ازمات دولية حادة وخطيرة كادت تؤدي الى مواجهة عسكرية مباشرة بين القوتين الاعظم في العالم حتى تمكنا ان يتوصلا الى تفاهمات بسبب الردع المتبادل بينهما ومن خلال المفاوضات الثنائية لغياب قوى دولية منافسة.

من بين الازمات التي شهدتها فترة الحرب الباردة اضافة لازمة برلين، تلك الحرب التي نشبت في (كوريا) في اقصى آسيا عام 1950 وأدت الى تدخلات من جانب الصين والاتحاد

السوفيتي اضافة للولايات المتحدة وانتهت بتقسيم تلك البلاد حتى اليوم غير ان امريكا عززت مواقعها في العالم كله بعد ذلك وصار لها اكثر من (400) قاعدة عسكرية حول العالم. وفي اعقاب حرب كوريا عزز الشيوعيون مواقعهم فيها وفي الهند الصينية عموماً ضد الفرنسيين بعد عام 1953 (فيتنام، كمبوديا، لاوس) فاعتبر الامريكيون ذلك بمثابة خطر شديد لاعتبارات امنية قومية امريكية وحذروا الروس والصينيين معاً وهددت الصين بالضرب غير ان الامريكيين غير قابلة لحرب نووية بسبب بلدان مثل فيتنام وفهم الشيوعيون ان امريكا لن تضرب احداً بسلاح نووي الا اذا هوجمت نفسها، وما لبث الغرب ان بدأ العمل لتخفيف حدة التوتر من خلال عقد مؤتمر قمة بين الكبار حيث دعا رئيس وزراء بريطانيا عام 1955 الى عقد قمة مع الروس، وبعد فترة تجددت الآمال بعقد المؤتمر الدولي المقترح وخاصة بعد انتهاء حرب السويس في مصر عام 1956 وعقد مؤتمر جنيف وهدف الغرب منه الى توحيد المانيا لكنه فشل لهذا السبب واستفادت فرنسا من عدم قيام حرب اخرى ضدها من المانيا الموحدة لاجيال قادمة، وخلال ذلك اقام الروس جدار برلين فكان الجدار عنواناً تاريخياً للحرب الباردة حتى سقوطه عام 1989.

واقترح الرئيس الامريكي ايزنهاور نزع السلاح وقيام تبادل ثقافي وسياحي بين الشرق والغرب لكن العلاقات توترت بسبب اسقاط الروس طائرة تجسس امريكية عام 1960 مع زيادة الاموال الامريكية المخصصة لوزارة الدفاع الى (44) مليار دولار عام 1961 وزيادة عدد الغواصات النووية ذات الدقة العالية في الاختفاء والضرب لكن الطرفين بدأ يؤمنان بأن الحرب النووية (أمر فظيع) بل هو أمر مستحيل الوقوع.

وفي كوبا حصلت أزمة شديدة عام 1961 بسبب وقوف الامريكان ضد الثورة الكوبية ثم قيام الروس بوضع صواريخ في تلك الجزيرة وما تسبب عن حصارها من قبل الامريكان وبالتالي تراجع الروس مما اسهم في حل المشكلة لكن الذي حدث كان اضعافاً لهيبة الروس وكانت أزمة كوبا ذروة المواجهة بين الدولتين وبداية التفكير السلمي بدل المواجهة الخطيرة ثم وبداية (عهد الانفراج).

وفي المنطقة العربية فان الدعم العسكري الامريكي والاوربي لاسرائيل تصاعد بعد عام

1960 كما قام الاتحاد السوفيتي بدعم مصر وسوريا والعراق واليمن مع حصول توترات بين هؤلاء اعطت الانطباع العربي بأن الموقف السوفيتي ليس قوياً معهم ولم يرغب الروس في (انتصار) عربي لانه سيؤدي الى تقوية الولايات المتحدة مثلما ارادوا عدم انكسارهم بشكل شديد لان ذلك سيؤدي الى تحطيم سمعة وهيبة الروس لدى العرب، وادت حرب حزيران 1967 الى تعزيز مواقع الولايات المتحدة وبدء انحسار النفوذ الروسي، وكان الطرفان قد ابديا اهتماماً واسعاً بالمنطقة العربية رغم انشغالهما بحرب فيتنام بين 1964-1975 حتى صارت المنطقة على رأس اهتمامهما بسبب ما تمثله من قوة اقتصادية، وستراتيجية، وحضارية، ودينية، وصار للحرب الباردة تأثيراتها الواضحة على الدول العربية وتلك المجاورة لها من خلال تبني كل طرف من اطراف الحرب الباردة لمجموعة من الدول في المنطقة بدعمها ومساندتها، فهناك دعم سوفيتي لمصر وسوريا ثم العراق واليمن مقابل دعم امريكي للسعودية ولبنان والاردن الى جانب تهديدات روسية لتركيا التي تدعمها الولايات المتحدة بل ان الحرب الباردة بين الكتلتين آلت الى (حرب باردة عربية) احتاج معها العرب الى مؤتمرات قمة عربية عديدة لمحاولة وقفها من ان تتطور الى حرب ساخنة، واهتم الطرفان كثيراً باليمن بما يملكه من موقع ستراتيجي عالي بوقوع مضيق باب المندب قرب اليمن حيث تمر منه الامدادات النفطية الخليجية الكبرى الى الغرب وخوف الولايات المتحدة من وصول النفوذ المعادي لها الى ذلك الموقع الهام والذي كان تحت سيطرة بريطانيا وتخلت عنه لضعفها وانهيار ركائز الاستعمار الاوربي هناك وفي مناطق اخرى في افريقيا فتدخلت امريكا لسد فراغات القوة التي خلفتها اوربا ورائها ومنع السوفييت من اغتنام الفرصة لتوسيع مجال نفوذه.

لم تكن افريقيا ضمن المواجهة بين القطبين خلال الحرب الباردة لكن الروس بدأوا يوجهون اعلامهم الى المنطقة لكي تنال دولها الاستقلال، وبعد ذلك بدأت دول عدة في اقامة علاقة صداقة مع الاتحاد السوفيتي مثل غينيا، والكونغو، وانغولا، وموزمبيق، ثم اثيوبيا التي وقع فيها انقلاب شيوعي عام 1977 في محاولة لمد النفوذ السوفيتي في ارجاء القارة قبل ان تبدأ الولايات المتحدة ايضا بالعمل من خلال تقديم المساعدات للافارقة مثلما فعلت ذلك اسرائيل ايضا في مواجهة جهد عربي حثيث لكسب هؤلاء وسط انقلابات وحروب اهلية كثيرة في

افريقيا، وقد أدى الدعم السوفيتي لافريقيا الى استنزاف قدراته فبدأ يتراجع امام امريكا في قبرص الجزيرة المهمة في البحر المتوسط فانها واجهت حرباً باردة منذ عام 1962 وما بعدها حيث تخوفت تركيا وحلفائها من انجرار الجزيرة الى المعسكر الشيوعي وسط خلاف خطير حولها بين الاتراك واليونانيين العضوين في المعسكر الغربي وتطورت الاوضاع الى حد الاشتباكات بين المسلمين القبارصة والاخرين في الجزيرة بعد ذلك بسنوات.

وقف الامريكيون ضد الصين وثورتها الشيوعية ومنعوها مرات من دخول الامم المتحدة لكن الصين اصبحت دولة نووية عام 1964 وبدأت بتغيير سياستها نحو الولايات المتحدة والتي كانت الصين تصفها بانها (نمر من ورق) وقام وزير خارجية الولايات المتحدة (كيسنجر) بزيارتها ثم زارها الرئيس (نيكسن) عام 1972 في خطوة ضمن الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتي الذي ساءت علاقاته مع الصين رغم التطابق الايديولوجي (الفكري) بينهما، لكن العلاقات الامريكية- السوفيتية ما لبثت ايضا ان تحسنت بتغيير اسلوب الامريكان في التعامل مع الروس بالاحتواء والانفراج بدلاً من المواجهة والتوتر العسكري بهدف تدمير الاتحاد السوفيتي على المدى الطويل واستفادت الولايات المتحدة من السياسة الجديدة مع ضبط النفس وعدم الانجرار سابقاً ولاحقاً الى حرب نووية كاسحة فاكسبها ذلك الرأي العام الامريكي وغيره.. ولاجل تطوير تلك السياسة وبعد أجتماع جنيف الذي ذكرناه سابقاً بين زعماء القطبين فقد حصل اجتماع في فنلندا عام 1969 حيث دخلت السياسة الدولية (عصر الوفاق) بين القوتين مما مثل قمة الثورة ضد الحرب الباردة اضافة لاجتماع قبل ذلك في (غلاسبورو) بامريكا بشأن مشكلة العرب والاسرائيليين، وما عرف بمشكلة الشرق الاوسط، وأدى اجتماع فنلندا الى اعطاء زخم اكبر لحالة الانفراج الدولي والتقارب الامريكي مع الاتحاد السوفيتي والصين معاً وما تلاه من تقارب سوفيتي- اوربي امريكي بلقاء قمة في موسكو عام 1972 وحدث ذلك رغم استمرار حرب فيتنام والمساعدات التي كانت تقدمها الصين اضافة للاتحاد السوفيتي للمقاتلين الفيتناميين ضد القوات الامريكية حتى انتهاء الحرب عام 1975.

وفي الشرق الاوسط فان الاوضاع تطورت فيه بأعقاب حرب حزيران حيث استمرت الولايات المتحدة في سياستها الرامية الى دعم اسرائيل الى جانب بقاء نفوذها الواسع في الاقطار

العربية، في مقابل دعم الاتحاد السوفيتي عسكرياً ودبلوماسياً لكل من مصر وسوريا والعراق حيث تطورت الاحوال خلال حرب الاستنزاف بين مصر واسرائيل ثم قبول مصر لمبادرة روجرز في تموز 1970 وحتى نشوب الحرب عام 1973 حيث كانت مشهداً من مشاهد السلوك السوفيتي وكذا الامريكي حيال الازمات رغم تبادل اللقاءات في سياسة الانفراج حيث سعت كل منهما لتحقيق هدف الانفراج في العلاقات عن طريق التقليل من اهمية مناطق الصراع المحتملة وخاصة في الشرق الاوسط الذي لم يلقَ الاهتمام الكافي منهما خاصة وان الولايات المتحدة كانت راضية عن الوضع الراهن أنذاك في المنطقة طالما ان اسرائيل متفوقة فيها وطالما ان النفوذ السوفيتي يتقلص مع عدم توقف سياسة الانفراج عن المسير الى امام مع تخوف الروس من فقدان نفوذهم ومصداقيتهم اذا ما انتصرت اسرائيل بشكل واضح لكن الذي حدث هو انفراج نسبي بين العرب واسرائيل وتدرج مصر في طريق الحل السلمي بوساطة امريكية وبغياب الاتحاد السوفيتي حيث الغى الرئيس المصري الراحل انور السادات عام 1976 المعاهدة المعقودة مع موسكو والغاء كل التسهيلات المعطاة من مصر للسوفييت في الموانئ المصرية.

وخلال الفترة السابقة على ذلك لم تحدث احداث خطيرة في اوربا لجر الدولتين الى حرب ذلك ان مشكلة المانيا وانقسامها ظلت على ماهي عليه باضعاف المانيا الشرقية وبقاء برلين منقسمة، لكن انقلاباً حدث في (براغ) عام 1968 ازعج الامريكان واعطى الانطباع بقوة الاتحاد السوفيتي الذي تمكنت قواته من انزال قواته في براغ وانهاء الانقلاب الذي عرف بـ(ربيع براغ) غير ان التطورات التي أدت الى تغييرات حاسمة هي تلك التي وقعت في آسيا اواخر السبعينيات من القرن العشرين وتمثلت بقيام الروس باجتياح افغانستان عام 1979.

كانت افغانستان الدولة المسلمة الفقيرة ذات الموقع الستراتيجي، مطمع انظار الروس منذ مدة طويلة، وقد تسابقوا مع الامريكيين بعد الحرب الثانية لمد النفوذ الى تلك البلاد بطرق مختلفة قبل ان يحدث انقلاب فيها عام 1973 ضد الملكية، وكان الانقلابيون ميالين للروس الذين ظنوا ان ذلك يمنحهم فرصة ذهبية للوصول الى بحر العرب والمحيط الهندي، لكن انقلاباً اخر حدث عام 1978 وحصل نزاع مسلح في البلاد استغله الروس بغزو افغانستان اواخر عام

1979 لاعطاء (هالة عسكرية) عن القوة السوفيتية العظيمة فيما كان الاتحاد السوفيتي يشكو من اوضاع اقتصادية بائسة وواقع اجتماعي مهيأ للانفجار، وزاد الامر سوءاً تلك المقاومة الباسلة الافغانية التي واجهها السوفييت وبدعم للمقاومة من الامريكان الذين جمّدوا الاتصالات مع الروس بداية اعوام الثمانينيات أي حتى وفاة (بريجينيف) عام 1982. مما زاد في الضرر (الاقتصادي) للاتحاد السوفيتي وسط تصاعد للدعاية الغربية المعادية للشيوعية حتى وصف الرئيس الامريكي (ريغن) الاتحاد السوفيتي بانه (امبراطورية الشر) مما أعاد الى الاذهان اجواء الحرب الباردة، وقامت الولايات المتحدة بنشر (600) صاروخ نووي في اوربا.

كان للتورط السوفيتي في افغانستان نتائج عسكرية وسياسية واقتصادية فكان ذلك اول الطريق الى نهاية الاتحاد السوفيتي حيث بدأ يتفكك بعد الغزو بسنوات قليلة فانتهت تماماً الحرب الباردة التي عرفت بعد الحرب الثانية.

انتهت كل المواجهات الامريكية- السوفيتية دون اطلاق رصاصة واحدة بينهما مع الخوف من انطلاق حرب نووية كاسحة ماحقة، غير ان الطرفين تمسكا بالهدوء في هذا المجال وضبطا نفسيهما، وطور كل طرف استراتيجية للتحكم في التنافس مع خصمه دون ان يجتاز شفا الحرب فقد فهم كل طرف الاخطار التي ينطوي عليها أي عمل قد يرفع التوتر الى مستوى الحرب النووية، وفهم الزعماء المتطلبات العامة للمحافظة على الاستقرار اثناءالازمات وفهموا قوانين التعقل الحيوية، ولم يكن الحظ سبباً لعدم اندلاع حرب بين القطبين خلال الحرب الباردة، بل ادراكهما ان مثل هذه الحرب ستؤدي الى دمار شامل متبادل لذلك فانهم استخدموا (ردعاً وتهديداً) محسوبين، وصار هناك اتساق واضح في العلاقات رغم الاختلافات بينهما في كل شيء (الدين، واللغة، والتاريخ، والنظام السياسي، والافكار... وغيرها) وكانت الصواريخ العابرة للقارات هي التي منعت الاتحاد السوفيتي من اجتياح اوربا مثلما منعت الولايات المتحدة من اجتياح وتدمير كوبا مما يعني ان (التكنولوجيا) كانت عاملاً شبه حاسم في اتجاه التغيير البعيد المدى في صورة الحرب الباردة والذي ظل يتنامى حتى وصل بالعلاقات بينهما الى مرحلة (الوفاق) بدلاً من الوصول الى الانفجار النووي الذي أمنوا بانه عمل من اعمال الجنون لانه لم يكن ليؤدي الا الى دمار الجميع ودون أية مزايا لأي طرف لما

يملكه من امكانيات هجومية نووية جبارة مرعبة وما يتطلبه من امكانيات مالية خيالية. فاندفع الطرفان نحو الاتصال والتشاور والتنسيق على مستوى القمة، وتنويع قنوات الاتصال بين مراكز صنع القرارات لتقليل احتمالات الوقوع في خطأ تقييم نوايا الاطراف المختلفة ازاء الازمات الحادة التي وقعت دوماً في آسيا، وافريقيا خاصة، وفي امريكا اللاتينية واوربا الشرقية والجنوبية، قبل ان ينتهي ذلك بتفكك وسقوط الانظمة الشيوعية في اوربا الشرقية ثم تفكك وانتهاء الاتحاد السوفيتي.

9

الفصل التاسع

سقوط النظام الشيوعي 1989 وانهيار الاتحاد السوفيتي

كان انهيار الاتحاد السوفيتي حدثاً ضخماً ظهرت بداياته منذ العام 1985 لكن ذلك لم يكن الا مؤشراً لما كان سيحدث حتماً وحسبما خطط الامريكيون قبل ذلك العام باربعين سنة حيث كان الخطر الشيوعي السوفيتي في اوربا على اشده، فوجد خبراء في الولايات المتحدة ان عليها ان تتعامل مع خصمها الشيوعي بشكل يؤدي الى انهياره خلال نصف قرن ولعوامل عدة اهمها الاقتصاد، ورغم ذلك الامل فان السقوط كان صدمة بمعنى الكلمة للعالم اجمع، فاحدث انهياره اكبر تغيير في العلاقات بين قوى العالم منذ الحرب العالمية الثانية، وادى السقوط الهائل لموسكو الى تراجع روسيا من مرتبة القوة العظمى التي شغلتها لنصف قرن، وبرزت الولايات المتحدة باعتبارها الدولة العظمى الوحيدة في العالم، فما الذي جرى..؟ وكيف كان سقوط الامبراطورية (سلمياً) بما فاجأ الناس في كل مكان ممن تابعوا التطورات ووجدوا فيها مفاجأة مذهلة مثل زلزال عظيم.

في فترة من فترات الاتحاد السوفيتي قام عدد من مفكري وادباء الغرب بالتوجه اليه فراراً من المأزق الروحي الذي عانوا منه في اوربا الغربية حتى وصلوا حالة اليأس فاعتقد هؤلاء انهم سيجدون في المعسكر الشيوعي حرية حقيقية وابداعاً واضحاً مع ايمان بأن الشيوعية سوف تحرر الادب والفن مما فيه من سلبيات، لكن الشيوعية ظهرت على حقيقتها كونها (نظاماً يستعبد الفكر والفن والانسان) وان الحزب الشيوعي لم يكن الا تنظيماً يتعمد القضاء على الديمقراطية حتى داخل الحزب وعمله على (اخضاع الجميع للسلطة العليا). ولرقابته الصارمة والطلب من جميع الاحزاب الشيوعية في العالم ان تطيع موسكو وقائدها او قادتها والدفاع عن الاتحاد السوفيتي بكل وسيلة لا الدفاع عن اوطانهم نفسها، واستخدم النظام الشيوعي السوفيتي حملات تطهير دموية هائلة الى جانب حكم ارهابي مذهل في وحشيته قضى على كل معارض حتى لو كان شيوعياً من خلال جهاز المخابرات الاشهر في العالم حتى وصف احد قادة الامريكان الحكم السوفيتي بأنه يعتمد على (الشقيقات الثلاث القبيحات الحزب، والـ كي جي بي، والجيش الاحمر)، وبدا لكثيرين في كل مكان ان الشيوعية وهم يعمي العيون عن رؤية الحقيقة فهي تشجع على التملق والنفاق بما يدمر الكرامة الاخلاقية، مع إخضاع الضمير لسياسة الحزب واخضاع الفرد ايضا وبلا رحمة، ومعاملة الشعوب وخاصة الاسلامية منها معاملة قاسية رهيبة (مثلما حصل في الشيشان) وما لبث المفكرون والادباء والعلماء ان اصيبوا

باليأس، والتعاسة، والشقاء بسبب (الانضباط الحديدي) للحزب والتضييق شبه الكامل على الحرية، ومما يؤسف له ان ذلك النموذج السيء اصبح مثالاً يحتذى في كثير من بلدان العالم الثالث عندما طغى عليها مثلما طغى على النظام السوفيتي الخداع، والوحشية، واحتقار العدالة، واستخدام الكذب من القادة، الى جانب الخيانة والغش في عرض الآراء على الغير

واذا كانت تلك حقائق لمسها الروس وعايشوها، مثلما لاحظها الغربيون، فان شخصيات روسية مرموقة ابدت آراءاً بشأن ما حدث منهم من كان ضابطاً في جهاز المخابرات السوفيتي او رئيسا للوزراء او رئيسا للدولة، فيشير الضابط السابق الى ان الحرب الباردة وانشطة الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي لسنوات طويلة قد خلق الفوضى فيه حتى ظهرت قيم فارغة، وفنانين يتجهون الى العنف والخيانة والسادية في اعمالهم الفنية، كما كان هناك تشجيع على التسيب في العمل والرشوة وعدم الاكتراث بالمبادئ والقيم حتى صار الاخلاص قيمة يهزأ بها الناس مع انتشار النفاق والكذب وتناول الخمور والمخدرات بشكل واسع وخيانة الوطن بشكل عادي مع كره الشيوعية، وكل ذلك لم يكن الا من مخططات الولايات المتحدة لايصال الاتحاد السوفيتي الى ذلك الدرك من السقوط الى جانب ظهور العداء بين شعوب الاتحاد السوفيتي بسبب التعصب القومي، فيما نجح الامريكان في إثارة كل الشعوب داخل ذلك الكيان الكبير من خلال اذاعات اوربا الحرة وصوت امريكا مما اثار الارتباك والاضطراب الفكري لدى الروس فكان البث الاذاعي اقوى اسلحة الحرب الباردة بيد الامريكان و (اصبحت الافكار المنشورة اشد فتكاً من الصواريخ والاقمار الصناعية والقذائف).

في اواخر عام 1982 اعلن الامريكيون صراحة ان هدفهم تدمير الاقتصاد السوفيتي واجراء تغييرات اساسية في النظام السوفيتي بجهود علنية وسرية واثارة العالم ضد النظام ومن ذلك ما أثير حول (المنشقين) من معارضي النظام السوفيتي مثل (زاخاروف) و(سولجنستين) ووجوب احترام حقوق الانسان، واستغلت الصحافة الغربية خاصة تلك النزعات الحرة لشحن الجماهير بنشاط لاجل انهاء الاتحاد السوفيتي، فالصحفيون اخذوا يطالبون في مقالاتهم بديمقراطية في الحكم واشتراكية اكثر انسانية مع دعوة خفية لتحرير الاقتصاد والمجتمع من المركزية في ادارات الدولة الى جانب حملات لانفصال الجمهوريات عن موسكو على اساس ان الاولوية لقوانين الجمهوريات لا للقوانين الاتحادية وهكذا ضعفت العلاقات الحقوقية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية بين الجمهوريات تمهيداً لانفصالها عن المركز وتفكك

الامبراطورية السوفيتية تفكيكاً سياسياً وحضارياً دون اكتراث من القيادات السياسية والحزبية الروسية والتي شعرت في الواقع بافلاس الشيوعية التي اقترفت ابشع الجرائم بحق شعوب اوربا الشرقية والشعوب المسلمة في أسيا الوسطى اضافة لروسيا حيث بدأ الروس يتململون من واقعهم المزري البائس خاصة في السنوات الاخيرة من حكم (بريجينيف) 1964-1982 والذي روج لاكذوبة التفوق السوفيتي على الغرب عسكرياً وايديولوجياً حيث تم الصرف المالي بشكل خطير على الآلة العسكرية السوفيتية، مما أدى الى إضعاف القدرات الاقتصادية قبل ان تضعف القيادة السياسية والحزبية بموته وتسلم السلطة العليا من قبل رجلين كبيرين بالعمر ظلا بالسلطة لاقل من ثلاث سنوات حتى العام 1985 عندما تسلم القيادة (غورباتشييف) صاحب فكرة المكاشفة او (البريسترويكا).. وفي تلك السنوات بين نهائيات عهد بريجينيف وبدايات عهد غورباتشييف استغلت الولايات المتحدة وبشكل ناجح التورط السوفيتي في افغانستان لاجل اضعافه تماماً فدعمت (المجاهدين) هناك لا حُباً لهم بل لتحقيق اهدافها فزادت المتاعب التي واجهها الاحتلال السوفيتي لذلك البلد المسلم حتى اعلن الروس انسحابهم وفشلهم وتدمير بلادهم بحيث وصلوا الى حد طلب العون من اوربا والعالم لتامين حاجاتهم من اللحوم والسكر والحبوب فلم يعد الاتحاد السوفيتي الدولة العظمى، وتخلخل الوضع السياسي والامني الداخلي والاقتصادي بعدما استنزفت السياسة العسكرية موارد البلاد وجاءت التطورات متزامنة مع انهيار الانظمة الشيوعية في اوربا الشرقية الواحدة تلو الاخرى حتى كان انهيار جدار برلين عام 1989 ووحدة المانيا التي كان تقسيمها جزءاً اساسياً من الحرب الباردة.

لقد كانت الحرب الافغانية نقطة الانطلاق لتنفيذ المخطط الذي يهدف الى تحطيم كيان الاتحاد السوفيتي مع العمل على نشوب حروب ومنازعات قومية على اراضيه وخاصة في الجزء الجنوبي منها.

ويصف غورباتشييف الذي شهد انهيار الاتحاد السوفيتي ما حصل بانه (انحلال غوغائي) ويكشف عن الوضع الذي أدى الى الانهيار فقد بدأت حوادث مزعجة تظهر في الجمهوريات بسبب اللغة والمشاعر المتباينة مما شكل ارضية لانفصالها وظهور قوى كان من الصعب السيطرة عليها وضرورة التغيير العميق لصيغة الاتحاد ومركزيته لكن الامور اخذت تسوء بخروج الجمهوريات عن سيطرة موسكو والانفصال عنها مشيراً الى انه اراد القيام بما دعاه

نقلة نوعية جديدة في حياة الدولة ناقداً السياسة الماضية والنظام الذي تم بنائه حسب قواعد الاستبداد والفاشية مما لم يعد ممكناً استمراره لضرره على المصالح الجذرية السياسية والاقتصادية للدولة حيث سار ذلك النهج بالدولة الى حافة الهاوية وظل يحكم على اساس القوة، والكذب، والتهويل، والانحلال الاجتماعي.

يشير غوربا تشييف الى ان السياسيين شعروا منذ اواخر السبعينيات وخلال الثمانينيات ان الاقتصاد السوفيتي اصبح يستسلم ويمرض، ولم يعد الفرد يهتم بأن يعمل بانتاجية عالية حتى وقعت الدولة في حالة كآبة متفاقمة، وظهر ان النموذج النظري والعملي للاشتراكية التي فرضت على الناس لعشرات السنين كانت نموذجاً غير فعال، وكانت الازمة هي أزمة النموذج العسكري للشيوعية فكان لابد من احداث تغييرات حاسمة في الافكار القديمة البالية دون ان تنحل الدولة وانما يتفكك الاتحاد وتنتهي اشكال اتحاد الجمهوريات التي كان وضعها يتناقض ومتطلبات التطور وآمال الجماهير بمشاعرها القومية، المتطرفة حيث انهكت الاتحاد السوفيتي وخلقت الاسباب لانهياره دون ان يستطيع احد الحفاظ (بالقوة) على البلاد ووحدتها لان (الديمقراطية وحدها هي التي تجعل الدولة قوية وعظيمة)، وليست المراقبة القاسية لكل جوانب الحياة من قبل الدولة ولم يكن الاتحاد السوفيتي دولة عظمى الا في الجانب العسكري والنفوذ القائم على القوة والتسلط والتهديد، فيما أدت الآلة العسكرية الى (نسف الاقتصاد) وخاصة المدني حتى سارت البلاد الى مستوى معاشي هابط جداً فوصلت به الى الحضيض فيما أوصلت أفكار الشيوعية والعمل على نشرها في العالم الى طريق مسدود وهو طريق الحرب الباردة التي القت على شعب الاتحاد السوفيتي اعباءاً ثقيلة من النفقات العسكرية والمغامرات الفاشلة مثل مغامرة غزو واحتلال افغانستان.

وكان من آثار ذلك الغزو ومتطلباته المالية الضخمة ان قام الروس ببيع ذهبهم بعد عام 1981 حيث باعوا (80) طن من الذهب ثم حولوا (240) طن من الذهب الى سيولة مالية ثم رفعوا مبيعاتهم من الذهب مما دل على ان السوفييت يعانون من صعوبات مالية كبيرة وازدادت الحاجة الى الذهب واصيبت التجارة بالشلل وكذلك التبادل الطبيعي للسلع حتى وصل الاقتصاد السوفيتي الى الشلل الكامل فيما هدفت الولايات المتحدة الى تشكيل نظام اقتصادي يجعلها تسيطر على جميع موارد العالم الطبيعية، وقد افترض الامريكان ان ايجاد فراغ اقتصادي وثقافي سوفيتي سيؤدي لا محالة الى استسلام النظام الشيوعي السوفيتي بسهولة

وبدون أي عمل عسكري لانه لم يعد قادراً على الوقوف بوجه الهيمنة الاقتصادية عليه بعدما (طوّق) الدولار روسيا من كل الجهات حتى وصلت للكارثة الاقتصادية فانهيار النظام، ومع هذا الوضع الاقتصادي اليائس صار الروس لا يقراون شيئاً ويشاهدون تفاهات من العنف والنهج الاستهلاكي وظهرت الجريمة المنظمة فيما بدا العلماء بمغادرة البلاد الى الغرب، وكل ذلك كان من عوامل الانهيار الى جانب الاخطاء الكبيرة جداً التي ارتكبتها القيادات السوفيتية وادت الى مصاعب اقتصادية صعبة أجهزت على النظام فسقط بعدما فشلت سياسة الاصلاح التي انتهجها غورباتشييف بين 1985-1991 باعطاء استقلال اكبر للقطاع الخاص وتشجيع المبادرة الفردية وتحقيق الاصلاح الزراعي ومحاولة نشر الديمقراطية بالبلاد والغاء دور الحزب القائد لكن ذلك كله لم يوقف الانهيار، وسقوط احدى اهم التجارب السياسية في العالم بعد الثورة الفرنسية عام 1789.

حاول النظام السوفيتي منذ بداية الثمانينيات تحسين الوضع الاقتصادي من خلال تخفيف التوتر الدولي وتقديم تنازلات كبيرة في المجال الستراتيجي لاجل الوصول الى تخفيض النفقات العسكرية كما اشرنا وتحويل الاموال الى القطاعات الانتاجية الخفيفة او الاستهلاكية والحصول على التكنولوجيا الغربية المتطورة، واعتقد (بريجينيف) ان ضربة جغرافية سياسية كبرى للسوفييت في افغانستان ستؤدي الى نتائج باهرة لبلاده سياسياً واقتصادياً خاصة وانهم متفوقون جداً في مجال القوات البرية في اوربا الوسطى مما سيجبر الغرب على تقديم التسهيلات الاقتصادية للاتحاد السوفيتي لكن خطط وآمال بريجينيف فشلت بسبب المقاومة الافغانية الهائلة ضد الروس مما زاد من جسامة المأزق السوفياتي في افغانستان والذي كلفت عملياته هناك بين 1979-1989 اكثر من ثمانية مليارات دولار كل عام أي (80) مليار دولار، ثم حدث امر اخر وهو الاضطرابات العمالية في بولندا صيف 1980 والتي أدت الى ظهور منظمة عمالية منافسة للحزب الشيوعي وتزامن ذلك مع وصول رئيس امريكي متطرف في كرهه للشيوعية وهو (ريغن/1980) ثم وصول قائد سوفيتي راغب في التغيير (غورباتشييف) عام 1984، الذي وضع مع الحزب خطة جديدة هدفها الاصلاح بعد الضعف الذي اصاب البلاد وعدم التمكن من مجاراة الامريكان الذين خططوا لما عرف بـ(حرب النجوم) المكلفة جداً وبما يفوق اضعاف تكاليف السباق النووي، وكان امام القيادة السوفيتية منذ عام 1985 خياران فاما تغيير السياسة الخارجية بالتقارب من الصين الشيوعية مما سيغير في موازين القوى في

اوربا وآسيا، وإما استخدام القسوة ضد قوى اجتماعية سوفيتية بدأت تتحرك ضد النظام بعد اختلال التوازن الدولي لصالح الغرب بعد عام 1983 لكن الامور سارت نحو مزيد من السوء بين 1985-1991 رغم قبول النظام السوفيتي بالامر الواقع الذي مثله تفوق الامريكان، والرضوخ بعدئذ لوضعية الهزيمة بدون معركة تماماً كما كتب الرئيس الامريكي نيكسون كتاب (1999 نصر بلا حرب) لكن النصر تم قبل ذلك بعشر سنوات وبدون حرب امريكية ضد الاتحاد السوفيتي.

من المناسب ان نذكر رأي احد قادة الاتحاد السوفيتي الذي شغل مهاماً عدة في المخابرات والدبلوماسية والادارة وهو (بريماكوف) الذي كتب عن ذلك الحدث فصلاً بعنوان (لماذا انهار الاتحاد السوفيتي) ورأى في ذلك النهاية المأساوية لدولة كانت في وقت ما دولة جبارة ذات قدرات اقتصادية وعلمية وتقنية ضخمة تعادل الولايات المتحدة وتشكل عنصر موازنة معها في العالم.

زال الاتحاد السوفيتي لاسباب مختلفة منها اخطاء القادة فيه، ثم ما نجم عن البريسترويكا من اخطاء اثناء العملية، اضافة الى الدور الامريكي وحلفائه في عملية الانهيار.

كانت موسكو تقرر كل شيء للجمهوريات السوفيتية مع القول فقط بانها ذات سيادة وادارة ذاتية بل انه حتى في حال بناء أي مؤسسة في أية جمهورية فان القرار بالبناء يتم من موسكو على أسس سياسية لا على اساس الفائدة الاقتصادية المرجوة، ومن جهة اخرى لم يكن أي مسؤول حزبي كبير يتولى قيادة الحزب في أية جمهورية الا بتوليه من القيادة السوفيتية ولم يكن بمقدور أي شخص من القوميات المحلية ان يتولى منصباً كبيراً في اجهزة الأمن في الجمهوريات علماً ان الاجهزة الحزبية والأمنية هي التي كانت تسيطر على الامور هناك.

لم يكن هناك أية انتخابات ولو قالوا انها كذلك لان الواقع ان ما كان يحصل انما هو (تعيين) من موسكو اضافة الى ان خيرات وثروات الجمهوريات كانت تنقل للعاصمة مما أدى الى هبوط مستويات المعيشة وقيام نزاعات بين القوميات هناك، الى جانب اشتداد نزعة الاستقلال فيها عن موسكو والتي لم تعد تقدم السياسة الصائبة للجميع بما يضمن رضاها مع فشل الحزب الشيوعي في اصلاح حاله واشاعة الديمقراطية في الحياة الحزبية وتغيير الجمود في التفكير الذي لازم جميع الزعماء السوفييت وخاصة خلال فترة الاصلاحات.

لم تنجح السلطة الاتحادية في معالجة المهام الاساسية الملقاة على عاتقها ولهذا انهار الاتحاد السوفيتي، وكان من اكثر المهام حيوية واهمية. الجمع بين عملية حصول الجمهوريات على السيادة التي ما كان في الامكان منعها، وبين تقوية الحياة الاقتصادية للاتحاد كله والانتقال به من الاقتصاد العام الى اقتصاد السوق.. وكانت تلك هي المهمة الاساسية، والتي لم تستطع القيادة في آخر الأمر تنفيذها لهذا انهار المجال الاقتصادي الموحد وتفكك الاتحاد وسط مفاسد مالية وادارية كبيرة، واستغل الغرب ذلك لازالة الاتحاد السوفيتي بما يؤدي الى ضمان مصلحة امريكا وحلفائها رغم خشيتها من حدوث ارتباك في بلد مليء بالسلاح النووي مما يؤدي الى خلق خطر واقعي في احتمال فقدان السيطرة على القدرات النووية لكن شيئاً من ذلك لم يحدث فيما لم يقدم الغرب عوناً اقتصادياً ذا قيمة للاتحاد السوفيتي قبل انهياره وما نجم عنه من تغييرات كبيرة على النظام الدولي بعدما رفع علم روسيا الاتحادية في 1991/12/25 بدلاً من العلم الاحمر السوفيتي.

10

الفصل العاشر

النظام العالمي الجديد 1990-1995

منذ العقود الاولى التي اعقبت انتهاء الحرب العالمية الاولى عام 1918، اخذت تنمو عملية تفكيك اساسات النظام الدولي القديم لاجل اقامة النظام الدولي (العالمي) الجديد، وساهمت الحرب العالمية الثانية وما اعقبها من (حرب باردة)، ساهمت في اعلان قيام النظام العالمي الجديد في اعقاب سقوط الانظمة الشيوعية في اوربا الشرقية والمانيا ثم انهيار الاتحاد السوفيتي تماماً عام 1991 وقيام روسيا الاتحادية.

لقد غيرت الحرب الاولى الجغرافية السياسية في اوربا بشكل واضح كما اشرنا، مثلما غيرت الحرب الثانية اوربا والعالم بتقسيمه الى ثلاثة عوالم، قبل ان تنتهي الحرب الباردة بجعل العالم تحت سيطرة دولة عظمى واحدة أعلنت رسمياً قيام النظام العالمي الجديد في اعقاب حرب الخليج الثانية وسقوط النظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي، والملاحظ ان اقطارنا العربية خاصة اصابها الضرر في كل الحروب التي ذكرناها منذ 1914 وحتى 1992 فقد تهاوت الدول العربية بعد الحرب الاولى وتم تقسيمها بين المنتصرين في الحرب، وظلت تكافح لنيل استقلالها بعدئذ، فيما بدأ استنزافها بعد الحرب الثانية من خلال المشكلة الفلسطينية وغيرها من المشاكل والازمات، ثم زادت عملية الاستنزاف والاستهداف بعد انتهاء الحرب الباردة، فيما تامل البلاد العربية ان تصل الى التقدم والاستقلال والرخاء والتضامن وصولاً الى اتحاد يشبه الاتحاد الاوربي.

لقد ارتبطت نهاية الحرب الباردة عضوياً بانهيار تركيبة العالم ذي القطبين فزال من الوجود المعسكر الاشتراكي، وحلف وارشو، والاتحاد السوفيتي، وظلت دولة اعظم واحدة في العالم هي الولايات المتحدة الامريكية والتي لا يراها بعض الروس انها كذلك لانها دولة تجمع حولها خليطاً من الدول توفر لها الأمن وتفرض عليها ما يحقق مصالحها، وانه بعد زوال الاتحاد السوفيتي لم تعد تلك الدول بنفس الحالة التي كانت عليها قبل ذلك رغم ان الولايات المتحدة اصبحت الاقوى اقتصادياً وعسكرياً اذ تبلغ حصة الولايات المتحدة في النفقات العسكرية (نصف) ما تنفقه كافة الدول على ذلك، كما تساوي او تعادل ثلاثة ارباع ما ينفقه العالم على البحوث والتجارب العسكرية، ومع هذا فانها ليست الدولة الوحيدة التي تقرر جميع مسيرة التطور العالمي اضافة الى ان تغييرات كبيرة حصلت بعد الحرب الباردة قد لا تكون عاملاً

مشجعاً لامريكا وقوة لها، ومن ذلك عدم وجود حاجة الى قوة نووية امريكية تحمي اوربا واليابان مما جعلاهما اكثر استقلالية من ذي قبل حين كان الخوف والقلق قائمين بوجود الاتحاد السوفيتي، وكذلك اصبحت أسيا قارة نشطة بظهور دول قوية اقتصادياً ونووياً (الصين والهند وباكستان وربما كوريا الشمالية وايران) وليس من السهل السيطرة عليها مع امكانية التأثير فقط، وملاحظة ان الصين تتحول تدريجياً الى احد الاقطاب في النظام العالمي المعاصر تزامناً مع اوربا المتحدة التي تقف لا ضد الولايات المتحدة وانما على قدم المساواة معها اقتصادياً مثل اليابان ايضا.

لقد احدث انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه قبل ذلك، اكبر تغيير في العلاقات بين قوى العالم منذ نهاية الحرب الثانية، ومؤشراً لبداية عصر جديد في العلاقات الدولية وظهور نظام عالمي جديد ساهم في تكوينه ونموه قوة منتصرة او قوى ناهضة جديدة اذ بسقوط موسكو ذلك السقوط المدوي من مرتبة القوة العظمى، زالت بنية القطبية الثنائية التي كانت مكونة من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي هي القطبية التي ظلت تشكل السياسات الامينة للقوى الكبرى فترة زادت على نصف قرن واصبحت امريكا هي القوة التي صمدت وظلت عظمى وعمل المسؤولون عن ذلك في الولايات المتحدة على دراسة وتنفيذ مشروع استراتيجي شامل هدفه (الحفاظ على القطبية الاحادية) وذلك بالعمل على منع ظهور أي (منافس عالمي)، وقد اهتم بذلك المشروع خبراء وزارة الدفاع الامريكية بعد عام 1991، وفي هذا النطاق يمكن ان نؤشر ونلاحظ ان الولايات المتحدة لطالما دخلت في حروب (محدودة) بشكل مباشر او غير مباشر وقدمت خسائر بشرية ومادية في كوريا، وفيتنام، والصومال، والعراق، ويوغسلافيا، وانجولا وغيرها، وكان احد اهدافها البعيدة تجربة اسلحتها المتطورة مع زيادة تطويرها (تكنولوجياً) من خلال التعرف العملي الى اسلحة خصومها هنا وهناك بما يضمن لها (التفوق) دوماً في الاسلحة وخاصة التفوق النوعي التكنولوجي كما حصل في مجال الاسلحة الجوية بالطائرات الهجومية التي يصعب حتى رؤيتها بالرادار، والى درجة ان وزير دفاع بريطاني سابق اعلن منتصف التسعينيات ان هناك (فجوة) تكنولوجية كبيرة بين القوة العسكرية الامريكية والقوى الاوربية العسكرية في المجال التكنولوجي، فكيف بالقوى الاخرى خارج اوربا..؟ ورغم ذلك فان ما من احد يظن بأن في مقدور الولايات المتحدة الحفاظ مدة طويلة على احتكارها للقوة العظمى الوحيدة في العالم وان جهودها في ذلك المجال غير عملي وراح امريكيون كبار يتحدثون عن

الولايات المتحدة لا بكونها الدولة الاعظم الوحيدة في العالم بل هي (دولة الصدارة) او (الدولة التي لا غنى عنها) عالمياً، وفي ذلك اعتراف بان القطبية الاحادية خطر وتؤدي الى عدم الاستقرار فلابد من قوة توازن تلك القطبية التي لن تستطيع الحفاظ على تفوقها، وهيمنتها وتفردها في ادارة العلاقات الدولية تبعاً لمصالحها ومصالح حلفائها بحيث انهم فكروا في مد وتوسيع حلف الاطلسي الى حدود روسيا الجنوبية وربما ادخال اقطار في المشرق العربي ايضا الى ذلك الحلف وما له من قواعد في العالم الى جانب القواعد الامريكية البالغ عددها اكثر من (400) قاعدة من الفلبين حتى المانيا، اضافة الى سيطرة ذلك التحالف بقيادة امريكا على الامم المتحدة مما اضعفها وافقد الثقة بها بعدما اصبحت تحت نفوذ الولايات المتحدة وخاصة بين 1990–1995 وعملها لتحقيق السيطرة العسكرية، والسياسية، والدبلوماسية، والاقتصادية على العالم بأجمعه، وكانت الحجة هي اقامة نظام دولي عالمي جديد قوامه السلام مع العدالة، والأمان، والديمقراطية، ومكافحة الارهاب، واحترام حقوق الانسان، غير ان أزمات، وصراعات عدة حدثت لم تكن مألوفة من قبل، وكان قسم منها عبارة عن امتداد للصراعات القومية والاثنية في روسيا والتي أدت مع عوامل اخرى الى انحلال الدولة.

ورغم تفرد امريكا بالعالم بعد انهيار خصمها الروسي فان العالم لم يشهد سلاماً بل شهد تناقضات تفجرت في اكثر من مكان وظهر تياران في العالم بعد عام 1990، احدهما يعمل على ترسيخ (العولمة) المتزايدة في الاقتصاد، والثقافة، والاعلام بتجميع شركات عملاقة في شركة واحدة، والتيار الثاني (انفصالي) يهدد الدولة القطرية من الداخل ويهدد الاستقرار الاقليمي من خلال دعوة قومية او دينية او قبلية، مما أدى الى قيام (نظام فوضى عالمية جديدة) من وجهة نظر الذين لا يرون الا ان الولايات المتحدة هي التي تشرع للعالم، وترسم للدولة حدود التعامل، ومداه، وترصد اموالاً لاسقاط انظمة، وتسيطر على المؤسسات الاقتصادية العالمية (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي) وتوجه الاقتصاد العالمي وتقود العالم في المؤتمرات الدولية لأي نشاط غير سياسي مثل البيئة، والسكان، والاطفال، والنساء.. الخ، والعمل على زيادة تأثر العالم بالثقافة الامريكية في الفن والمزاج والطعام وغيرها، وسنوضح لاحقاً ما تعنيه العولمة التي قام عليها النظام الدولي الجديد او (الأمر الدولي) الامريكي الجديد.

في أعقاب العام 1991 حصلت تطورات خطيرة في العالم وظهر هذا العالم كنيباً مؤلماً قاسياً، اذ أن نصف سكانه لا يتقاضون الا دولاراً واحداً في اليوم او دولارين، فيما يتقاضى

اكثر من الف مليون نسمة اقل من دولار، وهناك 130 مليون طفل لا يدخلون المدارس في سن التعليم الابتدائي، وربع مليون طفل يقومون باعالة اسرة في ظروف بائسة، وهناك (60) مليون شاب عاطلين عن العمل، وقتل في حروب اهلية اكثر من (6) ملايين انسان، وارتفعت درجة حرارة الارض بسبب الدول الصناعية الكبرى، لكن المهم ان كل ذلك الاذى أصاب الدول النامية والفقيرة، ولا يبدو مستقبل العرب مضيئاً او مبشراً بحكم انتمائهم للعالم النامي حيث اخذت اقطارهم مع الاقطار الاسلامية تعاني من ردود فعل غربية معادية بعدما عملت اوساط عدة على ترسيخ نظرة مشوهة للاسلام في الغرب حتى أحس ابنائه بالرعب من الاسلام والمسلمين والاعتقاد بأن الاسلام عقيدة جامدة تسير على وتيرة واحدة بلا تغيير او تجديد ودون قبول بالرأي الاخر حسب رأي بعض الغربيين مما يجعل الثقافة الاسلامية مختلفة تماماً عن الثقافات الاخرى مع عنف المسلمين وخطرهم باسلامهم بما يشبه خطر الفاشية والنازية والشيوعية التي وقفت ضد الحرية وحاربها الغرب بقيادة امريكا وانتصر عليها خلال وبعد الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة حيث برز الاسلام بعدها باعتباره (ايديولوجية) بديلة للشيوعية لكنه في الواقع (دين سماوي) يدعو للتسامح والحرية وصار في نظر الغرب (مصدر ازعاج دائم) مما جعل امكانية قيام حرب باردة جديدة في اعقاب النظام الدولي الجديد عدوه (الاسلام) القادم من الشرق، حتى ان بعض المتعصبين اعتبره (حاشاه) وباءاً معدياً وخطراً اشد تعقيداً من الذي كان قائماً ايام الاتحاد السوفيتي، وحتى ظهر في الغرب من فكر بضرورة التحالف مع روسيا خليفة ذلك الاتحاد ضد (الاصولية الاسلامية) كما يسمونها.. وكان ذلك جزءاً هاماً ظهر في أعقاب الحرب الباردة والنظام العالمي الجديد الذي اعتمد (العولمة) وجاء بعد عام 1990 حين جاء في كلمة على لسان الرئيس الامريكي السابق جورج بوش (الاب) بقوله ان هذا النظام الدولي ليس دولة صغيرة وانما هو فكرة كبيرة، نظام دولي جديد، وطرق جديدة للعمل مع الامم الاخرى، وطرق سلمية لحل المنازعات ووحدة ضد العدوان، واسلحة مسيطر عليها، وعدالة في المعاملة لجميع الناس.

عبارة جميلة بكلماتها ومعانيها ومشجعة للعالم اجمع لكنها لم تأتِ الا بالقليل القليل عملياً حتى صارت شعارات دون ان يستطيع احد فهم المقصود بمصطلح (النظام الجديد).

بعضهم رأى ان النظام الدولي هو نتيجة تقسيم القوة بين الدول الكبرى فيما يرى اخرون ان العلاقات بين الشعوب والدول تنبع من قيم واسعة كالديمقراطية وحقوق الانسان والمنظمات

الدولية مثل الامم المتحدة، والقانون الدولي الى جانبها، ورأى بعض المحللين ان تاريخ بداية النظام العالمي الجديد لم يبدأ بعد حرب الخليج الثانية (حرب الكويت) وانما بدايته في عام 1989 بعد انهيار الدول الاشتراكية في اوربا وتغيير النظام القديم الذي ظل قائماً بعد الحرب الثانية والقائم على اساس القطبين، وكان قيام النظام الدولي الجديد انتصاراً للراسمالية الليبرالية، مع وضوح مشكلة داخلية في الولايات المتحدة نفسها رغم قوتها. والمشكلة (اقتصادية) لكنها خلال الفترة قيد البحث 1990-1995 كانت على قمة العالم دون ان يزاحمها احد، غير ان ذلك لا يمكن ان يدوم لفترة طويلة، ويعتمد بعض من ذلك على قوة الاقتصاد الامريكي حيث ظهر تراجع فيه وهو مؤشر على تراجع الدور الامريكي العالمي بعد فترة ليست طويلة ولتصبح الولايات المتحدة في المركز الثاني ليس لاسباب خارجية بل داخلية لان الشعب الامريكي لم يعد قابلاً بالتدخلات الخارجية في الشؤون الدولية وعودة الدعوة الى الانعزالية بعد الحرب الباردة أي العودة الى (مبدأ مونرو) الشهير والداعي الى عدم التدخل الخارجي

في اوائل التسعينيات واجه المسؤولون الامريكيون مع النظام الدولي الجديد الذي بشروا بقيامه، واجهوا اموراً هامة لهم في العالم المتطور اولها العمل على تشجيع التغيير في روسيا بعد زوال الاتحاد السوفيتي، ومواصلة التعاون مع اليابان ثم تجنب المواقف الخطيرة بسبب انتشار انظمة الدفاع المتطورة في العالم حيث تنتج تقنيات ضرورية للصناعة الامريكية الى جانب العمل على تخفيض الاعتماد على (نفط الخليج العربي) مما يعني ان اكثر المشكلات (اقتصادية) وقد حاول الامريكيون مساعدة روسيا اقتصادياً لعلها تقترب من الغرب مع التخوف من ان يؤدي تقديم المساعدة لها الى استفادتها مستقبلاً من ذلك لدعم امكانياتها العسكرية وعودة الحرب الباردة اضافة الى ان الاقتصاد الامريكي نفسه يعاني من مشكلات منها انه يستهلك اكثر مما ينتج للسوق مع موارده المالية الضخمة.

لقد شكلت أزمة الخليج مصدراً للقلق الامريكي على الأمن بسبب اعتماد الولايات المتحدة بشكل كبير على نفط الخليج العربي حيث تزداد اهمية منظمة (اوبيك) وخاصة للدول العربية الاعضاء فيها حيث اصبح 90% من الزيادة في انتاج النفط بعد عام 1985 يأتي من دول الخليج العربي فصار ذلك الى جانب تسلح دول المنظمة يشكل خطراً على الأمن القومي الامريكي بسبب أزمات الاقتصاد المحلي وما يسمى بخطر الاسلام السياسي.

وفي هذا الاطار وما حوله نجد ان النظام الدولي الجديد ونهاية الحرب الباردة قد اديا الى اعادة ترتيب الوطن العربي لاجل تطبيق ما يسمى بالشرق الاوسط الكبير وسط مؤشرات ملموسة على تغيير عالمي، منها توسيع حلف شمال الاطلسي، ودخول فكرة جديدة في رسم السياسة الخارجية الامريكية وهي نشر الديمقراطية في العالم ثم زوال الصراع الفكري الشيوعي- الرأسمالي، مع استمرار الصراع العسكري، واخيراً اهمية دور الولايات المتحدة في ضمان الأمن العالمي.

وهكذا تصدرت الولايات المتحدة القسم الاكبر من نشاط الدول العظمى بنسبة مئوية وصلت الى 55% وما نسبته 54% من القرارات العسكرية و46% من القرارات الاقتصادية، وقد احتل (الشرق الاوسط) ما نسبته 15% من مجموع تلك القرارات، وتوضح التدخل العسكري الامريكي خلال تلك الفترة في العراق 1991 وانجولا 1991 والصومال 1992، والسلفادور 1993، ثم هاييتي 1995، ثم بعد ذلك بفترة وجيزة يوغسلافيا السابقة، كما ضغطت على دول نامية لمنعها من الحصول على اسلحة غير تقليدية وشمل ذلك العراق وليبيا وكوريا الشمالية وايران لكنها اتبعت سياسة (تهدئة) في عدة اماكن، ومن ذلك عوتها لمؤتمر مدريد للسلام بين العرب واسرائيل عام 1992، والتوصل الى اتفاق بشأن البوسنة عام 1996، وايقاف الهجوم الاسرائيلي العدواني على جنوب لبنان 1996، والاعتراف بروسيا وريثاً شرعياً للاتحاد السوفيتي، وكل ذلك وغيره لم يكن الا ضمن ما عرف وبشكل واسع بـ(العولمة).

ومصطلح العولمة حديث توضح بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بداية التسعينيات من القرن العشرين، غير ان مؤشرات العولمة كانت موجودة قبل ذلك ومنها انتقال السلع والافكار عبر الحدود الوطنية مع تراجع سيادة الدولة القومية فقد كانت هناك تبعية اقتصادية ومالية لمراكز رأس المال الغربي وكذلك الافكار المستوردة المعروضة على الفضائيات التلفزيونية.

لقد انتشر مفهوم العولمة اكثر من أي مفهوم اخر حديثاً حيث اثارت مفرداته الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية جدلاً واسعاً في الخطاب الفكري بعد قيام النظام العالمي الجديد، وكان الاقتصاد اهم نقطة فيه من حيث النمو السريع في التجارة الدولية، وتدفق الاستثمارات الاجنبية، وتكامل الاقتصاد على الصعيد العالمي، وازالة الحواجز على التجارة بفضل التقدم والتطور التكنولوجي الهائل في مجالات عدة هامة على علاقة بالتجارة، والعولمة عملية تاريخية طويلة تمثلها اليوم الانجازات العلمية وخاصة في ميدان الاتصالات وتشغل

امريكا مركز القيادة في العولمة حتى قيل انها (امركة) لاحتفاضها بمركزها القيادي هذا وهو ما عبر عنه احد خبرائها بقوله له ان هناك في العالم (دولة اعظم) وعدة دول غير مؤثرة وعدد كبير من الدول الصغيرة، ويبدو ان معظم الدول العربية والاسلامية والافريقية جنوب الصحراء هي ضمن هذه الدول الصغيرة في (العالم الرابع)، والواقع ان تاثيرها كان كبيراً على العرب والمسلمين ولا يفيد ايماننا بقولنا اننا كنا (اصحاب حضارة انسانية) سابقاً مادمنا نعتمد اليوم في كل احتياجاتنا على منتجات الاخرين الثقافية، والعلمية، والاقتصادية من منتجات الحضارة الغربية من الطائرات الى اقلام الكتابة والساعات والادوية والاغذية.

يرى البعض ان العولمة التي طرحت في التسعينيات وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي وطغيان النموذج الغربي تعمل على نشر آلية السوق الحرة وما يتبع ذلك من انظمة سياسية حرة ديمقراطية وصولاً الى احتواء العالم من خلال النظام العالمي الجديد الذي يهدف الى جعل العالم مثل (قرية كونية) بلا حدود بين الدول (فتنتقل الافكار والسلع والمعلومات والافلام والمخدرات وكل شيء).

بسبب العولمة والثراء الواسع فقد توهم بعض الناس في كثير من بلدان العالم بأن الحياة الجيدة هي السلع الجيدة وان السعادة تكمن في الكسب والاستحواذ فقط، وصارت دول الجنوب الفقيرة مضطرة للاستدانة من البنوك الدولية حتى غرقت في الديون الهائلة مما سيجعلها تسقط في التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية للعولمة (الامريكية) خاصة، حيث صارت تلك الدول مضطرة لاتخاذ اجراءات ضارة لشعوبها ومن ذلك تخفيف او تخفيض قيمة العملة للحد من الاستيراد وتخفيض النفقات العامة اجتماعياً وتقليص اعتمادات التعليم والصحة، والسكن.. والغاء الدعم على المواد الاستهلاكية وعلى الكهرباء والماء والنقل والاغذية، وتخفيض في الرواتب والاجور مع رفع الضرائب لدرجات او نسب اعلى.

اخيراً فان الرأي المعارض للعولمة يرى انها ليست تهيئة لاممية الفكر والثقافة بل تهيئة الامم للانقياد ونشر دعوات الهبوط بالذوق العام والفكر، والفن بكل محطاته (سينما، مسرح، غناء، تمثيل) فلا يعود المواطنون يرون الا افلاماً مثيرة او عنيفة او تافهة وانشغال الشباب بكل ما من شأنه ربطهم بالغرب الامريكي والاوربي.

11

الفصل الحادي عشر

أوروبا وقضايا الشرق الاوسط

اولى الاوربيون وخاصة الانكليز والفرنسيين، اهتماماً كبيراً بالشرق الاوسط عموماً والمشرق العربي على وجه الخصوص منذ ان وجهت بريطانيا انظارها واهتمامها للمنطقة وما تحويه من خيرات وماتختزنه من اثار الحضارات وما تشكله من موقع استراتيجي بالنسبة لبريطانيا التي كانت في منتصف القرن التاسع عشر تسيطر على حوالي ثلاثة ارباع الارض عسكرياً واقتصادياً وثقافياً وتبعتها فرنسا حين احتلت الجزائر ثم مدت نفوذها بعدئذ الى تونس ومراكش ولبنان ومصر وسوريا وفلسطين، وكان لروسيا محاولة لمد النفوذ الى المنطقة قبل ان تدخل في ذلك الصراع الاستعماري ايطاليا الموحدة بعد عام 1871، وكان ذلك امتداد لقرون من الاهتمام الاوربي بالمشرق.

وكان للشرق الاوسط نصيب مما اصاب العالم من اضرار واهوال الحرب العالمية الاولى عندما اقتسم المنتصرون الغنائم بتقسيم الوطن العربي بينهم قبل ان تقع حرب كارثية اخرى عام 1939 حيث اصاب العرب ايضا ضرر منها دون ان يكون لهم موقف مؤكد مع هذا الطرف او ذاك من اطراف ذلك الصراع العنيف الدامي.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية برزت قوتان كبيرتان كان لهما دور مؤثر في الاحداث التي شهدها الشرق الاوسط بكل اقطاره مع تأسيس الجامعة العربية لعلها تكون المنظمة التي تجمع العرب على صعيد واحد داخل مبناها فيكبر معناها، لكن اوربا ظلت على صلة بالاحداث رغم تفرد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بالقوة الاعظم في العالم بعد الحرب وحتى عام 1990 فمن بين قضايا عدة في الشرق الاوسط اهتم الاوربيون بتطورات المشكلة الفلسطينية وهي حقاً (مشكلة اوربية) بالاساس، بالاضافة الى دور الاوربيين في الاحداث والتطورات التي شهدتها مصر وسوريا والعراق والاردن ولبنان والخليج العربي وشمال افريقيا العربي، وقيام ثورات، وانقلابات، ومعارك، وحروب، ومؤامرات، ومحاولات لرأب الصدع بين الاخوة، وزيادة الثروات وغير ذلك من احداث كان لاوربا فيها دور او رأي مؤثر على السياسة والسلطة والقوة العسكرية والاقتصادية ايضا في المنطقة بعد الحرب الثانية بنصف قرن او اكثر.

خلال ذلك وقبله بسنين طويلة كان كثير من العرب يشعرون بالحذر ازاء الغرب بل واحياناً معاداته عداءاً علنياً ويعود ذلك على الاغلب الى رد فعل على تاريخ طويل من انشطة القوى

الاوربية في مناطق العرب وجوارهم في مواجهة طويلة في الواقع بين الغرب والاسلام ونتج عن تلك المواجهة تهميش علمي للاسلام واضعاف للمسلمين ومنهم العرب واحتلال ارضهم حتى ان عدداً من بلدانهم لم يحصل على سيادته الا بعد ربع قرن من انتهاء الحرب العالمية الثانية عندما انسحبت بريطانيا من عدن والخليج العربي.

وفي كل تلك الفترة الطويلة والعصيبة وحتى اليوم فان سكان المنطقة، وتحت تأثير التغلغل الاوربي السياسي، والاقتصادي، والثقافي مع الاحتلال العسكري، طرحوا على انفسهم سؤالين هما: كيف اصبحوا في عالم الانحطاط بعدما كانوا سادة العالم في العلم والقوة، ثم كيف السبيل لخلق النهضة..؟ وكان جواب كثيرين ان السبب يكمن في البعد عن الدين الذي يدعو صراحة للعلم، والقوة، والحرية، مثلما يكمن في الانقسام.

وبدأ التحرك العربي نحو الاستقلال والسيادة والوحدة وصولاً الى النهضة، فكانت ثورات تحولت الى انقلابات وكان استقلال بسلطة مستبدة، وابتعدت الامة عن الوحدة الى تشتت قطري ازداد رسوخاً مع السنين، وكانت هناك فجوة اتسعت بين اقطار الشرق الاوسط والغرب تكنولوجيا والى جانب هذا كله ازدادت تدخلات الغرب عموماً وامريكا خصوصاً في الشؤون العربية والاسلامية في العراق ولبنان والاردن وسوريا ومصر وليبيا واليمن والمغرب مثلما ازداد النفوذ الغربي الاقتصادي والدبلوماسي والعسكري والثقافي في الخليج العربي حتى عام 1996 بل حتى ما بعده، وشعر المواطن في كل هذه البلدان بالاحباط بعد الفشل امام الغرب وحلفائه عسكرياً والفشل ايديولوجيا للتوجهات القومية والاشتراكية بعد الهزائم العسكرية، وخاصة عام 1967 حيث انتهى الحلم القومي العربي.

اية قضايا يمكن تناولها وقد حدثت في الشرق الاوسط حديثاً..؟ هل هي قضية الوحدة العربية المتعثرة ام التنمية الاقتصادية ودور النفط فيها، ام أزمات الخليج العربي المصدر الحيوي لرفاهية اوربا، ام ازمة العلاقات العربية- الاقليمية والعربية- العربية، ام قضايا القلق على وحدة السودان واليمن والمغرب والصومال والعراق، ام قضية غياب الديمقراطية والحريات وحكم الفرد الواحد، ام مشكلة المياه التي تتفاقم، أم قضية (لوكربي) أم القضية الاساسية والمركزية والطويلة قضية فلسطين الجرح الغائر في الجسد العربي الاسلامي..؟

في كل تلك القضايا وغيرها كان لاوربا دور بارز فيها منذ عشرات السنين بل منذ عدة قرون وسيبقى لها دورها وتأثيرها واهتمامها الكبير لما يحصل في الشرق الاوسط من تطورات،

الى جانب التأثير الذي برز بعد الحرب الثانية خاصة من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي حتى انهياره، في مقابل حذر مواطني المنطقة حيث كان الغرب مرفوضاً ومرغوباً به ايضا..!! وكأن في الامكان اخذ ما نريد من الغرب وترك ما لا نريد ببساطة.

حاول العرب تحقيق الوحدة بشكل قوي في اعقاب ثورة شريف مكة عام 1916 لكن بريطانيا نقضت تعهداتها واقتسمت المنطقة مع فرنسا، وظلت التنمية مرتبطة بالنفط ودولاراته وتعتمد على الغرب الاوربي نموذجاً مرجعياً مع استمرار الفقر والبطالة التي وصلت اليوم الى 90 مليون عاطل، وظل الخليج العربي يشكو القلق بسبب موقعه ونفطه وقربه من ايران الدولة الاقليمية الاكبر المجاورة للعرب في الشرق الاوسط وسط منازعات (حدودية) بين الاشقاء في عمان والسعودية والامارات وقطر والبحرين، والعراق والكويت، والعراق وايران مما مهد الطريق للقوى الاوربية ولامريكا الوصول عسكرياً الى الخليج الهام جداً للعالم الغربي بسبب وجود النفط بكميات هائلة.

وفي مجال العلاقات العربية- الاقليمية فانها توترت مرة مع تركيا ومرات مع ايران دون ان تكون اوربا غائبة عن ذلك ابداً فيما عاشت المنطقة على وقع العلاقات العربية- العربية المتوترة والتي لم تستطع كل مؤتمرات القمة العربية ان تنهي (الحرب الباردة) العربية وهنا ايضا نجد اوربا والولايات المتحدة وروسيا حاضرة، ألم ترسل فرنسا من يعين اهل لبنان على انهاء خلافاتهم..؟ ولم ترسل روسيا مبعوثاً لاعادة العلاقة الطبيعية بين سوريا والعراق..؟ هذا اضافة للدور الالماني ثم الدور البريطاني ايضا.

وتشكو المنطقة من توترات سابقة ومحتملة في السودان خوفاً على وحدة ارضه وشعبه، وفي اليمن وخوفاً من تقسيمه ثانية، والصومال الممزق والمغرب ومشاكله الصحراوية وحتى العراق، ولا يمكن الا ان يكون لاوربا يد او تأثير او رأي في ذلك في السر والعلن.

اما غياب الديمقراطية فان الغرب الاوربي يعزف كثيراً على هذا الوتر في الشرق الاوسط لخشيته من انظمة فردية مستبدة في أي بلد من بلدان هذا الشرق، وتكفي الاشارة الى ان عدداً من محبذي الاسلوب الديمقراطي العربي لم يتمكنوا ان يجدوا بلداً عربياً واحداً يعقدون فيه مؤتمراً عن الديمقراطية فعقدوه في قبرص منتصف الثمانينيات من القرن العشرين بل ان احد الاهداف التي تحدث عنها القادة الامريكيون لتبرير غزو العراق كان (نشر الديمقراطية) في الشرق الاوسط.

وتتفاقم مشكلة المياه في الشرق الاوسط وتعقد مؤتمرات حول ذلك في تركيا وغيرها ويشارك فيها ممثلون من اوربا ثم نسمع ونقرأ عن (مبادلة) المياه بالنفط مجاناً او بسعر رخيص.

وتبقى أم المشاكل في الشرق الاوسط والتي تعاني منها شعوب كاملة اوربية وعربية واسلامية وغيرها دون ان يلوح في الافق حل قريب لها وسط اهتمام اوربي خاص بها لانها من مسؤولية اوربا بشكل واضح مما سنركز عليه باعتبارها أهم وابرز القضايا التي استحوذت على الاهتمام العالمي، ألا وهي قضية فلسطين او ما تعرف اليوم بـ(مشكلة الشرق الاوسط).

كتب الكثير جداً عن المشكلة في آلاف الكتب والبحوث والمجلات الى جانب ما لم ينشر من آلاف الوثائق بل مئات الالوف منها وعرفت تفاصيلها منذ اصدار بريطانيا تصريح وزير خارجيتها عام 1917 (بلفور) الذي تضمن (وعداً) باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ولا حاجة لذكر تفاصيل ما حدث بين ذلك التاريخ وعام 1948 حين ساهم الاوربيون في اقامة (اسرائيل) والاعتراف بها والتعهد بحمايتها وخاصة من قبل بريطانيا وفرنسا وامريكا عام 1950.

لقد أدت الاحداث الكارثية للحرب الثانية الى زعزعة السلام في الشرق الاوسط والى تغييرات سياسية كبيرة في المنطقة بعد أعقاب حرب فلسطين عام 1948 واستمرار الصراع لاكثر من نصف قرن مما اكد الحاجة الملحة والهامة حيوياً للمجتمع الانساني ولدول المنطقة لتسوية ذلك الصراع مع وجود موقف او مواقف مخالفة لذلك، وقد تكون مدعومة من دولة او منظمة ضمن منطقة الشرق الاوسط، ووصلت الامور الى اعتبار احد قادة اوربا للمشكلة بانها لم تعد (مشكلة اقليمية منفصلة) وانما هي قضية تمس مباشرة (العلاقات بين الغرب والعالم الاسلامي).

ان اهتمام اوربا بقضايا الشرق الاوسط وخاصة قضية فلسطين نابع من عاملي القربى الجغرافية والروابط التاريخية المؤلة فالمنطقة من الناحية الجغرافية السياسية تشكل الطريق الذي يربط بين اوربا واسيا وكذلك بين اوربا وشرق افريقيا، ويمكن ان يؤدي اقفال هذا الطريق الى احتواء اوربا الغربية ومحاصرتها، كما ان أمن البحر المتوسط حيوي لاوربا واكثر حيوية هو الاستقرار على الشاطئ الشرقي والجنوبي لهذا البحر العربي- الاوربي لذلك تهتم اوربا

بالنزاعات المحلية والاقليمية والدولية التي قامت ومازالت في المنطقة او في دول الجوار لما في هذه المنازعات من انعكاسات خطيرة على الامن الاوربي خاصة وان اي نزاع يمكن ان يتحول بسرعة من حالة محلية الى حالة دولية والامثلة كثيرة خلال نصف قرن ومنها حروب الاعوام 1956، 1967، 1973، 1982 والحرب العراقية الايرانية والمشكلة السودانية بل حتى النزاع بين قطر والبحرين والذي وصل الى محكمة العدل الدولية في هولندا ثم حروب الخليج الثانية عام 1991 فالغزو الامريكي للعراق عام 2003 وتداعياته العالمية، وتخوف اوربا مثلاً من ان اي نزاع مسلح في الخليج العربي قد يؤدي الى اغلاق مضيق هرمز وقناة السويس مما يترتب عليه عواقب اقتصادية وسياسية وأمنية بل انه حتى في باب المندب فان الخطر يصيب اوربا اذا ما أقفل بسبب معارك الصومال او أي تطور في اليمن مما قد يمنع حركة السفن ناقلات النفط في الخليج الى اوربا من الوصول بسلام عبر مضيق باب المندب.

في جانب اخر فان للنفط تأثيره الواسع والخطير على حياة اوربا التي تعتمد بشكل رئيسي على نفط الخليج مما يستدعي اهتماماً اوربياً بقضايا الشرق الاوسط المترابطة حيث توجد اهتمامات خليجية عربية وايرانية بقضية فلسطين.

في أعقاب قيام اسرائيل فان اوربا اعترفت بها وتعهدت دول فيها بحمايتها وراحت فرنسا تساهم بشكل فعال في تسليح اسرائيل بأسلحة متطورة فيما راحت المانيا تدفع لها تعويضات مالية منذ عام 1953 عما تعرض له يهود المانيا خلال الحكم النازي، ثم تعاونت فرنسا مع بريطانيا واسرائيل لضرب مصر ايام أزمة السويس 1956 ثم أعقب ذلك تأييد اوربي علني او سري لاسرائيل في حرب عام 1967 باستثناء فرنسا فيما كان لبريطانيا دور فعال في مجلس الأمن حول قضية فلسطين حين اصدر المجلس القرار رقم (242) والداعي الى انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة خلال حرب حزيران 1967 فيما كانت دول في اوربا الشرقية مرتبطة بالاتحاد السوفيتي تساند بعض البلاد العربية في الشرق الاوسط دبلوماسياً وعسكرياً.

كانت لاوربا مشاركة في محاولة حل مشاكل الشرق الاوسط فكلما وجد الاوربيون ان هناك بوادر أزمة او انها حصلت بين طرف عربي واخر اقليمي او دولي ويمكن ان يأتي منها تهديد لاوربا ومصالحها؛ فان الاوربيين يندفعون للاهتمام بملف الشرق الاوسط والتحرك الدبلوماسي

او اتخاذ موقف جديد تجاه الازمة بهدف المساعدة على احتوائها، ولكن اذا كان هناك نوع من الهدوء فان (الجماعة الاوربية) لا تقوم ببلورة أي موقف وخاصة بعد قيامها في عام 1970 باستثناء بريطانيا وفرنسا الاكثر اهتماماً بالمنطقة لاسباب معروفة، واتخذت الجماعة سياسة (الاقناع) او الانعزال عما يجري في الشرق الاوسط حتى قيام حرب عام 1973 وما تلاها من انقطاع النفط العربي عن اوربا او ما عرف بالحظر النفطي العربي وتأثيراته السلبية على اوربا والولايات المتحدة علماً بأن أهم سمات العلاقات العربية- الاوربية هي تلك التأثيرات التي تمارسها الولايات المتحدة على الطرف الاوربي بسبب خصوصية العلاقات بينهما وفي نفس الوقت فان الولايات المتحدة لم تنظر بعين الارتياح ابداً الى تطور الحوار العربي- الاوربي رغم ان ذلك أفاد الامريكان احياناً في فتح قنوات اتصال مع بعض الاقطار العربية في قضايا بشأن الشرق الاوسط.

استمرت اوربا في اهتمامها بقضية فلسطين الى جانب قضايا اخرى لكنه اهتمام دبلوماسي من زيارات للتعارف، واخرى استطلاعية، مع بيانات سياسية تزداد كلما ازداد التوتر في المنطقة مع امكانية (التراجع الاوربي) عن مواقف اتخذتها اوربا سابقا فيما اذا تغير ظرف عربي معين كحدوث انقلاب مثلاً او حرب اقليمية مثل الحرب العراقية- الايرانية 1980-1988، لكن يبقى النزاع (الصراع) العربي- الاسرائيلي ونتيجة تشابك النزاعات التي يشملها، وتداخل قوى عدة فيه متنوعة ومختلفة، يبقى ذا موقع مركزي في السياسة الغربية، والسياسة العربية الدولية، غير ان الجانب الاوربي لم يقم بأية مبادرة سياسية دبلوماسية مثل تقديم (تصور) لحل النزاع من خلال ما تمتلكه اوربا من امكانات والاكتفاء بالبيانات الموسمية الغامضة التي تحمل اكثر من تفسير (مثل القرار رقم 242) لكي تستطيع اوربا التراجع عنه اذا ارادت حسب المرحلة التي يمر بها توازن القوى العربي- الاسرائيلي وحسب الدور الامريكي تجاه المشكلة، وظلت اوربا تتصرف مثل مراقب دائم مهتم بتطورات الازمة/ المشكلة الناجمة عن النزاع/الصراع وليس تصرف الشريك النشط في البحث عن حل او تسوية لخوف اوربا من تطورات النزاع بما يهدد المصالح الاوربية كما حدث عام 1973 دون ان تستطيع التأثير الايجابي في النزاع لحله ومنعه من تهديد تلك المصالح، وايضا الامتناع عن أي موقف قد يؤدي الى اضعاف او احراج التأثير الامريكي وموقفه القوي بشأن القضية طيلة الفترة الممتدة بين 1967-1997 وما بعدها، وفي هذا الشأن نجد ان الشرق الاوسط شهد عام 1979

بؤراً من التوتر شكلت خطراً على الاستقرار الاقليمي وبالتالي على المصالح الاوربية مباشرة فكان هناك سقوط الشاه واوضاع عنف في تركيا واتفاق كامب ديفيد.

فيما يتعلق باوربا ايضا فانها ابقت على اتصالاتها بمنظمة التحرير طالما ان المنظمة ضعيفة امام البلدان العربية فكانت الجماعة الاوربية تتصل دبلوماسياً بالمنظمة لتشجيعها على اتباع مواقف (معتدلة) حسب نظرة الجماعة لكن الاخيرة تقطع الاتصالات او تخفضها اذا ما ذهبت المنظمة في اتجاه معادي لاوربا، وايضا فان الموقف الاوربي سار وراء الموقف الامريكي في محاولته دعم كل طرف عربي اساسي في النزاع يحاول جذب المنظمة الى مواقف معتدلة. كما ان الاوربيين كانوا يقفون مع الطرف العربي الذي تؤيده الولايات المتحدة دون قطع الصلة مع الطرف العربي الاخر الذي تراه متطرفاً في مواقفه عن طريق تقديم مساعدات للتنمية او مساعدات اقتصادية مثلاً او لقاء دبلوماسي لكيلا يظهر الموقف الاوربي وكأنه منحاز تماماً الى محور عربي ضد اخر، ومثال ذلك مواقف اوربية طيبة نحو الاردن ومصر دون ترك العلاقة مع سوريا والعراق والجزائر، ومواقف تجاه مصر دون ترك اليمن او حتى ليبيا. اضافة لاقطار غير عربية في الشرق الاوسط مثل ايران وتركيا.

وتمكنت اوربا ان تفك الارتباط بين الاقتصاد والسياسة فعلاقاتها الاقتصادية باقطار الشرق الاوسط تتطور بمعزل عن تطور الموقف السياسي الاوربي الذي شهد تراجعاً مستمراً تجاه القضايا العربية، الى جانب محاولات اوربية- عربية للتعاون بشأن البحر المتوسط لتحويله الى (بحيرة سلام عربية- اوربية) باخراج القوتين الامريكية والروسية منه وبدعم من اطراف وقوى اخرى وتعاونها بعد حل المشاكل بينها مثل قبرص وتركيا واليونان او قيام تعاون عربي- اوربي لتنمية دول افريقية قريبة لما فيه مصالح الاطراف.

وبالعودة الى (أزمة الشرق الاوسط) التي يمثلها النزاع العربي- الاسرائيلي فان الوضع كان يزداد صعوبة بتواصل الحروب والتوترات والتي أدت الى احتلال اسرائيل مزيداً من الاراضي العربية لكنها كانت دائماً تحضى بدعم جزء كبير من المجتمع الدولي لانه لم يكن يقبل الرأي العربي بتدمير اسرائيل فيما كانت الاطراف الدولية الفاعلة تعمل وفق مصالحها لايجاد تسوية كما فعلت الولايات المتحدة على تسوية ما بين مصر واسرائيل في كامب ديفيد، لكن انتهاء الحرب الباردة اثمر في جهد دولي وحتى اوربي لايجاد صيغة حل وسط من خلال مؤتمر مدريد عام 1992 بانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية التي احتلتها عام 1967 مقابل

الاعتراف العربي بها، غير ان تلك الصيغة تعثرت رغم ان مؤتمر مدريد في اسبانيا اعطى نبضة الى تنشيط جهود الاطراف المتنازعة نفسها، وهكذا جرت في (اوسلو) بالنرويج سلسلة لقاءات اواسط التسعينيات بين ممثلين من اسرائيل واخرين من منظمة التحرير الفلسطينية وتم الاتفاق على اجراء مفاوضات فيما كان الاردن في طريقه ايضا الى مثل ذلك بعد اوسلو وهو ما اعطى الدليل على استمرار الاهتمام الاوربي بقضية الشرق الاوسط الاولى بين القضايا.

أدى الاتفاق الاسرائيلي- الفلسطيني الى فتح الباب واسعاً للحديث عن المستقبل للسلام الذي تصوره البعض مع اسرائيل، الى جانب قيام (نظام شرق اوسطي) جديد في ظل تأكد طرفي الصراع عدم امكان او استحالة نفي الاخر فلا يمكن الحاق هزيمة نكراء بالعرب مشابهة لهزيمة عام 1967 اذ استطاعوا مقاومة اسرائيل بنجاح عام 1973 و1982 في لبنان وحتى عام 2007 في جنوب لبنان ايضا، مع إدراكهم استحالة تحقيق مطلق اهدافهم بالآلة العسكرية في ظل الظروف السائدة في الشرق الاوسط رغم التهديدات الايرانية او الوساطات التركية التي تصب في المجرى السلمي مع التخوف من اقتتال او نزاع فلسطيني- فلسطيني يصيب القضية بأفدح الاضرار امام باقي العرب وامام الدول الاخرى في الشرق الاوسط وامام الدول الاوربية والولايات المتحدة واسرائيل.

ان الموقف الاوربي ينطلق اساساً من الاعتراف بوجود اسرائيل، بحدود آمنة، معترف بها، وانهاء حالة العداء بينها وبين جيرانها العرب، وليست اوربا مستعدة لبحث أي مسألة من المسائل الا انطلاقاً من هذه النقطة، واشترطت الكتلة الاوربية لتأييد أي قرار متعلق بالقضية الفلسطينية ان يشتمل على فقرة تتضمن الاعتراف بوجود اسرائيل (واليوم تشترط اسرائيل على العرب الاعتراف بها دولة يهودية) والموقف الاوربي ينسجم مع الموقف الاسرائيلي اضافة الى دور السوق الاوربية المشتركة في تقوية الاقتصاد الاسرائيلي حيث اصبحت دول اوربا الغربية المنفذ الرئيسي للصادرات الاسرائيلية وبشكل متزايد حتى ان اوربا استوعبت ما بين 1963 الى 1973 ما يتراوح بين 36% و34% من اجمالي صادرات اسرائيل الصناعية رغم ان دول اوربا هي دول صناعية متقدمة جداً، كما ان اوربا استوعبت ما يصل الى 72% من المنتجات الزراعية الاسرائيلية، وهكذا فان المانيا الغربية ومن خلال التعويضات لاسرائيل، واوربا الغربية صنعت اسرائيل وجعلتها تنمو اقتصادياً وتتقدم وخاصة خلال العقود الاولى بعد قيامها، وكان ذلك كله تمهيد لقبول اسرائيل لاحقاً في السوق الاوربية المشتركة، وفي

المقابل فان الاسواق العربية شكلت المجال الاقتصادي الحيوي للتجارة الاوربية حتى اصبحت الاقطار العربية الشريك التجاري الاول للمجموعة الاوربية، خاصة مع ارتفاع واردات الدول العربية النفطية.

ومع مرور السنين بل عقود من السنين ظلت المشكلة قائمة وان وجدت شيئاً من التحرك نحو السلام بالاتفاق المصري- الاسرائيلي والاتفاق الاردني- الاسرائيلي الى جانب صدامات عسكرية هنا وهناك حتى كانت هجمات ايلول عام 2001 وتحرك الغرب نحو مشاكل الشرق الاوسط حيث بدأت فكرة توسيع العمل باتجاه السلام من خلال اربع قوى عرفت بالرباعية ومنها (الاتحاد الاوربي) وطرحت (الرباعية) في ايلول 2002 خطة لتسوية النزاع وكان الهدف النهائي (اعلان قيام الدولة الفلسطينية) في ظل توتر شديد في الضفة الغربية المحتلة وغزة رغم اتفاقات (اوسلو) بين اسرائيل ومنظمة التحرير، كما اتفقت الرباعية على ضرورة اجراء انتخابات فلسطينية عام 2003 تمهيداً لاعلان دولة فلسطينية (بحدود مؤقتة) قبل اجراء مفاوضات عامي 2004 و2005 للحل النهائي في الشرق الاوسط حيث يتم التعويل اليوم على اقامة الدولة الفلسطينية خلال سنوات يأمل الفلسطينيون ان تكون متصلة الاجزاء مما يمهد الطريق لتنفيذ المبادرة السعودية التي تدعوا في النهاية الى اقامة علاقات (طبيعية) بين العرب واسرائيل فيما تعمل اوربا والولايات المتحدة على تطوير الشرق الاوسط سياسياً بمحاولة اقامة (عراق ديمقراطي) جديد وايجابي رغم الالام التي سببها الغزو الامريكي، مع تقارب اوربي للحوار مع ايران، ووساطة تركية بين اسرائيل وسوريا، فاذا لم تتصرف اوربا وقبلها امريكا بحكمة تجاه قضية الشرق الاوسط فسوف تنهار العملية مثلما انهارت مشاريع تم تقديمها من اجل (تقسيم) فلسطين بين العرب واليهود في الاعوام 1937 و1944 و1947 وتلك المشاريع اعطت للفلسطينيين ما يريدون اليوم بكل معاناة ورجاء ان ينالوه بعدما رفضوه ماضيا متلفتين الى ما كان، متطلعين الى ما سيكون، والحاضر على اهميته للانسان لا يكون إلا برهة ليصبح ماضياً.

المصادر

و

المراجع

مراجع الكتاب

اولا : رسائل جامعية

- الاعرجي/ وعد سعيد

اثر الدافع الديني في توجه القوى الغربية الى الشرق العربي والاسلامي 1500-1914 / اطروحة دكتوراه غير منشورة / بغداد 2005.

- محمود / عمار شاكر

الدبلوماسية الاوربية ومؤتمر ميونيخ 1938/ رسالة ماجستير، تكريت 2007

ثانيا : كتب عربية ومترجمة

- ابو علية/ عبدالفتاح حسن (الدكتور) واسماعيل ياغي (الدكتور)

تاريخ اوربا الحديث والمعاصر/ الرياض 1979.

- ال طويرش/ موسى محمود (الدكتور).

تاريخ العلاقات الدولية من كندي حتى غورباتشوف ، 1961-1991/ط2/بغداد 2008

- ايغو الدر، نيكول بيسوتو، فيليب غوردن

هلال الازمات/ الاستراتيجية الاميركية- الاوربية حيال الشرق ، الاوسط، ترجمة البستاني، الدار العربية للعلوم ط1/ بيروت 2006

- بابن، فون

مذكرات فون بابن/ ترجمة فاروق الحريري/ دار افاق عربية، للصحافة والنشر، ط1/ بغداد 1986.

- باون / كولن

الحرب الباردة

- بوند/ براين

الحرب والمجتمع في اوربا 1870-1970 ترجمة سمير عبدالرحيم، الجلبي / بغداد 1988.

- بريماكوف/ يفغيني

حقول الغام السياسة/ تعريب عبداله حسن/ ط1/ دمشق 2008.

- بريماكوف/ يفغيني

العالم بعد 11 سبتمبر وغزو العراق/ تعريب عبدالله حسن، ط1/ الرياض 2004.

- **بو طالب/ عبدالهادي**

هل يشكل انتشار الاسلحة النووية عامل ردع؟ مطبوعات اكاديمية، المملكة المغربية/ سلسلة (الدورات) دورة مايو 1999/ الرباط 1999.

- **تايلور/ ا. ج. ب**

أصول الحرب العالمية الثانية/ ترجمة مصطفى كمال خميس، مراجعة الدكتور محمد انيس/ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر/ القاهرة 1971.

- **تشرشل/ راندولف**

راندولف تشرشل يناقش ايدن/ ترجمة خيري حماد، دار مكتبة الحياة/ بيروت/ د.ت.

- **تشرشل/ ونستون**

مذكرات ونستون تشرشل/ تعريب خيري حماد/ القسم الثالث ط1/ بغداد 1961.

- **حاطوم/ نور الدين (الدكتور)**

تاريخ الحركات القومية / ج1 / ط1 / لبنان 1967.

- **حتي/ ناصيف يوسف (الدكتور)**

القوى الخمس الكبرى والوطن العربي ط1/ بيروت 1987.

- **حسين/ فاضل (الدكتور) وكاظم هاشم نعمة (الدكتور)**

التاريخ الاوربي الحديث 1815-1939 ط1 بغداد 1982.

- **خضر/ بشارة (الدكتور)**

اوربا والوطن العربي، القرابة والجوار/ ترجمة د.جوزف عبدالله/ ط1/ بيروت 1993.

- **الدسوقي/ محمد كمال (الدكتور)**

تاريخ المانيا/ دار المعارف بمصر/ القاهرة د.ت.

- **رصاص/ محمد سيد**

انهيار الماركسية ط1/ دمشق 1997.

- **رينوفن/ بيير**

محاضرات في تاريخ القرن العشرين/ ترجمة نورالدين حاطوم/ دمشق 1960.

- **زريق/ قسطنطين**

نحن والمستقبل/ دار العلم للملايين ط2/ بيروت 1980.

- **زيادة/ فرحات، ابراهيم فريجي**

تحت اشراف فيليب حتي تاريخ الشعب الامريكي مطبعة جامعة برنستون/ بيروت 1946.

- **الزيدي/ مفيد (الدكتور)**

موسوعة تاريخ اوربا الحديث والمعاصر/ ج3-4/ ط1/ دار اسامة للنشر/ عمان / 2004.

- **سترومبرج/ رونالد**

تاريخ الفكر الاوربي الحديث 1601-1977م ترجمة احمد الشيباني/ دار القارئ العربي/ ط3 القاهرة 1994

- **شيرونين/ فياتشيلاف**

خبايا الانهيار/ ترجمة العقيد المتقاعد يوسف ابراهيم الجهماني والدكتور جمال الاسعد/ دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع ط1/ دمشق 1998.

- **الصمد/ رياض (الدكتور)**

العلاقات الدولية في القرن العشرين/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط2/ بيروت 1983.

- **طنوس/ عزت (الدكتور)**

الفلسطينيون/ مركز الابحاث/ الجزء الاول/ ط1/ بيروت 1982.

- **غورباتشوف/ ميخائيل**

مذكرات عن الانقلاب العسكري/ الاسباب والنتائج/ ترجمة لجنة الترجمة باشراف د.ماجد علاء الدين/ ط1 دمشق 1992.

- **فشر/ هـ. ا. ل**

تاريخ اوربا في العصر الحديث 1789-1950.

تعريب احمد نجيب هاشم/ وديع الضبع/ دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة/ القاهرة 1972.

- **قرم/ جورج (الدكتور)**

اوربا والمشرق العربي/ دار الطليعة للطباعة والنشر/ ط1/ بيروت 1999.

- **كروزيه/ موريس (اشراف)**

تاريخ الحضارات العام/ العهد المعاصر/ الجزء السابع/ نقله للعربية يوسف اسعد داغر وفريدة داغر/ منشورات عويدات ط1/ بيروت 1970.

- **لاسكي/ هارولد**

تأملات في ثورات العصر/ ترجمة عبدالكريم محمد/ دار القلم/ القاهرة 1946.

- **مانغولد/ بيتر**

تدخل الدول العظمى في الشرق الاوسط/ ترجمة اديب شيش/ ط2/ دمشق 1994.

- **المدرس/ فارس عزيز**

الرؤية الآن/ الموصل/ 2007.

- مراد/ خليل علي (الدكتور) السيد جاسم محمد حسن الدكتور عبدالجبار قادر- دراسات في التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر/ مديرية دار الكتب للطباعة والنشر/ الموصل 1988.

- مركز دراسات الوحدة العربية

التحديات (الشرق اوسطية) الجديدة والوطن العربي/ بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ط2/ بيروت 2000.

- مسعد/ نيفين عبدالمنعم

العولمة واثرها في المجتمع والدولة/ مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية/ ط1/ ابو ظبي 2002.

- مقلد/ اسماعيل صبري (الدكتور)

قضايا دولية معاصرة/ السياسة الدولية من الحرب الباردة الى الوفاق/ الكويت 1980 .

- نوار/ عبدالعزيز سليمان (الدكتور) عبدالحميد نعنعي (الدكتور).

التاريخ المعاصر/ اوربا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية/ دار النهضة العربية/ بيروت 1973.

- هارفي/ فرانك

عودة المستقبل/ مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية دراسات مترجمة (ح1) ط1/ ابو ظبي 2003.

- هلال/ علي الدين (الدكتور)

مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي/ ط1/ بيروت 1988.

- هنتغتون/ صموئيل

مَنْ نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الامريكية، ترجمة حسام الدين خضور/ ط1/ دمشق 2005.

- ويرنر/ فيكتور

الخوف الكبير/ الحرب العالمية الثالثة/ باريس د.ت.

ثالثا : الاجنبية

-Bowker , mike

Russia AFTER THE COLD WAR-- England 2000

- Dmytfy , Basil

AHISTORY of Russia - U.S.A 1977.

- Hoffmann , Peter

The HISTORY of the GERMANY RESISTAGE 1939- 1945 - U.S.A 1977.

-MARTEL , GORDON

The origins of the first world wav, second Edition , New york, 1996.

- Panagi, Panikos

Weimar and Nazi Germany - England 2001.

- Shennan, Andrew

The Fall of France 1940 - England 2000.

- Williamson , D. G

Germany from Defeat to Partition 1945-1963 , England 2001.

- Williamson , D. G

Germany from Defeat to Partition 1945-1963 , England 2001.

ENC YCLOPEDIA BRITANNICA

Volume 9 U.S.A 1966.

رابعا : المجلات والصحف:

- دراسات دولية/ العدد العاشر/ بغداد 2000 صادرة عن مركز الدراسات الدولية/ جامعة بغداد.

- المستقبل العربي / الاعداد 256 لسنة 2000 و 258 لسنة 2000 و 287 لسنة 2003 و 337 لسنة 2007.

- جريدة بهرا/ الضياء/ بغداد/ 2009.

تاريخ أوروبا المعاصر

ISBN 9957-07-704-X
9 789957 077044

دار الفكر
ناشرون وموزعون
www.daralfiker.com